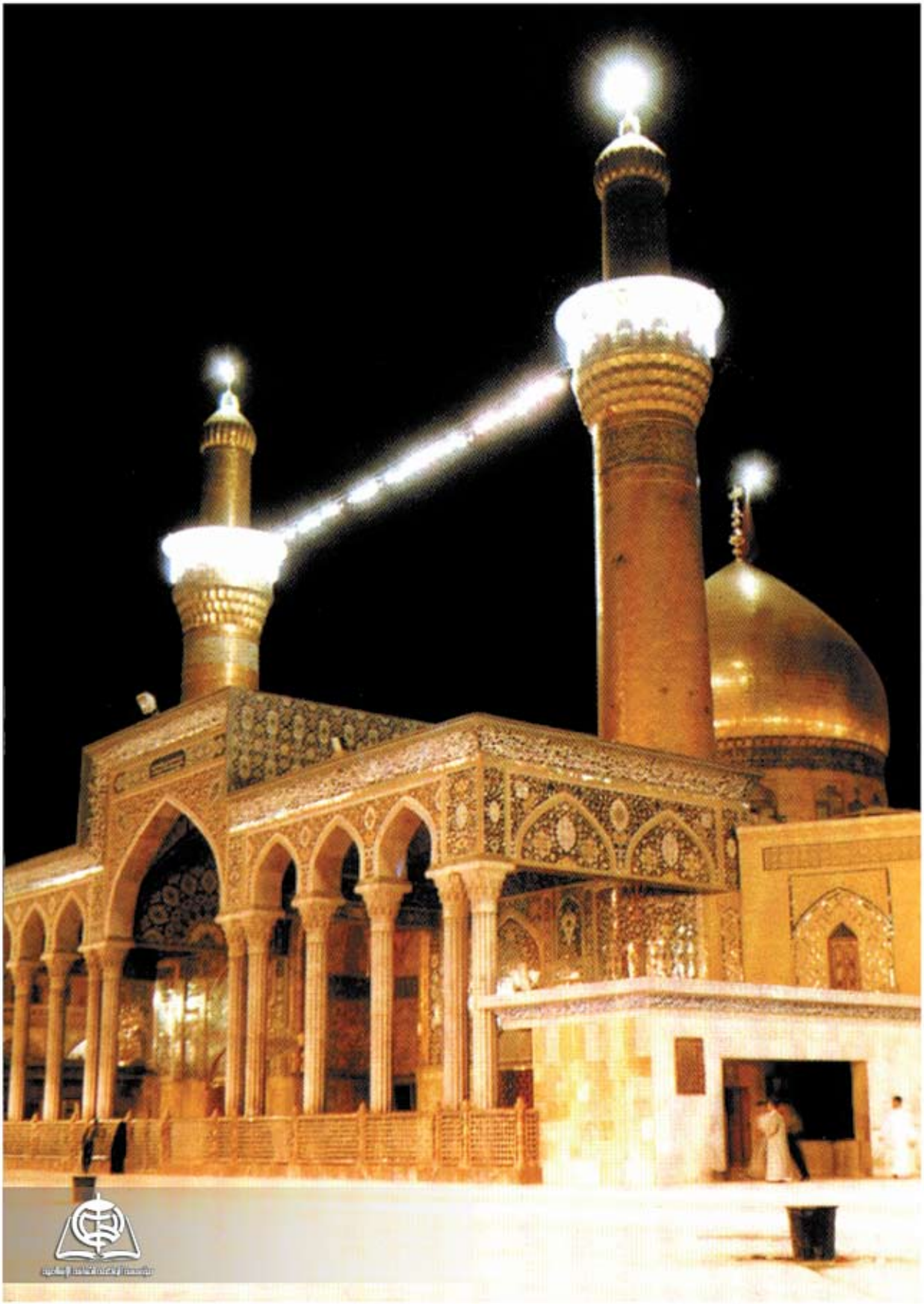

سَفينَةٌ هُوَ لِلرُكبان

• المهندس عبدالرزاق عبود الأسدي

مُوَلَّـهٌ فِي هَوىٰ سَـلْمىٰ(*) وَمُنْشَـغِلُ ... وَالقَلْـبُ فِـي نَأْيِهـا بِالوَجْدِ يَشْـتَعِلُ
حَشَاشَـتِي لَـوْ ظَمَـا تَمُّـوزَ أَلْهَبَهَـا ... مِـنْ وَجْنَتَيْهَـا سَـتُطْفِي حَرَّهَـا القُبَلُ
وَمَا سُـلَيْمىٰ إِذَا ضَاقَ الفَسِيحُ سِوىٰ ... بُسْـتَانِ أَمْـنٍ بِـهِ بِالبِشْـرِ أَنْتَقِـلُ
إِنَّـا رَفِيقَـانِ فِـي دَرْبِ السَّـمَاحِ وَلَنْ ... نَحِيـدَ عَنْـهُ إِلَـىٰ أَنْ يَنْقَضِـي الأَجَـلُ
أَنَـا وَسَـلْمىٰ فِـدَاءٌ لابْـنِ فَاطِمَـةٍ ... سِبْطِ الرَّسُـولِ الذِي بِالعَرْشِ مُتَّصِلُ

* * * * *

نَاغَـاهُ فِـي المَهْـدِ جِبْرِيـلٌ يُدَاعِبُـهُ ... وَفِـي بِشَـارَتِهِ أَهْـلُ السَّـمَا نَزَلُـوا
لَقَـدْ أَطَـلَّ عَلَىٰ هَـذا الوُجُـودِ هُدىً ... بِيَـوْمِ مَوْلِـدِهِ وَاسْـتُنْزِلَ الأَمَـلُ
فِـي حِجْـرِ خَيْـرِ عِبَـادِ اللهِ كُلِّهِـمُ ... نَمَـا الحُسَـيْنُ فَهَـلْ يَدْنُـو لَـهُ زَلَـلُ
وَالوَحْـيُ يَنْـزِلُ فِـي أَفْيَـاءِ مَنْزِلِـهِ ... فِـي كُلِّ حِيـنٍ بِنُـورِ اللهِ يَغْتَسِـلُ
وَالمُرْتَضَـىٰ حَيْـدَرٌ ذَاكَ الوَصِـيُّ لَـهُ ... مَعِينُـهُ بِكُنُـوزِ العِلْـمِ مُكْتَمِـلُ
وَفَاطِـمٌ أُمُّـهُ بِالطُّهْـرِ تُرْضِعُـهُ ... أَكْـرِمْ بِفَاطِمَـةَ مَـا شَـابَهَا خَلَـلُ

* * * * *

مِنْ أَيِّ دَرْبٍ إِلَىٰ قُدْسِ الحُسَيْنِ تُرَىٰ ... أَسِـيرُ كَيْمَـا عَلَـىٰ الأَعْتَـابِ أَبْتَهِـلُ
بِـأَيِّ مَكْرُمَـةٍ أَحْكِـي وَأَيِّ نَـدَىً ... وَأَيِّ تَضْحِيَـةٍ، تَاهَـتْ بِـيَ السُّـبُلُ
مَنْ ذَا الذِي لِحُشُـودِ البَغْيِ أَرْكَسَـهَا ... وَعَـدَّلَ الدِيـنَ إِذْ لِلْكُفْـرِ قَـدْ عَدَلُـوا

(*) سلمى ابنة الشاعر.

لَـوْلاْ فِـدٰاؤُهُ يَـوْمَ الطَّـفِّ مُحْتَسِباً ... مٰـا كٰانَ فِـي الكَـوْنِ إِسْـلاٰمٌ وَلا مُثُلُ
إِنَّ الحُسَـيْنَ لَنُـورُ اللهِ مُؤْتَلِـقٌ ... فِـي الكَـوْنِ مِنْهُ دُعٰاةُ الحَـقِّ قَدْ نَهَلُوا
سَـفِينَةٌ هُـوَ لِلرُّكْبٰـانِ مُنْجِيَـةٌ ... فَمَـنْ تَخَلَّـفَ عَنْهٰـا نٰالَـهُ الكَلَـلُ
قَـدْ زُقَّ عِلْـمَ رَسُـولِ اللهِ مُجْتَمِعـاً ... مٰـا سَـوْفَ يَأْتِـي وَمٰا قَـدْ خَبَّـأَ الأَزَلُ
مِـنَ الحُسَـيْنِ عَرَفْنٰـا أَنْ نَعِيـشَ إِبـاً ... لاٰ نَسْـتَكِينُ، وَعَيْـشَ الـذُّلِّ نَعْتَـزِلُ
فَيٰـا أَبٰـا حَمْـزَةٍ قَدْ حِـرْتُ فِـي طَلَبٍ ... فَكَيْـفَ لِـي لِـذُرىٰ عَلْيٰائِهٰـا أَصِـلُ
فِـي كُلِّ يَـوْمٍ تُرٰانِـي قَـدْ كَفَـرْتُ بِمٰا ... قٰـالَ الحُسَـيْنُ وَقٰـالَ اللهُ وَالرُّسُـلُ
فِـي كُلِّ يَـوْمٍ نَحُـدُّ السَّـيْفَ نَصقِلُـهُ ... لِقَتْـلِ مَـنْ هُـمْ بِهَـدْيِ اللهِ قَـدْ جُبِلُوا
وَأَدَّعِـي أَنَّنِـي فِـي الدِّيـنِ ذُو سَـعَةٍ ... وَمٰـا أَكَلْـتُ حـَلاٰلاً أَوْ صَفٰـا عَمَـلُ
وَإِذْ تَرٰانٰـا نُنٰـادِي يٰـا حُسَـيْنُ وَمٰـا ... لِطَبْعِنٰا عَـنْ خِصٰالِ الخُبْـثِ مُرْتَحَلُ

* * * * *

إِنّٰـا لَنَشْـكُو ضَـلاٰلاً فِـي مَسٰـالِكِنٰا ... وَآفَـةُ الدِّينِ تُـذْرِي الزَيْـفُ وَالدَّجَلُ
فَأَلْـفُ شِـمْرٍ بِهٰـذا اليَـوم نَلْحَظُهُـمْ ... لِاسْمِ الحُسَيْنِ وَأَفْكٰارِ الهُدىٰ انْتَحَلُوا
أَيْـنَ الكِتٰـابُ الـذِي مٰـازَالَ يُنبِؤُنـا ... أَنَّ الدِّمٰـاءَ حَـرٰامٌ سَـفْكُهٰا جَلَـلُ
أَيْـنَ السَّـمٰاحُ وَأَيْنَ الرِفْـقُ أَيْنَ هُدىً ... لِلْطٰاهِريـنَ وَأَيْـنَ الصِّـدْقُ وَالعَمَـلُ
مٰالِـي أَرٰانٰـا عَلـىٰ وَضْعِ الحِيٰـادِ كَأَنْ ... عَلـىٰ سِـوٰانٰا وَصٰايٰـا اللهِ تَشْـتَمِلُ
نَقُـولُ وَجْهٰـانِ لِلأَعْـدٰاءِ عِنْدَهُـمُ ... وَنَحْـنُ لِلأَلْـفِ وَجْـهٍ رُبَّمٰـا نَصِـلُ
نُلْقِـي عَلـىٰ غَيْرِنٰـا أَسْـبٰابَ فُرْقَتِنٰـا ... وَفِـي بَوٰاطِنِنٰـا الأَسْـقٰامُ وَالعِلَـلُ
فَلْنَكْشِـفِ السِّـتْرَ عَنّٰا، نَرْتَضِي وَجَعاً ... فَإِنَّمٰـا وَجَـعٌ بِالحَـقِّ مُحْتَمَـلُ
وَلْنَكْبَحِ الشَّـهَوٰاتِ الطٰائِشٰاتِ عَسىٰ ... يُعِينُنٰـا عِنْـدَ ذٰاكَ اللهُ وَالأَجَـلُ

ينابيع

مُحتويَاتُ العَدَد

قصيدة: سفينة هو للركبان ٤

كلمة العـدد ٨

قرآنيـات

أسلوب القسم وصوره في النصّ القرآني

أ. د. زهير غازي زاهد ١٠

تأسيس أئمة أهل البيت عليهم السلام لأصول منهج فهم النصّ القرآني

د. ستار جبر الأعرجي ١٦

إضاءات السيرة

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الفترة الحرجة في تاريخ الإمامة

السيد محمد علي الحلو ٢٢

آمن الرسول

أهل البيت عليهم السلام في الكتاب العزيز

السيد عبد الستار الجابري ٣٤

بحوث في أسباب الغَيْبة

السيد علاء الموسوي ٤٣

استطلاع المجلة

مدينة النيل بين الماضي والحاضر

حيدر الجد ٥٤

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٧٤

قضايا معاصرة

الدستور وطرق إنشائه ومحتواه

مهدي عابدين ٩٠

للفضيلة نجومها

الدكتور مصطفى جمال الدين أصولياً

أ. د. الشيخ صاحب محمد حسين نصّار ١٠٠

ص٤٨

ص١٠٦

ص١١٤

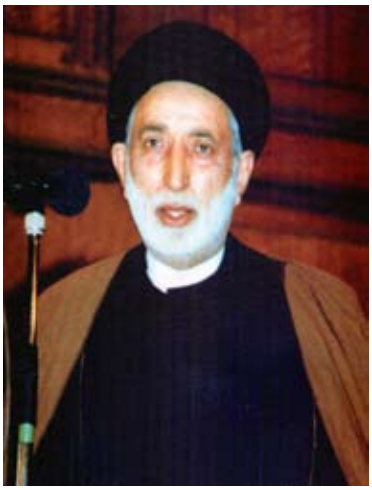

ص ١٠٠

ص ٩٠

ص ١٢٢

واحة الأدب

أثر نهج البلاغة في أدب العرب

د. هادي عبد علي هويدي ١٠٦

ابن معصوم ومنهجه في كتاب أنوار الربيع

أ. عادل عباس النصـراوي ١٠٩

في النفس والمجتمع

الدين وتنظيم الحياة الأسرية

هاشم حسين ناصر المحنك ١١٤

الكلم المحظور (المحرّم)

د. علي كاطع خلف ١٢٢

طروحات عامّة

إشكالية نظرية المعرفة

د. عامر عبد زيد ١٢٨

البصمة بين الإعجاز والتحدي

م.م. نبيل سليم تويج ١٣٤

قبس من دعاء الجوشن الصغير

د. محمد محمود زوين ٣٠

مع رحلة الشيخ البلاغي في حواره مع الأديان

حسين جهاد الحساني ٤٨

الشيخ ناصر ديلو

من (المتحولون) ٧٢

ابن حجر الهيتمي وعقيدته في المهدي المنتظر

محمد جواد فخر الدين ٨٠

لقاء مع فضيلة الدكتور الشيخ باقر المقدسي

أحمد الكعبي الطويرجاوي ١٣٨

نتائج مسابقة العدد (٥) ١٤٤

مسـابقة العدد ١٤٥

المرأة.. والحرية

بسم الله الرحمن الرحيم

عاشت المرأة في فترة ليست بالقصيرة تتحداها المجتمعات القبلية التي لم تعرف لها كياناً، ولم تزن لها أي قضية إنسانية.. مما لا يعدو إلا حسابها في عداد المخلوقات المسخرة لقضاء حوائج الرجل بشتى تفاصيلها.. فهي آلة لاستفراغ شهوته الجنسية.. وعامل مطيع في رعي الحيوانات تجوب بها الصحراء طيلة النهار.. وفي الوقت نفسه هي مرتع لردة فعله وغضبه، فتلطم في أي وقت وتضرب.. وتمتهن بشكل فظيع.. حتى بلغ الحال بها أن تدفن وهي على قيد الحياة حياءً من وجودها على وجه الكرة الأرضية..هكذا عاشت المرأة في ظل أكثر من قرن في شبه الجزيرة العربية.. تتحين الفرصة لتخفي نفسها عن أنظار المجتمع حتى تسلم على حياتها من ذلك الطغيان الجارف والجاهلية العمياء.

في ذلك الوقت وفي تلك المجتمعات العاجة بالظلم جاء نور الإسلام ليصنف الأمور حسب ما صنفها الله تعالى وأبدع خلقته فيها، فبدأ بتقريع من يفعل تلك الأفعال المشينة حيث جاء قوله تعالى:﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ فانتاب المرأة الجاهلية في شبه الجزيرة العربية ـ حينئذٍ ـ شعور بكيانها وأهميتها وأنها مخلوق مكرم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ يتمتع بحريات عديدة ضمن ضوابط معظمها مدركة لها. حتى بدأت التحولات والانقلابات ضمن المجتمع الواحد..

هكذا تحرك الإسلام بنظريته العادلة في فرض القوانين الصارمة التي فرضت نفسها في غضون سنين معدودة لما لها من الانسجام مع طبيعة البشر السليمة التي أودع الله فطرته فيها.

فالمرأة حينئذ مخلوق مكرم ومتمم لمشروع خلق البشر على الكرة الأرضية وهي تنطلق بنصف ما يحققه المشروع المذكور ويبقى النصف الآخر على الرجل واختلاف طبيعة التكوين فيها من بدائع الصنعة الإلهية، لما سبق في علمه الأزلي من حاجة الرجل لها في إتمام مسير الحياة الإنسانية التي أرادها الله تعالى.. خلق الله سبحانه هذا الكون بهذا الشكل المبهر للعقول الذي أودع فيه عظيم صنعته، لحكمة رآها سبحانه، وعلم أنها لا تتحقق إلا بهذا اللون من الخلقة فجاءت الأديان السماوية تؤكد على ذلك، كما عبّر عنه الكتاب المجيد بقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ وسخر سبحانه وتعالى ما في الكون هذا للإنسان الذي هو أكرم مخلوق فيه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وقدشاءالقديرسبحانه أن يودع في الإنسان هذه الخصائص، وميّزه بنوعين الذكر والأنثى. ثم جعل كلاً منهما يمتاز بامتيازات لا توجد في الآخر...من هذا الخضم من القوانين الكونية جاء فرض الحقوق الشرعية التي فرضها الله تعالى على كل من الرجل والمرأة، فجعل على الرجل الكفالة والصيانة، وعلى المرأة الحضانة والتربية على تفاصيل شرعية لسنا بصددها هنا، كما تمم ذلك بجعل آداب على كل منهما تجاه الآخر لتتم المسيرة الحياتية بشكل منظم حتى يتم تحقيق الغرض الحكمي من خلق البشر على وجه الأرض.

إن مقارنة التشريع الإسلامي بسائر التشريعات السماوية تجاه المرأة لا يظهر فيه أي فرق يذكر مما يدل على أن القوانين السماوية تجاه المرأة قوانين متحدة ناظرة إلى إيديولوجية المرأة بشكل عام من دون خصوصية لزمان دون زمان و لا لظرف معين دون ظرف، أما مع مقارنة التشريع الإسلامي هذا مع القوانين الوضعية للبشر نرى التباين الشديد بينهما بشكل غريب، فالمرأة في قالب الرجل وكأنهما نوع واحد من البشر.. ولا يعلم لماذا الامتياز الخلقي إذن؟! وقدجاء ذلك ـ حسب الاستقراء ـ من نظرية التحلل الخلقي وإشباع الغرائز الحيوانية لرفع كل الحواجز الشرعية والنفسية بين الطرفين لتصبح المجتمعات جوفاء خالية من كل

القيـم الإنسـانية، حتى تصبـح القوى الماديـة مهيمنة علـى مجتمعاتها بشـكل عنيف ويتم التحكـم بها من قبل أصحـاب النفوذ من الحكام وأصحاب الكنيسـة.

وأما بالنسبة لمجتمعاتنا الإسلامية فإنها بدأت تنظر للرفاه المعيشي والترف الظاهري لدى تلك المجتمعات والثراء المفرط مع إشـباع الغرائز بشـكل ممل فحصل إحساس ـ مع ضعف نفس بالقيم ـ بالحاجة إلى ما عليه المجتمعات الغربية من التحلل والميوعة وبدأنا نسـمع من هنـا وهناك صيحـات قتالية بإلحاح شـديد تدعو إلى حفـظ حقوق المرأة، فهنا جمعيـة حقوق المرأة.. وهناك رابطـة المرأة.. وفي ثالث المرأة في كذا.. وفي رابع المرأة وكذا... وهكذا. كلها تطالب بحقوق المرأة وكأن هناك حقوقاً ضائعة لتطلب في قاعات المحاكم!!.

ولعل ذلك يرجع إلى أمرين مهمين:

الأول: عدم الاعتزاز بالمبادئ الإسـلامية السـامية التي جـاء بها النبيﷺ وطرح الشـبهات التي تحوم حولها عرض الجدار، فإن معتنق الدين لابد من اعتزازه والتزامـه بجميـع أحكامـه ولا معنى لأخذ مـا يوافق متطلبـات النفس وطرح ما يخالفها فإن ذلك يرجع الى رفض الدين بأكمله.

ثانيـاً: عدم معرفـة كثير من المفاهيـم المطروحة فـي السـاحة اليوم كمفهـوم (الحريـة) أو فهم بعضها بشـكل خاطئ كـ(حقوق المرأة) وهذا راجع إلى الكم الهائـل مـن الحملات الإعلاميـة التـي تتبناها الآلات المرئية والمسـموعة والصحـف والمجلات في طرح هذه المفاهيم بشـكل يثير الأنفس والتي يقف وراءها أصحاب الأغراض السيئة ليتم توريط هذه المجتمعات بعين مـا تورطت به المجتمعات الغربيـة ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾.

لكن.. أمـا (الحرية) فإنها من المفاهيم ذات الطابع الجميـل ظاهراً واللامفهوم بشـكل محـدد باطناً، ولا مجـال هنـا للدخول فـي تفاصيله، لكن نسـأل هل أن اختيار الإنسان للدين عن قناعات تامّة، وامتثال أوامره بعد ذلك منافٍ للحرية..؟! هل أن تطبيق قوانين السماء منافٍ للحرية..؟! كيف كان تطبيق قوانين السماء منافٍ للحرية وتطبيق قوانين الأرض ـ القوانين الوضعية ـ غير منـافٍ للحرية..؟! هل الحرية فـي اختيار الرجل ضد اختيار المرأة، أو الحرية فـي اختيار المرأة ضد اختيار الرجل..؟! أسـئلة لا تجد الإجابات الواقعية والصراحة بشكل تام.

وأمـا قضيـة (حقوق المـرأة) فإنا لا نـدري ما هو الضابـط الحقيقي لذلك هل أن انشـغال المرأة بالتربية التي أنيطت بها والتي تتمثل بإنشاء جيل واع وأصحاب كفاءات من الرجال ظلم للمرأة..؟! أليس انشغال المرأة في ميادين الرجال وترك ميدان كفاحهـا ظلم لها..؟! هذا من ناحيـة، ومن ناحية أخرى هل أن صيانة المرأة مـن تعدي الآخرين واحترام جنسـها اللطيف بالحفاظ عليه ظلـم لهـا.. أم أن عرضها سـلعة يتقلبها أصحاب الدناءة والفحشـاء حرية لها..؟! أسـئلة إذا أجيب عنها تنحلّ الإشكالية العالقة بشكل أو بآخر.

وهنا لابد أن نشـير إلى قضية أخرى وهي أن القيام بالواجبـات الشـرعية والطبيعيـة لا يمكـن أن يتصف بالحيـف والظلـم أو بالعكس بوجه مـن الوجوه.. فلا يتصـف دور اليـد ـ مثلاً ـ بالفضل علـى دور العين في بدن الإنسـان.. كما لا يتصف دور الرجل بالفضل على دور المرأة أو بالعكس.. وهكذا، فإن الحيف والظلم هو في مصادرة الدور المعدّ لكل منهما، وليس في تطبيق دور كل منهما.نعـم إذا قامت المـرأة بدورها الريادي فـي أداء واجبها المقدس وتحملت العبئ الذي حملها إيـاه الإسـلام كان لهـا أن تختار أي مشـاركة أخرى ضمن الضوابط الشـرعية فإنا قد أشرنا فيما سبق إلى أن القيام بالمهام المجدولة لكل من الرجل والمرأة يحقق الغـرض الحكمي الإلهي، فلا يمنـع بعد ذلك قيام كل منهما بمهـام الآخر. بل هو من التعاون الذي حثّ عليه الإسلام، ورغّب فيه. والحمد لله رب العالمين ■

المشرف العام

أسلوب القسم

وصوره في النص القرآني

• أ. د. زهير غـــازي زاهد

ينابيع أسلوب من أساليب العربية يراد به تحقّق الجواب عند السامع وتأكيده ليزول عنه التردد أو الشك فيه. وقوامه جزءان: أحدهما القسم والآخر جملة الجواب. والقسم من أساليب الإنشاء وإن كان لفظه لفظ الخبر، ويؤدّي بأدوات أو صور. وقسموا هذا الأسلوب إلى قسمين:

١ـ الظاهر أو الصريح:

وهو ما يكون بحرف من حروف القسم أو بلفظ من ألفاظه، فما جاء بحرف القسم قوله تعالى: (والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق) الطارق:١-٢، وقوله تعالى: (والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً) الذاريات:١-٢، ومما أستدل عليه بالفعل قوله تعالى: (وأقسموا بالله جَهدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية لَيُؤمنُنَّ بها) الأنعام:١٠٩، أو يستدل عليه بما يستعمل من الأسماء لذلك مثل لَعَمرُكَ، يمينُ اللّه، أيمنُ اللّه.

٢ـ القسم المضمر أو غير الصريح:

وهو ما دلت عليه اللام المسماة باللام الموطئة للقسم أو السياق، كقوله تعالى: (لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم لَيُولُنَّ الأدبار ثم لا ينصرون) الحشر:١٢، أو دلّت عليه أفعال كقولهم: ربنا يعلم، علم اللّه، شهد اللّه، علي عهد اللّه... البرهان للزركشي ج:٣ ص:٤٢-٤٣، الكتاب ج:٣ ص:١٠٤، ١٠٥، ٥٠٢.

أحرف القسم:

أحرف القسم هي الواو والباء والتاء.

الواو:

أكثرها استعمالا في القسم، ويُجرُّ بعدها المُقسمُ به ولا يُذكر معها القسم وإنما يُقدَّر. والمقسم به قد يكون ذاته تعالى كما في قوله تعالى: (فَوَربِّ السماء والأرض إنه لحق) الذاريات:٢٣، وقوله: (فوربك لنسألنهم أجمعين) الحجر:٩٢، وقوله: (إي وربي إنه الحق) يونس:٥٣، وقوله: (قل بلى وربي لتبعثن) التغابن:٧، وقوله: (فوربك لنحشرنهم والشياطين) مريم:٦٨، وقوله: (فلا وربك لا يؤمنون) النساء:٦٥.

وقد يكون المقسم به مخلوقاته تعالى كقوله تعالى: (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها...) الشمس:١-٤، وقوله: (والنجم إذا هوى) النجم:١، وقوله: (والطور وكتاب مسطور) الطور:١، وقوله: (والفجر وليال عشر) الفجر:١، وقوله: (والتين والزيتون) التين:١. وإذا تكررت الواو بعد القسم كما في قوله تعالى: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) الليل:١-٢، فالمتكرر تكون للعطف على أقوى الآراء. شرح الكافية ج:٤ ص:٣٠٦.

الباء:

الباء أصل أحرف القسم، لأن أصلها الإلصاق فهي تلصق فعل القسم بالمقسم به، لذلك كانت أكثرها تصرفاً، فيجوز ذكر فعل القسم وحذفه معها فما ذكر معها الفعل وهو الأكثر قوله: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن) النور:٥٣، وقوله: (ويحلفون بالله لكم ليرضوكم...) التوبة:٦٢، وقوله: (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) التكوير:١٥- ١٨.

ومما لم يذكر الفعل معها وهو الأقل قوله تعالى:(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) ص:٥٢ ، وكذلك هي تدخل على الظاهر والمضمر ، فالظاهر كما مر من الآيات ، وأما على المضمر فهو من أساليب العرب كقولنا: بالله عليك لا تفعل كذا... وقد ذكر النحويون إن الباء اختصت بالطلب الاستعطاف) انظر مغني اللبيب ص:١٠٦.

التاء:

من حروف القسم وتختص باسم الله تعالى وفيها معنى التعجب. قال الزمخشري في قوله تعالى: (تالله لأكيدنّ أصنامكم) الأنبياء:٥٧ ، الباء أصل حروف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة معنى التعجب. كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه مع عتو نمرود وقهره، انظر الكشاف ج:٢ ص:٣٢١. وكذا في قوله: (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) يوسف:٧٣ ، وقوله: (قالوا تالله إنك في ضلالك القديم) يوسف:٩٥، فيها تعجب أخوة يوسف (عليه السلام) من بقاء أبيهم على حاله لم يغيره طول العهد، وقوله أيضاً: (قالوا تالله لقد آثرك علينا) يوسف:٩٢، متعجبين من منزلة يوسف عند أبيه، وقوله: (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) النحل:٥٦ ، وقوله: (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) النحل:٦٣.

ألفاظ أخرى في القسم:

هناك ألفاظ تستعمل في القسم منها أسماء ومنها أفعال فمن الأسماء (العمر) بفتح العين وسكون الميم كما في قوله تعالى:(لَعَمرُكَ إنهم لفي سكرتهم يعمهون) الحجر:٧٢. القسم هنا بحياة الرسول(ص) ، واستعلمت في العربية ألفاظ أخرى مثل: أيمنُ الله ويمينُ الله وعمرك الله وقَعدَكَ الله وأيمُ الله... والذي ورد (لعمرك) التي في الآية المذكورة. ويحللها النحويون بأن اللام في (لعمرك) لام الابتداء وعمرك: مبتدأ وخبره مقدر تقديره (قسمي) ، وذهب الفراء إلى أن جواب القسم هو الخبرمن دون الحاجة إلى التقدير ، انظر شرح الكافية ج:٤ ص:٣٠٥ ، ومن الأفعال التي توحي بالقسم ما قد ذكرت منها (يعلم الله) و(يقسم) أو (أقسم) مع أداة القسم أو (يشهد الله) ، يحلف... الخ.

مجيء (لا) قبل القسم:

يكثر وقوع (لا) قبل فعل القسم في القرآن الكريم كقوله تعالى: (فلا أقسم بالشفق) الانشقاق:١٦ ، و(لا أقسم بهذا البلد) البلد:١ ، وتقع أحياناً قبل واو القسم من دون ذكر فعل القسم كما في قوله: (فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموكَ فيما شَجرَ بينهم) النساء:٦٤ ، وحيثما جاء فعل القسم (أقسم) سبق بـ(لا) ، فكل ما ورد في نصوصه (لا أقسم).

قال تعالى: (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم) الحاقة:٣٨-٤٠ ،

ذهب بعض المفسرين إلى أن زيادة (لا) في قوله تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ تفيد التوكيد فيكون المعنى: أقسم بيوم القيامة.

وقوله: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين) المعارج:٤١-٤٢، وقوله: (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) القيامة:١-٢، وقوله: (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس... إنه لقول رسول كريم) التكوير:١٥- ١٩.

لقد كان خلاف بين اللغويين والمفسرين في دلالة (لا) هذه، فمنهم من ذهب إلى أن زيادتها تفيد التوكيد فمعنى (لا أقسم بيوم القيامة): أقسم بيوم القيامة، وقد ذكر الزمخشري إن إدخال (لا) النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم وفائدتها توكيد القسم، انظر الكشاف ج:٣ ص:٢٩١.

ومنهم من ذهب إلى أنها تزاد كما تزاد في وسط الكلام كما في قوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله...) الحديد:٢٩، وفي قوله لإبليس: (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك...) الأعراف:١٢، فالآية جاءت في موضع آخر: (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي...) ص:٧٥، فهي صلة لأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضة ببعض، انظر الكشاف ج:٣ ص:٢٩١-٢٩٢، وانظر معاني النحو للسامرائي ج:٤ ص:٥٤٨-٥٤٩.

وذهب ابن قتيبة إلى أنها زيدت على نية الرد على المكذبين قال: (وأما زيادة (لا) في قوله (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) فإنها زيدت في الكلام على نية الرد على المكذبين كما نقول في الكلام: لا والله ما ذاك كما تقول. ولو قلت: والله ما ذاك كما تقول، لكان جائزاً غير إن إدخالك (لا) في الكلام أولا أبلغ في الرد) تأويل مشكل القرآن ص:١٩١... وانظر التفسير الكبير للرازي ج:١٠ ص:١٦٣.

وقوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون) فهي على أصلها نافية لكنها نفت أمراً سابقاً يفهم من الجواب ففي قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة) كأنهم أنكروا البعث فقيل: لا، أي ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قال: أقسم بيوم القيامة.

وذهب الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عم إلى أن (لا أقسم من عبارات العرب في القسم يراد بها تأكيد الخبر كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم ويؤتى بها في القسم إذا أريد تعظيم المقسم به كأنه القائل يقول: إني لا أعظمه بالقسم لأنه عظيم بنفسه).

إن من أطال النظر في أساليب العرب وكلامهم يجد مثل هذا الأسلوب مألوفاً لديهم فذلك كما تقول لمن توصيه بشخص: لا أوصيك بفلان، تأكيداً للوصية ومبالغة في الاهتمام ثم باعتبار الثقة بينك وبين من توصيه. هذا في مجيء (لا) قبل فعل القسم وجوابه مثبت فيما ورد في القرآن الكريم، وإن كان في غير القرآن مثبتاً ومنفياً. تقول لمن طلب منك إكرام شخص: لا والله لا أكره ذلك، وتقول أيضاً لمن قال لك:

ذهب ابن قتيبة إلى أن (لا) زيدت على نية الرد على المكذبين كما تقول في الكلام: لا والله ما ذلك كما تقول، ولو قلت: والله ما ذاك كما تقول لجاز.

رأيت فلاناً كاذباً: لا والله إنه لصادق.

أما الصورة الأخرى من القسم فهي وقوع (لا) قبل واو القسم كما في قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون) فـ(لا) هنا لتوكيد النفي الذي يجيء بعد القسم، لأنه لا يكون جوابها إلا نفياً. والقول فيها: إنها إيذان بالنفي وتوكيده.

إن (لا) النافية كثيرة التصرف في الاستعمالات العربية وهي أكثر استعمالا في النفي من (ما)، فهي قد تركب مع حروف أخرى كما في (لن، ولم، ولما، وليس، ولات، وليت، ...) وقد تزاد في وسط الكلام تفهم زيادتها منا لسياق وقد تحذف من الكلام ويراد نفيها كما في قوله تعالى: بالله تفتأ تذكر يوسف) يوسف:٨٥، والمعنى لا تفتأ، ولو أريد الإثبات في هذه الحال جيء باللام كأن تقول: والله لآتينك. انظر الكتاب ج:٣ ص:١٠٥-١٠٦، ومعاني الفراء ج:٢ص: ٥٤.

جواب القسم:

إن جواب القسم هو الجزء الثاني من تركيب القسم ويكون جملة إسمية أو فعلية، فالإسمية تكون مثبتة أو منفية، فالمثبتة تؤكد بأن مشددة أو مخففة أو باللام المفتوحة أو إن واللام أو إن وحدها كقوله: (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة) الدخان:١-٣، وقوله بـ(إن المخففة واللام): (قال تالله إنْ كدتَ لَتُردين) الصافات:٥٦، وقوله بالثقيلة واللام: (فورب السماء والأرض إنه لحق) الذاريات:٢٣، وقوله مؤكداً باللام وحدها: (...فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) المائدة:١٠٧، واللام التي للابتداء و(إنّ) أجيب بهما لأنهما يفيدان التوكيد الذي لأجله جاء القسم. وأما جملة الجواب الاسمية المنفية فتصدر بـ(إنْ) النافية المنقوض نفيها كقوله تعالى: (والسماء والطارق... إنْ كلّ نفس لَما عليها حافظ) الطارق:١- ٤.

أما إذا كان جواب جملة فعلية فإن الفعل على صيغة (يفعل) مثبتاً فالأكثر يصدّر باللام مع وصله بنون التوكيد كقوله: (وتالله لأكيدنَّ أصنامكم...) الأنبياء:٥٧، أو باللام فقط كقوله تعالى: (ولئن متم لإلى الله تُحشرون) آل عمران:١٥٨، وتمتنع نون التوكيد إذا فصل بين اللام وبين الفعل فاصل مثل السين أو سوف... وإن كان فعل الجواب منفياً ذُكر من دون توكيد كقوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) النحل:٣٨، وقوله: (فلا وربك لا يؤمنون) النساء:٦٤، و(يحلفون بالله ما قالوا) التوبة:٧٤، و(...والله ربنا ما كنا مشركين) الأنعام:٢، و(لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) فاطر:٤١، أما إذا كانت جملة الجواب فعلاً ماضياً متصرفاً كان الجواب باللام مع (قد) كقوله تعالى: (قالوا تالله لقد آثرك علينا) يوسف:٩١، ولربما حذفت اللام كقوله تعالى: (والشمس وضحاها... قد أفلح من زكاها) الشمس:١- ٩. وأما إذا كان الجواب فعلاً جامداً أجيب باللام دون (قد) وذلك من أساليب العربية كقول زهير بن أبي سلمى: يميناً لنعم السيدان وجدتما...

حذف القسم:

قد يستغنى عن ذكر القسم بجوابه

فيكون القسم منوياً مقدراً وتدل عليه اللام التي في جوابه أو بما سمي باللام الموطئة للقسم التي تقع قبل الشرط فالجواب يكون للقسم الذي وطأت له قبل الشرط. انظر الكتاب ج:٣ ص:١٠٦، كقوله تعالى: (ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً من بعده يكفرون) الروم:٥١، وقوله: (ولئن لم يفعل ما آمره ليُسجنَنَّ يوسف:٣٢، وقوله: (ولئن لم تنته لأرجمنك) الروم:٤١، و(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء:٨٨، ولكن كثيراً ما تأتي اللام ونون التوكيد في أساليب التوكيد ولا يفهم منها القسم كما ذهب كثير من النحويين، فهي لمجرد التوكيد في قوله تعالى: (كلا لَيُنبذَنَّ في الحطمة) الهمزة:٤، وكذا في قوله: (ولقد صدقكم الله وعده...) آل عمران:١٥٢، وكذا في قوله: (ولقد كنتم تَمَنّون الموت قبل أن تلقوه) آل عمران:١٤٣، وقوله: ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة) التوبة:٢٥، كل ذلك من أساليب التوكيد لا القسم وإن كان القسم من صور التوكيد أيضاً.

حذف جواب القسم:

إذا كان القسم متقدماً وجوابه مقصوداً ذكر الجواب كقوله تعالى: (فوربك لنحشرنهم والشياطين) مريم:٦٨، أما إذا كان غير مقصود ذكره إنما يمكن أن يقدر من السياق أمكن عدم ذكره وتقديره كما في قوله تعالى: (ق والقرآن المجيد... بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب. ءإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد) ق:١-٣، يحتمل تقدر الجواب: إنك لمنذر بدليل قوله: (بل عجبوا أن جاءهم نذر منهم) ويحتمل أن يكون: ليبعثن، بدليل (ءإذا متنا وكنا تراباً...) ويحتمل غير ذلك مما يوحي به السياق. ونحو قوله: (ص والقرآن ذي الذكر. بل الذين كفروا في عزة وشقاق. كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم...) ص:١-٤، يحتمل أن يكون الجواب: لنهلكنّهم، بدليل قوله تعالى: (كم أهلكنا من قبلهم) ويحتمل أن يكون: لقد عجبوا من إنذارك أو ليعجبن، بدليل قوله: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) انظر تفصيل ذلك البرهان ج:٣ ص:٤٤-٤٥، مغني اللبيب ص:٦٤٦، وقوله تعالى: (والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً... يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة...) النازعات:١-٧، وتقدير الجواب لتبعثن بدليل ما بعده... انظر تأويل مشكل القرآن ص:١٧٣، مغني اللبيب ص:٦٤٦، معاني النحو ج:٤ ص:٥٦ ■

تأسيس أئمة أهل البيت (ع)

لأصول منهج فهم النص القرآني

• د. ستار جبر الأعرجي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع إن الباحث في الإرث الغني الذي تركه أئمة أهل البيت عليهم السلام في جهدهم التفسيري للنص القرآني من أجل استكناه الأصول والأسس التي رسخوها كإضاءات يفهم منها النص، وتؤشر دلالاته، يُلاحظ ان هذا الجهد يتخذ مسلكين مهمين:

١ـ المسلك المنهجي:

ويستند أولا: على أهليتهم عليهم السلام للتأسيس والتأصيل ومن ثم تفسير النص فعليها ويتضح ذلك من خلال ما يختصون به من صفات ومميزات متفردة تعطيهم هوية الأهلية الكاملة للبحث في النص بل كونهم عدْلاً له كما سيتبين في اعتقاد الإمامية مصداقا لحديث الثقلين.

وثانيا: إلى وضع الضوابط وتأصيل القواعد التي ينطلق في ضوئها المفسر لكشف دلالات النص، وآفاق التعامل معه، والنظر إليه، والموقف بإزاء مجموعة مغاليق مهمة في النص لا تكشف لكل احد، يمثل النفاذ منها المفاتيح التي (تفتح) أبواب الفهم في وجه المفسر، ليعود النص ناطقا فاعلا، ويتخذ موقعه الصحيح بوصفه محوراً تدور حوله الإفهام المختلفة، وليس تابعاً متخلفاً عن مكانته، يدور في أفلاك تلك الإفهام على الرغم من اختلافها بل تناقضها أحيانا.

٢ـ المسلك التطبيقي:

الذي يستقرئ ما ورد عنهم عليهم السلام من نصوص وروايات لتفسير النص القرآني، واستنطاق آياته، وكشف معانيه، وستتبين من ذلك أنواع المناهج التي وردت في تفسيرهم عليهم السلام، ومثلت تأصيلا للاتجاهات التفسيرية للنص، ومؤثراً في تحديد أساليب الكشف عن دلالاته، وهذا المبحث سيخوض في آفاق واسعة، وامتدادات يقتضي تتبعها للوصول إلى الهدف الذي عقد لأجله، لذا سنجد أن البحث فيه واسع يقتضي التوسع الذي لا مفر منه في التفاصيل المبحوثة في مطالبه.

أهلية التأسيس:

تقوم المنظومة الكلامية(العقائدية) للأمامية على أساس مجموعة ثوابت وركائز تمثل الأصول التي يرجع إليها لبيان الاعتقادات في أصول الدين، ومن تلك الثوابت المهمة خصوصية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ومرجعيتهم في هذا البيان، وهذه المرجعية تنطلق أساساً من خصوصية علمهم وما يتفردون به من أنواع المؤهلات.

تعتقد الإمامية على نحو الإجماع عند متكلميها باشتراط أن يكون الإمام اعلم أهل زمانه وتتمثل حدود هذه الأعلمية عندهم في(وجوب كونه عالما بجميع ما إليه الحكم فيه)[1] وإذا علمنا إن للإمام عليه السلام الولاية العامة في أمور الدنيا والدين تبين لنا مدى السعة المفتوحة لآفاق علم الإمام التي يعللها الشريف المرتضى بأنها: (وجوب كونه أعلم الناس إذ لو لم يكن عالماً لم يؤمن أن يقلب الأحكام والحدود وتختلف عليه القضايا المشكلة فلا يجيب عنها أو يجيب عنها بخلافها)[2].

وقد ورد عنهم عليهم السلام ما يشير إلى علمهم وحدوده وآفاقه ففي الكافي للكليني روي عن الإمام الباقر عليه السلام (ت:١١٤هـ) انه قال في تفسير قوله تعالى: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر/٩): إنما

نحن الذين يعلمون[٣].

ونجد تحديد ملامح هذا العلم في ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت: ١٤٨هـ) إذ يقول: (إنا أهل بيت، عندنا معاقل العلم، وآثار النبوة، وعلم الكتاب وفصل ما بين الناس)[٤] وأما حدود هذا العلم فيقول عليه السلام عنها: (والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين)[٥].

ومن أوجه ذلك العلم إنهم يعلمون أيضاً ما في الكتب السماوية الأخرى فضلاً عن القرآن الكريم وهو ما تؤكده الرواية المتفق على نقلها بين كتب الفرق المختلفة عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال: (لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم)[٦].

هذه السعة في علم الأئمة يعللها الإمام الصادق عليه السلام بطبيعة مهمة الإمامة في ما روي عنه من حديث طويل حين سأله بريهة قال: (جعلت فداك أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ - وذلك بعد ما حاججه الإمام بنصوصها - فقال عليه السلام: هي عندنا وراثة نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا ادري...)[٧].

وقد توسع متكلموا الإمامية في إثبات هذا المفهوم والاستدلال عليه كواحد من أهم أسس عقيدتهم في الإمامة وشروط لازم لها. يقول الشيخ الطوسي[٨]: (ومما يدل على إن الإمام يجب أن يكون عالما بجميع أحكام الدين ما ثبت من كون الإمام حجة في الدين وحافظاً للشرع).

ومدى علمه ومرتبته في زمان وجوده تتمثل في أن لا يكون هناك من هو اعلم منه؛ لأنه هو الحجة على العباد فوجب أن يكون اعلم الخليقة) كما نقل المسعودي عن الإمامية[٩].

ومن أجلى مصاديق علم الأئمة عليهم السلام بهذه الحدود ما تمثل في علمهم بالقرآن وتفسيره وتأسيس أصول العقيدة انطلاقاً من آياته الكريمة، بل ان الأئمة عليهم السلام في نظر الإمامية هم عدل للقرآن لن يفترقوا عنه حتى يرث الله الأرض ومن عليها كما يفهم من الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله:(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)[١٠].

وتتحدد العلاقة بينهما من الرواية الأخرى عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام في حديثه عن أهل البيت: (وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته والثاني كتاب الله فيه تبيان كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالمعول علينا في تفسيره لا تظنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله مقرونة)[١١].

إن أهل البيت عليهم السلام يعلمون ما في الكتب السماوية فضلاً عن القرآن الكريم وهو ما تؤكده الروايات المتفق على نقلها بين كتب الفرق المختلفة.

فهم عليهم السلام وحدهم العارفون بمحكم الكتاب ومتشابه وإذا كان غيرهم يشاركهم في فهم المحكم فان

المتشابه وإذا كان غيرهم يشاركهم في فهم المحكم فان المتشابه مما لا يعرف تأويله معهم احد كما هو مقتضى الروايات عنهم فهم وحدهم الراسخون في العلم الذين وصفتهم الآية فقد روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال في تفسير قوله تعالى(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) (آل عمران/٧): (هو أمير المؤمنين والأئمة[١٢] عليهم السلام وطريقهم إلى هذه المعرفة أو التلقي والوراثة عن الرسول صلى الله عليه وآله كما يصفه الشيخ الطوسي[١٣].

فعلم الأئمة بالقرآن بعامة والمتشابه منه بخاصة مستمد من هذا الطريق كما هو مدلول الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية المتشابه قال: (فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما انزله عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلم تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله)[١٤] هذا الرسوخ يراه الإمامية أجلى مصاديق خصوصية الأئمة عليهم السلام في فهم القرآن حق فهمه وهو المعبر عنه في نص القرآن الكريم بقوله تعالى: (لا يمسه إلا المطهرون) (الواقعة/٧٩)، وهم يؤكدون هذا الاختصاص بتفسير القرآن بعضه ببعض ليستدلوا على اختصاصهم بصفة التطهير وذلك في قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (الأحزاب/٢٣).

والطهارة المقصود في الآيتين (طهارة نفس الإنسان في اعتقادها وإرادتها، وزوال الرجس عن هاتين الجهتين، ويرجع إلى ثبات القلب فيما اعتقده من المعارف الحقة... من غير تمايل إلى إتباع الهوى ونقض ميثاق العلم، وهذا هو الرسوخ في العلم)[١٥].

وهذا الأمر يمثل ركيزة الأهلية الكاملة لتفسير النص القرآني في اعتقاد الإمامية وهو ما تؤكده طبيعة المعية بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن في حديث الثقلين إذ مقتضى الحديث إنهم عليهم السلام العالمون بتفسيره، وتأويله، وظاهره، وباطنه، وعدم انفكاك احدهما عن الآخر.

وقد تصدى الأئمة عليهم السلام لتأكيد هذه الصلة فضلاً عن تأكيد الأهلية الخاصة بهم في استيعاب واستكناه معانيه واستنطاق آياته لتعبر عن نفسها فيعود كشفهم لمعاني الآيات وصولاً إلى مراد الله تعالى منها وهو ما تؤكده الروايات الواردة عنهم في بيان إنهم هم الراسخون في العلم الذين قصدتهم الآية أو في الأقل إنهم أجلى المصاديق التي ينطبق عليها معناها فهم لا يغيب عنهم شيء من علم الكتاب إذ يعلمونه كله. أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (قال الذي عنده علم من الكتاب إنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) (النمل/٤٠) قال: وعندنا والله علم الكتاب كله)[١٦].

إن (الرسوخ) يمثل الركيزة الأهلية الكاملة لتفسير النص القرآني في اعتقاد الإمامية وهو ما تؤكده طبيعة المعية بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن.

ولابد للكشف عن حقيقة هذه الأهلية - وتأكيد واقعيتها في إظهار الفهم الإمامي لها

ـ من الكشف عن الطريق في حصول علم الأئمة عليهم السلام بعد أن تعرفنا على طبيعته وحدوده.

طريق علم الأئمة:

بإمعان النظر في مصدرين رئيسين في الفكر الإمامي وهما:

أ ـ الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام.

ب ـ كتب متكلمي الإمامية وعلمائهم، تتبلور أمامنا مجموعة طرق تمثل المعين الذي يستقي منه الإمام علمه تتمثل في:

١ـ الأخذ عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: قال الشيخ الطوسي (الإمام لا يكون عالماً بشيء من الأحكام إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ ذلك من جهته)[١٧].

ويكون هذا الأخذ عنه إما من الكتاب الكريم الذي يتلقاه وحياً أو ما يورد عنه صلى الله عليه وآله من الأحاديث الشريفة وهم عليهم السلام أفضل الأسانيد في نقلها ولذلك فهم يحكمون بصحة أي حديث إذا وافق سنة النبي صلى الله عليه وآله وإلا ترك. قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا فالذي جاءكم به أولى به)[١٨].

٢ـ الإمام السابق اللاحق: حيث يكون كل إمام مصدراً في تلقين العلم إلى من بعده[١٩].

يرى الإمامية إن هذا الطريق هو سبيل الإمام إلى العلمي في حال استجد شيء للإمام لم يتبين من الطريقين السابقين وهذا الطريق يتمثل في أن للإمام قوة قدسية يتلقى بها الإلهام أودعها الله تعالى فيه (فمتى توجه إلى شيء أو شاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي (فإنه) لا يخطئ فيه ولا يشتبه)[٢٠] إذ إن تلك القوة القدسية تكون عنده في غاية الكمال وتحجبه عن الحاجة إلى غيره وسلوك السبيل التحصيلي النظري، أو الحاجة إلى البراهين والاستدلالات العقلية التي يتبعها غيره في سبيل تحصيل العلم إذ من لوازم إمامته أن لا يسأل عن شيء فيقول لا أعلم، وأن لا يحتاج في علمه إلى أحد غيره وإلا لزام الدور وهو باطل. وقد وردت العديد من الروايات عن الأئمة عليهم السلام في أن الإمام يعلم حين يشاء أن يعلم[٢١].

ومن استعراض صور العلم عند الأئمة عليهم السلام نلاحظ أنها تتخذ صورتين[٢٢]: فهو فعلي مرة يستمد من الرسول صلى الله عليه وآله الذي طريقه الوحي أو من الإمام السابق، وإرادي أخرى بمعنى إن الإمام إذا أراد أن يعلم شيئاً يعلمه بعد أن لم يكن عنده بمعنى إنه لا يعلمه قبل الإرادة ■

---

(١) ظ الشريف المرتضى: الناسخ والمنسوخ (مخطوط) مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة (٥/١٣٨٦)، الطوسي: الاقتصاد ٣١٠، العلامة الحلي: الألفين في إمامة أمير المؤمنين ١٢٤.

(٢) انظر: المحكم والمتشابه ٧٩ـ٨٠ طبع حجر إيران ١٣١٢هـ.

(٣) ظ الكافي (الأصول) ١: ٢١٢، دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٤) المفيد: الاختصاص ٣٠٣ المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ط١ ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

(٥) ابن شهر آشوب (محمد بن علي ت: ٥٨٨هـ): مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).

(٦) البحار ٨٩: ٨٧، تفسير العياشي ١: ١٥، القوشجي، علاء الدين علي بن محمد (ت: ٧٨٩): شرح تجريد الكلام، طبع حجر إيران ١٣٠١هـ.

(٧) الصدوق: التوحيد ٢٧٥.

(٨) تلخيص الشافي ١: ٢٧١ تعليق السيد حسين بحر العلوم مطبعة الآداب، النجف ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
(٩) ظ: مروج الذهب ٣: ١٥٦ القاهرة ١٩٥٨م.
(١٠) مسند الإمام احمد ٣: ١٧، صحيح مسلم ٣: ٣٧، سنن الترمذي ٥: ٣٢٨، الصدوق: إكمال الدين ٣٧٢ طبع حجر طهران د.ت.
(١١) الطوسي: الأمالي ١: ١٢١ مطبعة النعمان/ النجف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
(١٢) أصول الكافي: ١: ٤١٥.
(١٣) تلخيص الشافي: ١: ٢٥٣.
(١٤) المجلسي: البحار ٧: ٣٩.
(١٥) الطباطبائي: الميزان ٣: ٥٤-٥٥.
(١٦) الكليني: أصول الكافي ١: ٢٢٩.
(١٧) تلخيص الشافي: ١: ٢٥٣.
(١٨) الكافي: ١: ٦٩.
(١٩) المظفر: عقائد الإمامية ص٦٧.
(٢٠) عقائد الإمامية ص٦٧.
(٢١) انظر: المحسني، محمد آصف: صراط الحق في المعارف الإسلامية والأصول الإعتقادية ٣: ٣٥٠، مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
(٢٢) المحسني: صراط الحق ٣: ١٧١ (بتصرف).

خير الناس

روى أبان بن عياش، قال: سألت الحسن البصري عن علي عليه السلام. فقال:

ما أقول فيه! كانت له السابقة، والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة، إن عليّاً كان في أمره عليّاً، وصلى عليه!

فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: (صلّى عليه) لغير النبي صلى الله عليه وآله؟!.

فقال: ترحّم على المسلمين إذا ذكروا، وصلّ على النبي وآله وعلى خير آله.

فقلت: أهو خيرٌ من حمزة وجعفر؟

قال: نعم.

قلت: وخيرٌ من فاطمة وابنيها؟

قال: نعم، والله إنه خير آل محمد كلهم، ومن يشك أنه خير منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وأبوهما خير منهما»! ولم يجر عليه اسم شِرْك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: «زوّجتك خير أمتي»، فلو كان في أمته خيرٌ منه لاستثناه، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فآخى بين عليّ ونفسه، فرسول الله خيرُ الناس نفساً، وخيرهم أخاً.

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال إنك قلته في عليّ؟

فقال: يا ابن أخي، أحقِنُ دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لسالَتْ بي الخُشُب.

مناظرات في الإمامة ص:١٣٢.١٣٣

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

الفترة الحرجة في تاريخ الإمامة
بين تغييب فكري وتغييب جسدي

• السيد محمد علي الحلو
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع ما أن تحركت الخلايا السرية للتنظيم العباسي بزعامة أبي مسلم الخراساني الخفي، حتى بدت ظاهرة الشعارات البراقة ترفع بشكل يثير رغبة المحرومين في الانتماء إلى مثل هذه الحركة التي سرعان ما أخذت في الانتشار والتوهج وكانت مظلومية أهل البيت عليهم السلام وحقوقهم المغدورة اللافتة العريضة التي تعاطت معها الحركة العباسية، كان شعار الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله يثير فضول جميع الحركات المعارضة للنظام السياسي وقتذاك، بل كان ذلك حافزاً في انتماء الكثير من الحركات الطموحة في إسقاط النظام... بل لعلنا لا نبالغ في القول أن لهذا الشعار أثره في انصهار أكثر الحركات المعارضة للنظام وانضوائها تحت لواء الحركة العباسية التي اجتاحت غالبية البلدان الإسلامية.

إذن كان لهذا الشعار أثره في إنجاح الحركة العباسية وإمكانية قيام دولتها التي امتدت إلى قرون... وإذا كان الأمر كذلك فما هي العلاقة بين النظام العباسي الرافع لشعار (الرضا من آل محمد) وبين أهل البيت عليهم السلام ؟

يمكن القول أن النظام العباسي قد جعل في أوليات عمله السياسي الالتفاف على حركة أهل البيت عليهم السلام وتغييبها بشكل مثير.

فآل البيت عليهم السلام لم تخدعهم شعارات (الرضا من آل محمد) بلافتته العباسية، وهم لم يدخلوا في أي من التحالفات السياسية القائمة بل آثروا البقاء قادة يقودون الأمة من مواقعهم ويهيمنون على الشارع الإسلامي بكل اتجاهاته حتى أن النظام يضطر أحياناً للخضوع لرغبة الأمة في الإبقاء على سلامة الإمام الصادق عليه السلام حين يقرر المنصور العباسي تصفيته، وسرعان ما يتراجع عن قراراته، ولم تنته هذه العلاقة على خير حتى ختمت بتصفية الإمام الصادق عليه السلام على يد المنصور العباسي.

لم يتعرض الإمام عليه السلام إلى السجون من قبل النظام، نعم كانت أنفاس الإمام عليه السلام محسوبة وحركاته ترصدها العيون وأقواله تؤّل في غير صالح الإمام عليه السلام للوقيعة به على أي حال، في الوقت ذاته تعرض الإمام الصادق عليه السلام إلى الإقامة الجبرية في منزله مع تحفظات النظام في التعامل مع الإمام وأتباعه وينتهي الأمر بشهادة الإمام عليه السلام على يد النظام العباسي الاستبدادي من قبل المنصور العباسي.

لم تبق هذه العلاقة على حالها أيام الإمام الكاظم عليه السلام في عهد هارون الرشيد بل تطورت العلاقة إلى حالة أكثر تشنجاً واتخذت الإجراءات الأمنية أيام الإمام الكاظم عليه السلام حتى دعت سياسة الاعتقالات التي انتهجها الرشيد العباسي إلى زج الإمام عليه السلام وأتباعه في سجون النظام دون أي مبرر قضائي، بل لمجرد خطوات احترازية وعمليات استباق أمني فرضها النظام على تحركات الإمام عليه السلام، حتى أن المؤرخين أحصوا عدد المرات التي أودع الإمام الكاظم عليه السلام في السجن إلى أربعة عشرة مرة ضمن فترات متقاربة.

وانتهى الأمر إلى تصفية الإمام الكاظم عليه السلام في زنزانة قاسية يديرها جلاد نصراني يدعي الإسلام وهو السندي بن شاهك الذي أذاق الإمام عليه السلام غصص

الاعتقال والقهر تنكيلاً بالإمام عليه السلام وإرضاءً للرشيد الذي أزعجه وجود الإمام عليه السلام حياً إلى وقت متأخر من حكومته.

يمكننا الآن أن نتساءل عن دوافع هذه السياسة الطائشة التي ارتكبها النظام في حق الإمام الكاظم عليه السلام وأسباب الاعتقالات المتكررة التي تعرض إليها الإمام عليه السلام دون مسوغ شرعي أو مبرر قانوني...

وما الذي دعا الرشيد العباسي إلى انتهاج هذه السياسة الظالمة مع الإمام عليه السلام وما الذي دعاه بعد ذلك إلى اتخاذ قراره الطائش في تصفية الإمام عليه السلام؟

يمكن إجمال هذه الأسباب كالآتي:

أولاً: في عصر الرشيد العباسي، لم يكن هناك توازن بين نظرة الأمة لآل البيت عليهم السلام وبين نظرتها للنظام الحاكم، فقد كان هناك تخلخلاً في النظرة القائمة بين العامة وبين النظام الذي قدم أطروحته (النسب والخلافة الإلهية) حيث قامت المعارضة العباسية ـ كما أسلفنا ـ إبان العهد الأموي على أن العباسيين هم الأولى من غيرهم بالخلافة للقرب النسبي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، ورفعت شعارات النسب هذه فكانت لها آثار ملحوظة على صعيد العلاقة بين المعارضة وبين الأمة، التي قارنت بينها وبين بني أمية فأعطت الأولوية للبيت العباسي القريب بنسبه لرسول الله صلى الله عليه وآله، ونجحت إلى حد ما أطروحة النسب في الفترة الأولى للحكم العباسي، وكان العباسيون قد استعملوا أسلوب المزج بين رؤيتين للحصول على رؤية واحدة يتقدمون فيها لإحياء مشاريعهم سواء تلك الداعية لمعارضة الأمويين، أو الداخلة ضمن هيكلية سياستهم، فقد حاولوا المزج بينهم وبين العلويين وقربهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، فحصلوا على دفعة من التأييد الشيعي وقوى المعارضة المسلحة الأخرى، مهدت لهم سبل المعارضة السياسية والفكرية ضد الأمويين، وأنهت الصراع بعد ذلك لصالحهم، فلما تمكنوا من الحكم اقتضت السياسة أن تكون العلاقة المصيرية بينهم وبين العلويين علاقة رسمية سطحية، فلما توغلوا في تثبيت أركان دولتهم فرضت أطروحات جديدة على الواقع السياسي، وهي تحويل هذه العلاقة الرسمية إلى علاقة معارضة فكرية بينهم وبين العلويين وذلك بعد ما رأوا أن أطروحة (النسب والخلافة الإلهية) تتجه لصالح العلويين، وغدت الأمة تحدد علاقتها بين البيتين على أساس السلوكية الحياتية والمنهجية الفكرية لقيادتيهما، وتوجهت طموحات الأمة لآل البيت عليهم السلام، فتعاملوا معهم إلى أنهم أهل الوحي وحملة الكتاب، وتحددت العلاقة بين الأمة وبين العباسيين على أنهم رموز لسياسة حكم قائمة ضمن الأطروحات السياسية الأخرى، وتفاقمت هذه الأزمة، وخشيت السلطة العباسية من استفحال الأمر بعدما أحست بالعزلة الشعبية وعلى كل المستويات، فراحت تعالج الأمر بالرد السلبي المعاكس، وانتهجت سياسة جديدة فرطت فيما بعد بشعاراتها القائمة على استرداد حقوق آل علي المهضومة، فعكفت على سياسة (تغييب الأشخاص) وذلك بزج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في السجون من قبل الرشيد العباسي، لفترات

تقصر وتطول تبعاً للمنهجية التي يتخذها النظام أو ما يفرضه الظرف السياسي القائم.

ثانياً: كانت الإخفاقات السياسية للنظام التي تسجلها حالات الثورة وحركات التمرد، أو الإخفاقات المسجلة على المستوى الاجتماعي كمظاهر الترف والمجون الذي شاع في المجتمع الإسلامي نتيجة للابتذال الذي يرتكبه بلاط الخلافة العباسية على مستوى الحفلات الماجنة التي يقيمها البلاط وتسربت هذه الحياة إلى الشارع الإسلامي ليسجل انعطافاً واضحاً في الرؤية الإسلامية العامة على مستوى الأمة، فضلاً عن الإخفاقات التي منّي بها النظام لحلّ الأزمات الاقتصادية المتفاقمة والتي تعاني منها قطاعات واسعة من الأمة، كل هذه الإخفاقات سجلت هزيمة كبيرة للقيادة العباسية بزعامة الرشيد، ولكي يلقي النظام تبعات ذلك على غيره من القوى المعارضة عمد إلى التضييق على القيادة العلوية المتمثلة بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام لشعور الرشيد بخيبة أمل تكاد تقتلع نظامه من أصوله لإحساس النظام بالنقمة الجماهيرية التي تتصاعد ضد هذه السياسة غير المسؤولة ولعلّ هذه النقمة تجد متنفساً في ظل قيادة رشيدة توجهها إلى حيث الإطاحة بالنظام، لذا فهزيمة الرشيد ترجمتها حالات الاعتقال المتكرر الذي ارتكبه ضد الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام ليفصله عن قواعده العريضة وليقطع الطريق على أية معارضة محتملة بقيادة الإمام عليه السلام.

ثالثاً: امتاز الإمام موسى بن جعفر عليه السلام برؤية ثورية أرعبت النظام ونمط في المعارضة الرشيدة أربكت معها كل حساباته وذلك حين بدا عليه السلام معارضاً حقيقياً بأسلوب هادئ يستل معه اعترافات النظام ويملي عليه حقوقه المغتصبة، وهو أهم إنجاز يحققه الإمام عليه السلام على مستوى المعارضة، ففي محاججته لفضح النظام وإقراره بأحقية أهل البيت عليهم السلام تعاطى الإمام الكاظم عليه السلام مع قضية فدك وأحيى معارضة أمه فاطمة الزهراء عليها السلام التي فضحت النظام وقتذاك من خلال قضية فدك حيث حاولت عليها السلام إلى الأخذ بالإقرار بوارثها فدك ليتسنى لها إقرار أحقية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد أن أذعن النظام بحجيتها وشهادتها، فإذا أقروا بصحة شهادتها في أحقية فدك فإنهم بالملازمة يقرون بأحقية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما تحمل شهادة الزهراء عليها السلام من حجية إلهية جديرة بوضع الأمور في نصابها.

هكذا كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يملي على النظام أحقيته في الخلافة من خلال مطالبته بفدك، فقد روى الكليني في الكافي والشيخ في التهذيب بإسنادهما عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يرد المظالم، فقال يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا تُرد، فقال له وما ذاك يا أبا الحسن قال: إن الله لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله (وآت ذا القربى حقه) فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم فراجع في ذلك جبرائيل عليه السلام ربه فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة

إن الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاؤها فأتته فسألته أن يردها عليها، فقال لها: أأتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن فشهدوا لها فكتب لها بترك التعرض فخرجت والكتاب معها فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرنيه فأبت فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف أبوك فضعي الحبال في رقابنا، فقال له المهدي: يا أبا الحسن حُدها لي، فقال حد منها جبل أحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل، فقال له: كل هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب فقال: كثير وأنظر فيه[1].

وهي إشارة واضحة إلى أن كل ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وكل ما لرسول الله صلى الله عليه وآله من هذا القبيل فهو لابنته فاطمة عليها السلام حالها حال فدك، إذن فالدولة الإسلامية مآلها إلى فاطمة عليها السلام والى من يرث فاطمة من أهل بيتها المعصومين عليهم السلام هكذا أرعب المهدي العباسي من مطالبة الإمام عليه السلام بحقوقه المغتصبة وهي حاكميته السياسية على الدولة الإسلامية، وقد فهم المهدي العباسي إشارة الإمام عليه السلام إليه بعدم شرعيته في السلطة ووجوب تنحيه شرعاً وقانوناً لأن ذلك يعد وثوباً غير شرعي على حقوق الحاكم الشرعي للدولة الإسلامية وهو الإمام المعصوم عليه السلام.

لم تنته هذه المطالبة من قبل الإمام موسى بن جعفر بحقوقه في فدك والتي هي حقوقه لقيادة الدولة الإسلامية، فتكررت هذه المطالبة أيام الرشيد العباسي، إلا أنها بمنحى آخر، حيث بادر الرشيد إلى تحديد فدك من قبل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ليستشف من خلال ذلك رؤيته في المعارضة وهل لا يزال الإمام عليه السلام يخفي تطلعاته في تحقيق قيادته السياسية للدولة الإسلامية؟ وهل كانت محاولته مع المهدي العباسي في تحديد فدك قضية عابرة أم هي رؤية حقيقية يتبناها الإمام عليه السلام لذا حاول الرشيد العباسي معرفة توجهات الإمام الكاظم عليه السلام في عدم إقرار الشرعية للرشيد العباسي ومن على شاكلته في قيادتهم للدولة الإسلامية.

فقد روي في البحار عن المناقب أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: حدْ فدكاً حتى أردها إليك فيأبى حتى ألح عليه فقال عليه السلام: لا آخذها إلا بحدودها قال: وما حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردها، قال: بحق جدك ألا فعلت؟ قال: أما الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: إيهاً، قال: والحد الثاني سمرقند فاربد وجهه قال: والحد الثالث أفريقيا فاسود وجهه وقال: هيه قال: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر الأرمينية قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحوّل إلى مجلسي. قال موسى: قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردها فعند ذلك عزم على قتله[2].

ويبدو لي أن هذه الحادثة لم تكن

وحدها كافية في تيقن الرشيد بثورية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، بل قرأ فيه توجهاته الثورية كآبائه الطاهرين عليهم السلام في العديد من مواقفه المعارضة للنظام، إلا أن الرشيد يعيش نشوة النصر الموهوم ويجد أن ملكه لا ينبغي لأحد من قبله من آبائه ولا من بعده من أبنائه لذا فقد كان جدّ حريص على تذليل عقبات نجاحه المزعوم وتصفية خصومه بما يحقق له إمكانية السيطرة على أي خطر محتمل، وإذا كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قائد التغيير ـ في نظر الأمة ـ فإن خطورة الإبقاء على حياته يوازي خطورة الإبقاء على تمرد عسكري عارم، أو نار تلتهم كل شيء، هكذا كانت هواجس الرشيد وهكذا كانت أحاسيسه كذلك إزاء الإمام الكاظم عليه السلام، لذا فقد كان تكرار حبسه عليه السلام بين فترة وأخرى من قبل الرشيد تخفيفاً لهذه الهواجس وتأكيداً على هزيمة الرشيد الطموح الذي امتاز عن أسلافه بتوجهاته العريضة في بلوغ ملكه أقاصي الأرض وهو ما يكشفه خطابه عند مرور السحاب (أينما تمطرين ففي أرضي) وهو شعار توسعي يكشف عن روح استبدادية لا تسمح لأي احتمال يهدد طموحاتها ما لم يتخذ الإجراءات الاحترازية اللازمة لتبديد مخاوفه والتخفيف عن الأزمة الخانقة التي يعيشها.

لم يكن ذلك مبرراً في ارتكاب الرشيد أبشع مغامراته في التعرض للإمام عليه السلام وإيداعه السجن بين الفترة والأخرى لتنتهي بتصفيته جسدياً، بل لم يكن مبرراً كذلك تصفيته الفكرية للإمام عليه السلام، فالرشيد الذي أعد خطته لإيقاف امتداد تأثير الإمام عليه السلام على الأمة يستعد بعد عملية التغييب الجسدي إلى عملية مبرمجة من التغييب الفكري، ففي تقييمه الرجالي ذكر الذهبي عند تعرضه للإمام موسى بن جعفر عليه السلام ما نصه: (موسى بن جعفر بن محمد بن علي العلوي الملقب بالكاظم، قال ابن أبي حاتم: صدوق إمام، وقال أبوه أبو حاتم الرازي: ثقة إمام، قلت: روى عنه بنوه، علي الرضا وإبراهيم وإسماعيل وحسين، وأخوه علي ومحمد، وإنما أوردته لأن العقيلي ذكره في كتابه وقال: حديثه غير محفوظ، يعني في الإيمان قال: الحمل فيه على أبي

الصلت الهروي، قلت: فإذا كان الحمل فيه على أبي الصلت فما ذنب موسى تذكره[٣].

هكذا حاول العباسيون ومن انتمى إلى مدرستهم بمحاولة التقليل من شأن أئمة أهل البيت عليهم السلام وذلك بتصفيتهم عبثاً أو الإعراض عنهم عناداً وتكبراً، ومحاولة العقيلي إحدى الرهانات الخاسرة في أبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم وممارسة أدوارهم القيادية، وتبقى الإخفاقات التي سجلتها الذاكرة التاريخية تطارد منهجيتهم بكل إدانة.

وفي معرض ذكره لسجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لم يتورع الذهبي عن كل ما من شأنه أن يحط من سمعة الباحث الموضوعي حتى يروي حادثة سجن الإمام الكاظم عليه السلام بهذه العقلية الساذجة فقال: حج الرشيد فحمل معه موسى من المدينة إلى بغداد، وحبسه إلى أن توفي، غير مضيق عليه[٤]. قال الذهبي: بلغنا أنه بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة كانت: أنه لن ينقضي عني يوم من البلاء، إلا انقضى منك يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس فيه انقضاء، يخسر فيه المبطلون[٥].

وهو تناقض لا يمكننا حلّه إلا على أساس محاولات التغييب الفكري التي تورط فيها كثير من المؤرخين، وإمكانية التقليل من شأن ما يرتكبه الرشيد من جرائم بشعة في حق الإمام عليه السلام فضلاً عن تهميش شخصيته الإلهية، ولعلك تتفق معي إذا ما قرأت النص التغييبي الآخر: قال الذهبي في تاريخه: كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، وكان سخياً، يبلغه عن الرجل يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار، وكان يصرر الصرر مائتي دينار أو أكثر ويرسل بها فمن جاءته صرة استغنى.

قلت ـ والكلام للذهبي ـ: هذا يدل على كثرة إعطاء الخلفاء العباسيين له، ولعل الرشيد ما حبسه إلا لقولته تلك: السلام عليك يا أبه فإن الخلفاء لا يحتملون مثل هذا[٦].

وإذا كان الإمام عليه السلام يستغني سائله أو من يصله بصرره التي يبعث بها إليهم فكيف يعتمد في عطاءاته هذه على ما يرسله إليه بنو العباس، وهي محاولة لنقل فضيلة سخائه عليه السلام إلى بني العباس.

إنها محاولات خاسرة لا ينبغي أن تجد لها مكاناً في مشاريعنا التثقيفية ونحن في صدد الوقوف على مجريات التاريخ الإسلامي بكل حقائقه المشرقة.

إنها إلغاء لكل القيم الإلهية وهذا ما لم ولن يتم مهما فعلت أساليب التغييب الجسدي ومحاولات التغييب الفكري لأئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، فإنه نور الله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ■

---

(١) الكافي ج:١ ص:٥٤٣، والتهذيب ج:٤ ص:١٩٩.
(٢) بحار الأنوار ج:٤٨ ص:١٤٤.
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج:٤ ص:٢٠١.
(٤) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام للذهبي حوادث ووفيات ١٨١-١٩٠، دار الكتاب العربي.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

من كرامات الإمام الكاظم عليه السلام

جـرت للإمام الكاظم عليه السلام كرامات عديدة مشـهورة، عرفت عند العـام والخاص وعند أهل بغداد خصوصاً، ومنها ما ذكرها السيد كمال الدين المقدس الغريفي في مقدمة كتابه (**الصحيفة الموسوية المقدسة**) فيقول:

إن امرأة من أهل باب الشـيخ ببغداد كانت تمتلك عقارات كثيرة وكان بينها وبين بني عمّها خصومات ومنازعات أدّت لدخولها إلى المحاكم فكانت تمكث القضية فيها شـهوراً بين أخذ ورد، فقصـدت للمشـاهد الموجودة في بغداد، راجية أن يسـاعدها الله بحـق أصحابها في قضاء حاجتها وجعل الحكم لصالحها، فما اسـتجيب لها. فقيـل لها: لماذا لا تقصدي باباً من أبواب الله تعالى وهو الإمام موسـى بن جعفر عليه السلام؟ فاستجابت وذهبت لزيارة الإمام عليه السلام وشكت له الحالة ـ حالة العقارات ـ وما حلّ بها ثم أردفت قائلة: (يا إمام الشيعة هذا حالي) ورجعت إلى بيتها، فلما صار وقت الليل نامت في فراشها وإذا بها ترى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يخاطبها قائلاً: «**يا أمة الله انطلقي إلى دار ولدي السـيد عباس الموسـوي الذي يسكن محلة الآل في الرصافة، فعنده تخميس لشـعر الحاج محمد جواد البغدادي، خذي التخميس وألقيه في الضريح**» فاسـتيقظت من نومها وهي لم تعرف السيد عباس مسبقاً، واتجهت من ساعتها نحو منطقة صبابيغ الآل، فأخذت تسـأل عن داره إلى أن وصلت إلى داره فطرقت الباب وإذا بزوجة السـيد تسـألها عن سبب مجيئها. فقالت: عندي مسألة مهمة فذهبت وأيقظته ثم أذنت للمرأة أن تدخل فبادرها السـيد قائلاً: ما حاجتك في هذا الوقت المتأخر من الليل؟ فقالت: جدّك موسـى بن جعفر عليه السلام أرسـلني إليك وقال لي: خذي التخميس من ولدي السيد عباس الذي يسكن صبابيغ الآل، وألقيه في الضريح تقضى حاجتك، فأجابها السيد: والله لقد خمست البيتين هذه الليلة ولا يعلم به إلا الله، فأخذته وانطلقت نحو الضريح وألقته فيه، وفي وقت الزوال من ذلك اليوم حُكم لها بذلك العقار وسجل باسمها ببركة الإمام عليه السلام.

والتخميس مشـهور ليومنا هذا، فما كتبه مهموم وألقاه في الضريح إلا وانقضت حاجته وهو:

لَمْ تَزَلْ لِلأنـــام تُحسِنُ صُنْعـاً ... وَتُجـيرُ الذِي أَتـــاكَ وَتَرْعـى
وَإذا ضـاقَت بِيَ الفَضا ذَرعـاً ... يـا سَمِيّ الكلِـيم جِئْتكَ أَسْعـى
وَالهَوى مَركـبِي وَحُبّكَ زادِي
أَنتَ غَيـثٌ لِلمجدبـينَ وَلَوْلا ... فَيضُ جَدواكُم الوجُود اضْمَحَلاّ
قَسَمـاً بِالذِي تَعـالى وَجَلا ... لَيسَ تُقضى لَنـا الحَوائِجَ إلاّ
عِنْـدَ بـاب الرّجـا جَدّ الجَوادِ

قبس من دعاء الجوشن الصغير

للإمام موسى بن جعفر عليه السلام

• د. محمد محمود زوين

ينابيع لو تأملت واقع الأمم في سيرها إلى الحق تبارك وتعالى لوجدنا أن أهم آليات الصلة بينها وبين خالقها الدعاء، فهو ظاهرة فطرية تنزع إلى إكمال افتقار المخلوق بالتوجه إلى فضل ورحمة الخالق الغني.

ولا أحسب أمة من الأمم ترك لها قادتها زاداً هنيئاً ومنهلاً عذباً كما ترك لنا آل محمد (صلوات الله عليهم)، إذ مثّل الدعاء حقيقية العبودية، ومعراج القرب والزلفى، أرادوا بذلك أن يؤدبوا شيعتهم ويعلموهم كيفية مناجاة خالقهم جلّ شأنه، وهم أهل القرب والطاعة، وقد نقل عنهم عليهم السلام الكثير الكثير من النصوص الدعائية أفصحت عن حقيقة التوحيد المخلص، والإقرار بالنعم، والاعتراف بجميل العطاء والمنن، وشكر الآلاء والنعماء على مدار الساعات والأيام، وجاءنا منهم (صلوات الله عليهم) صحائف سميت بأسمائهم جمعها خلّاص شيعتهم ومواليهم قديماً وحديثاً، فكانت كتباً يتوارثونها ويحيونها بالذكر والتلاوة.

ومن بين غرر أدعية أهل البيت عليهم السلام دعاء كاظم آل محمد عليه السلام المعروف بدعاء الجوشن الصغير المقابل لدعاء الجوشن الكبير المروي عن علي بن الحسين عليه السلام، وقد روى الدعاء العلامة ابن طاووس الحسني في (مهج الدعوات)، والكفعمي في (البلد الأمين).

معنى الجوشن:

الجوشن: الصدر، وقيل ما عرض من وسط الصدر، والجوشن: اسم للدرع من الحديد الذي يلبس عند الحرب للوقاية من السلاح[1].

وتتضح دلالة التسمية من خلال الربط بين آثار الدعاء وفائدة درع المحارب، فهو وقاية للداعي في حياته ومهماته، فضلاً عن

كونه وقاية له من مماته أيضاً، فقد نصّ كثير من العلماء[٢] على استحباب كتابته على الكفن هو ودعاء الجوشن الكبير.

رواية الدعاء وقصته:

للدعاء روايتان قد تختلفان بعض الشيء إلا أنهما متكاملتين عند العلامة المجلسي صاحب (بحار الأنوار)[٣] وهو ما نميل إليه، وعلى أية حال فرواية الدعاء الأولى جاءت عن أبي الوضاح محمد بن عبد الله بن زيد النهشلي عن أبيه عبد الله بن زيد، إنه كان جماعة من خاصة أبي الحسن الكاظم عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس[٤] لطفاف وأميال، فإذا نطق بكلمة أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوه منه في ذلك. قال عبد الله: فسمعناه وهو يقول في دعائه إلى آخر ما كتبوه عنه من دعاء الجوشن الصغير[٥].

والرواية الثانية تختلف عما رواه السيد ابن طاووس من جهة السند فضلاً عن اختلافها من جهة بعض الألفاظ إلا أنها تتفق في غرض الدعاء ومداره جاء في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام:

حدثنا أحمد بين يحيى المكتب، قال: حدثنا أبو الطيب أحمد بن محمد الوراق، قال: حدثنا علي بن هارون الحميري، قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قال: حدثني أبي عن علي بن يقطين، قال: أنهى الخبر إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، وعنده جماعة من أهل بيته بما عزم إليه موسى بن المهدي في أمره، فقال لأهل بيته: ما تشيرون؟ قالوا: نرى أن تتباعد عنه وأن تغيّب شخصك فإنه يؤمن شره، فتبسم أبو الحسن عليه السلام ثم قال:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها
وليغلبنّ مغالب الغلاب

ثم قال: رفع يده إلى السماء فقال: اللهم كم من عدوٍ شحذ لي ظبة مديته، وأرهف لي شبا حدّه، وداف لي قواتل سمومه...

قال: ثم تفرق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد عليه بموت موسى بن المهدي، وفي ذلك يقول بعض من حضر موسى بن جعفر عليه السلام من أهل بيته شعراً:

وسارية لم تسرِ في الأرض تبتغي
محلاً ولم تقطع بها البعد قاطع
سرت حيث تجدي الركاب ولم تنخ
لوردٍ ولم يقصر بها البعد مانع
تمرُّ وراء الليل والليل ضارب
بجثمانه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها
إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا وردت لم يرد الله وفدها
على أهلها والله راءٍ وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأنما
أرى بجميل الظن ما الله صانع[٦]

شرح الدعاء وترجمته:

شرح الدعاء الشيخ إسماعيل بن الحسن بن محمد علي آل عبد الجبار البوشهري (١٣٢٨هـ) شرحاً تاماً اقتصر فيه على بيان الإعراب واللغة[٧].

أما ترجمته فقد قام بها العلامة المجلسي[٨] (١١١٠هـ)، وترجمه أيضاً الشيخ محمد علي بن أبي طالب المعروف بالشيخ علي الحزين[٩] (١١٨٠).

وصف الدعاء:

يتكون الدعاء من أربع عشرة فقرة،

تبدأ كل واحدة منهن بـ(إلهي كم من...) وتتضمن كل فقرة الدعاء بأسلوبي الخبر والإنشاء، وقد تعددت استعمال الدعاء للأساليب العربية، فضلاً عن تفاوت فقرات الدعاء طولاً وقصراً بحسب مراد كل فقرة، وسأقف عند الفقرة الأولى منه طلباً للإيجاز والاختصار، قال صلوات الله عليه:

(إلهي كم من عدوٍ انتضى عليّ سيف عداوته وشحذ لي ظبة مديته وأرهف لي شبا حدّه، وداف لي قواتل سمومه، وسدد إليّ صوائب سهامه ولم تنم عني عين حراسته، وأضمر أن يسومني المكروه ويجرعني زُعاف مرارته، فنظرت إلى ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن الانتصار ممن قصدني بمحاربته، ووحدتي في كثير ممن ناوأني وأرصد لي فيما لم أعمل فكري في الارصاد لهم بمثله، فأيدتني بقوتك وشددت أزري بنصرتك، وفللت لي حدّه وخذلته بعد جمع عديده وحشده، وأعليت كعبي عليه ووجهت ما سدد إليّ من مكائده إليه، ورددته عليه، ولم يشف غليله ولم تبرد حزازات غيظه، وقد عضّ على أنامله وأدبر مولياً قد أخفقت سراياه.

فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يُغلب، وذي أناة لا يعجل، صل على محمد وآل محمد، واجعلني لنعمائك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين).

يدعوك للوقوف عند هذه الفقرة أمور عديدة، منها قصته التي عرفت، وتوضح بدء الدعاء الجلي بالنداء: (إلهي كم من عدو...) من دون أن تكون لهذا الدعاء مقدمات توصله إلى موضوعه بعد إتيانها، وقد علمت أن الدعاء كما في وصايا أهل البيت عليهم السلام يستحب فيه أن يبدأ بالحمد والثناء، والصلاة على النبي وآله ثم يشرع فيه بالمطالب والحوائج، وفي هذه الفقرة نجد الدخول إلى موضوع الدعاء ثم ختامها بالحمد والثناء والصلاة والطلب الصريح (فلك الحمد يا رب...) وهذا يتلاءم مع موقف الدعاء ومناسبته التي تدعو لأن يقدم الطلب بصيغة الخبر، ليفيد تأكيد الإقرار بالنعم والرعاية الإلهية، ثم يتلو ذلك المعتاد من أساليب الدعاء.

والأمر الآخر الذي تتأمله في هذه الفقرة الإخلاص العجيب في التوجه نحو الله جلّت قدرته، فينعدم حين التوجه جميع ما يُتصور من أسباب غير الله تعالى فهو سبب الأسباب، ومسبب الأسباب، فهو المهيمن والقائم على كل شيء فلا مكان لغيره في قلب الداعي ولا رجاء له إلا في الله جلّ وعلا، ذلك يقين العبد بمدعوه، والله تبارك وتعالى عند حسن ظن العبد به، ويزيد الأمر جلاءً وبهاءً التعبير عن ذلك بصيغة الخبر في فقرات الدعاء الأربع عشرة وما فيه من اعتراف بجميل الفضل والمنة والرعاية التي لا تفتر، والنعمة السابغة الجسيمة التي لا تحدّ، يعاضد هذا ويؤكده استعمال لفظ (كم) وهو كناية عن العدد يفيد الكثرة والمبالغة فيه، ويعطي إطلاقاً لعدد غير معين من الذين أرصدوا العداء وقابله المنة الإلهية في الرعاية والرحمة.

وتعلو دلالة التركيب بهاءً استعمال (من) التي تدل على بيان الجنس ليستقيم المعنى لتركيب (إلهي كم من...) ويدل على صدق التوجه والإخلاص فضلاً عن استمرار الرعاية الإلهية، بنفس واحد منذ بدء الدعاء حتى نهايته.

ومهما يكن من أمر فالمقطع الأول

يظهر الداعي بين سلطتين، سلطة طاغ واهم مخدوع بقوة آلاته وآلياته وجبروته على الضعفاء، وسلطة حقيقية مناطها قوة الإيمان، والعقيدة الراسخة التي يجليها اليقين ويجذرها السكون إلى الحق تعالى، والداعي لا حراك له مسلم أمره لعقيدته وإيمانه.

ولو تحرينا وصف العدو ـ السلطة الواهمة ـ لرأينا (انتظاء السيف وشحذ المدية وإدافة السموم القواتل و...) فما بقي من أمر إلا واتخذه العدو مداراً ومحركاً مقابل المستضعف الواهن عن كل سبب للنصرة سوى إيمانه، لذا تجد قول الإمام عليه السلام بعد ذلك الوصف: (فنظرت إلى ضعفي...) وما فيه من دلالة التسديد والرعاية أيما إيحاء فهو عليه السلام لم يقل: (فنظرت) وينسب النظر إلى نفسه بل نسبه إلى الله تبارك شأنه لأنه أقرب إلى حاله منه مع كون الإنسان بعموم المسائل يبدو أعلم بحاله ولكن الله تبارك وتعالى أقرب إليه وأبصر به من نفسه، وهذا النظر إلى (الضعف والعجز والوحدة) وهي أوكد الأوصاف لفقر الداعي وقلة حيلته وإذا تنبهت إلى الفاء العاطفة في قوله عليه السلام: (فنظرت) لوجدت دلالتها التعقيبية قوائم الرعاية الإلهية تقابل حركة العدو فما من تحرك إلا وسبق وأعقب برحمة التأييد والنصرة، وكل ذلك مستمر حاضر وإن لم يشف غليل العدو ولم تبرد حزازات غيظه، فإن عاد عدت يا رب عليّ بذلك، ثم يأتي مقطع ختام الفقرة والإقرار بالحمد على القدرة والنصرة وتنساب الصلاة على النبي وآله والطلب بالتوفيق لشكر النعمة وذكر الآلاء والمنن وهما جناحا الموقف الدعائي شكر كل نعمة وتذكر كل فضل ومنة منه تعالى.

أخلص من ذلك إلى فكرة الدعاء تقوم في أساسها على السكون إلى يقين النصرة الإلهية والرعاية الربانية مهما تعاظمت خطى الجبابرة، وضيق الخناق على المؤمنين، وتبقى فطرة النظر إلى رحمته جلّ وعلا سبب الأسباب وطلب المدّ منه أبقى وأذخر من كل ضعف أمام الجبروت والطغيان.

وهذا مبدأ تعليمي أرادت فقرات هذا الدعاء المجيد أن تعلمنا عليه وهو الركون إلى الحق تعالى وغض النظر عن كل ما سواه ليبقى أثر ذلك في حياتنا وفي ابتلائنا وألا ننسى شكر النعم أو نكل عن ذكر الأفضال، وهو منهج طالما سعى أهل البيت عليهم السلام على إيجاده في سعيهم منه خلال نصوصهم الدعائية ■

---

(١) ظ/ لسان العرب، ابن منظور، مادة (جشن)، ومجمع البحرين، الطريحي، مادة (جوشن).

(٢) ظ/ مستمسك العروة الوثقى، السيد محسن الحكيم، ٤/ ١٨٢، ومنهاج الصالحين، السيد الخوئي، ١/ ٨١، هداية العباد، السيد الكلبايكاني، ١/ ٧٤، منهاج الصالحين السيد السيستاني (دام ظله)، ١/ ١٠٤.

(٣) ظ/ بحار الأنوار، المجلسي، ٩١/ ٣١٩-٣٢٧.

(٤) الآبنوس: شجر عظيم صلب العود أسوده.

(٥) المجتبى من دعاء المجتبى، السيد ابن طاووس/ ٢٧.

(٦) عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، ٧٨، ظ/ كذلك: الأمالي، الشيخ الطوسي، ٤٢١، ومدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، ٦/ ٣٢٤.

(٧) ظ/ الذريعة، آغا بزرك، ٥/ ٢٨٦، ١٣/ ٢٤٧.

(٨) ظ/ طرائف المقال، السيد علي البروجردي، ٢/ ٣٨٧.

(٩) ظ/ الذريعة، آغا بزرك، ٥/ ١٠١.

الحلقة الأولى:

أهل البيت عليهم السلام في الكتاب العزيز

• السيد عبد الستار الجابري

ينابيع قال تعالى في كتابه العزيز: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[1].

في البحوث التي تتعلق بآية العهد في سورة البقرة آية ١٢٤، ثبت هناك أن العهد الإلهي أريد به الإمامة ـ وهو محل اتفاق جميع مفسري الشيعة وأغلب مفسري العامة ودلّت عليه الكثير من الروايات الواردة في كتب الفريقين ـ لا ينال إلا المعصوم من الزلل والخطل كما هو مدلول (لا ينال عهدي الظالمين)[2].

والسؤال يقع في أن القرآن الكريم ـ بعد أن تعرض لشرط العصمة في الإمامة ـ أن الإمامة لا تكون إلا في المعصوم، هل حدد ذلك للمجتمع الإسلامي من هو المعصوم وأشار إليه بشخصه، أم ترك ذلك على عاتق النبي صلى الله عليه وآله؟

فالرجوع إلى المعصوم أمر واجب عقلاً وشرعاً، وما نصّت عليه آية العهد شيء مجمل، والمجمل لا يمكن امتثاله، خاصة وأن العصمة ليست شيئاً ظاهراً بل هو لطف خفي بحاجة إلى النص لتحديد محله، فهل بيّن القرآن المعصوم من الناس أم لا؟

والجواب على هذا السؤال يتكفل به البحث في آية التطهير، فإنه إن ثبت أن آية التطهير يراد منها إثبات العصمة التكوينية لفئة معينة من الناس، كان ذلك إشارة من القران الكريم إلى تلك الفئة وبيان لها، وإن لم يثبت ذلك كان بيان أشخاص المعصومين عليهم السلام موكول إلى النبي صلى الله عليه وآله، ليتسنى للمؤمنين من الأمة الرجوع إليه بعد، امتثالاً لما يوجبه عليهم الشرع والعقل.

وللوقوف على حقيقة الأمر في الآية الشريفة لابد من بحث أمور ثلاثة:

١ـ المراد بالرجس.

٢ـ إرادته تعالى.

٣ـ أهل البيت.

أولاً: الرجس

اختلف في المراد من الرجس في الآية الكريمة بين مفسري الخاصة والعامة.

ذهب البيضاوي في تفسيره إلى استعمال الرجس مجازاً في المعصية،قال: (الرجس :الذنب المدنس لعرضكم، وهو تعليل لأمرهن ونهيهن ولذلك عمم الحكم.

أهل البيت: نصب على النداء أو المدح، ويطهركم: من المعاصي تطهيراً، واستعار الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها)[٣].

فهو يرى أن الرجس استعمل مجازاً في المعصية، باعتبار وضع الرجس لغة لكل أمر مستقبح فاستعماله في الأخص يكون من باب استعمال العام في الخاص، وهو من الاستعمال المجازي، ويرد عليه ان لا دليل على مجازية الاستعمال إلا إذا فسرت الإرادة بالإرادة التشريعية وهو أول الكلام، وفي حال الترديد بين الاستعمال الحقيقي والمجازي فالأصل الحقيقة.

وقال الواحدي في تفسيره:

(الرجس هو كل مستنكر ومستقذر...)[٤]، وكذا قال في التبيان: (وأصل الرجس الشيء القذر فجعل ما يفضي إلى العذاب رجساً استقذاراً له)[٥]، وظاهر كلامه المجازية في الاستعمال أيضاً.

وممن ذهب إلى المجازية أيضاً الزمخشري[٦] ونظام الدين النيسابوري مع أن ذيل كلامه لا يؤيد ذلك حيث قال: (وإنما أكد الرجس بالتطهير لأن الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد)[٧]، والمفروض فيه الحديث عن الرجس بما هو شيء مستقذر لا خصوص المعصية.

ونقل ابن الجوزي في المراد من الرجس في الآية الشريفة أقوالاً: (أحدها الشرك قاله الحسن، والثاني الإثم قاله السدي، والثالث الشيطان قاله ابن زيد، والرابع الشك، والخامس المعاصي، حكاهما الماوردي، قال الزجاج: الرجس كل مستقذر من مأكول أو عمل أو فاحشة)[٨].

وأما القول الأول فلا يصح لأنه ان أريد به تطهيرهم من الشرك ابتداءً فهو ينافي كون أهل البيت شامل لنساء النبيﷺ وباقي أقاربه كما هو رأي بعض مفسري العامة لأن بعض نسائهﷺ كحفصة كن مشركات قبل الإسلام، وإن أريد به بعد دخولهم الإسلام فهذا تحصيل للحاصل نعم لو التزم القائل به أن المراد بأهل البيت أصحاب الكساء فقط أمكن ذلك لأنهم لم يفارقوا الإيمان منذ خلقهم الله تعالى.

والقول الثاني إن أريد به خصوص المعاصي كما هو القول الخامس فهو متوقف على تفسير الإرادة بالإرادة التشريعية، وإن أريد به كل نقص أو عيب وكل منفر صغيراً كان أو كبيراً معصية كان أو مخالفة لأمر عرفي فهو بعض مراتب العصمة التكوينية التي لا يلتزم بها أبناء العامة، والرابع واضح البطلان لأن الشك إن كان في التوحيد أو النبوة فهو منافٍ لإسلام المخاطبين، نعم إذا فسّر التطهير بالعصمة التكوينية بحيث يفسّر التطهير من الشك بالعلم التام الكامل الذي

لا تشوبه شبهة ولا شك بسبب العصمة كان ذلك موافقاً للمروي عن أهل البيت عليهم السلام إلا أن أبناء العامة لا يلتزمون بذلك.

وأما القول الثالث فإن عمل الشيطان لا يختص بالمعصية، بل بارتكاب كل منفر وإثبات كل نقص ولذا نسب صاحب موسى عليه السلام النسيان إلى الشيطان، ومعه يكون المراد من الرجس معناه اللغوي، وهو أوجه الأقوال في المسألة.

وذهب الآلوسي إلى استعمالها مجازاً في كثير الذنب، ونقل عدة أقوال تقدم بعضها، ومن تلك الأقوال: (وقيل إن الرجس يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائض، والمراد به هنا ما يعم كل ذلك)[٩]، وهذا القول يطابق القول بالعصمة التكوينية.

وظاهر ما ذهب إليه الدكتور حجازي شمول الرجس لكل مشين حيث قال: (ولكن الباعث على ذلك كله إنما هو إرادة الله لأن يذهب عنكم (يا أهل بيت النبي) الرجس والدنس، ويطهركم عن كل ما يشينكم تطهيراً كاملاً يليق بكم)[١٠].

بينما ذهب السمرقندي إلى إرادة الإثم[١١]، واختار الطبري كون المراد من الرجس ما يكون في أهل المعاصي (من الدنس الذي يكون في معاصي الله)[١٢]، وذكر جملة من الأقوال في المسألة التي منها السوء والشيطان، وفي التفسير المنسوب لابن عباس (إنه الإثم)[١٣] وهو مناف لما رواه فرات الكوفي معنعناً في تفسيره وما رواه عنه أبناء العامة في تفاسيرهم، وكذا في تفسير الجلالين وكذا ذهب إليه الخواجه عبد الله الأنصاري وذكر على نحو القيل إرادة كل مكروه مستقذر[١٤]، وذهب الخازني والنسفي إلى إرادة الإثم[١٥]، وكذا ذهب المراغي حيث قال: (ويطهركم من دنس الفسوق والفجور الذي يعلق بأرباب الذنوب والمعاصي)[١٦].

ويظهر من كلام سيد قطب كون المراد من الرجس الإثم والمعصية بدلالة ترتيب الطهارة على امتثال التكليف قال: (وأخيراً فإنه يجعل تلك الأوامر والتوجيهات وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيت)[١٧].

وذهب الفخر الرازي إلى إرادة الذنوب (أي يزيل عنكم الذنوب)[١٨].

وعلى هذا نجد أن أغلب أقوال العامة على إرادة المعاصي والذنوب والآثام بنحو من أنحائها ـ وإن كان هناك من يذهب منهم إلى إرادة التطهير من كل نقص ـ وهذا يتوقف على مجازية استعمال لفظ الرجس، لأنها موضوعة لكل ما مستقبح ومستقذر ومجازية الاستعمال تتوقف على القرينة الدالة على ذلك، وهذه القرينة تكون أحد الأمرين:

١ـ كون الإرادة الواردة في الآية إرادة تشريعية لا تكوينية.

٢ـ المراد من أهل البيت خصوص نساء النبي صلى الله عليه وآله وأصحاب الكساء بأدلة أخرى غير الآية الشريفة.

وأما إذا كان المراد من أهل البيت خصوص أصحاب الكساء أو كان المراد الإرادة التكوينية لا التشريعية كانت لفظة

إن أغلب أقوال العامّة على إرادة المعاصي والذنوب والآثام بنحو من أنحائها من (الرجس) وإن كان هناك من يذهب إلى إرادة التطهير من كل نقص.

الرجس مستعملة في معناها اللغوي استعمالاً حقيقياً.

وإذا كان الاستعمال للفظة الرجس في معناها الحقيقي اختص التطهير بأصحاب الكساء لتحقق ارتكاب المنفر من بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله للمخالفات المنصوص عليها بالأدلة القطعية التي ارتكبتها عائشة وحفصة، كما تدل عليه آية التحريم وخروج عائشة يوم الجمل، وهتكها لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله ومخالفتها للآية الشريفة في القرار في بيتها.

وقبل البحث في وجود القرينة على الاستعمال المجازي وعدمها ننقل آراء مفسري الشيعة في معنى الرجس.

آراء مفسري الشيعة:

ظاهر الميرزا الثقفي الطهراني إرادة المعنى اللغوي من الرجس حيث قال ما ترجمته: (ظاهر هذه الآية ليس سوى إرادة الله وتقديره أن ينزهكم آل بيت الرسالة من كل صفة سيئة وعمل غير لائق ويطهركم من كل قصور وفتور وخطأ وما لا ينبغي فعله وترك الأولى)[١٩].

وذهب السلطان علي شاه إلى إرادة الشك من الرجس إستناداً إلى بعض الروايات، قال: (وقال في آخر الحديث الرجس هو الشك والله لا نشك في ربنا أبداً)[٢٠].

ونقل السيد هاشم البحراني والحويزي قدس سرهما عن الكليني والصفار والصدوق رضوان الله عليهم روايات فسرت الرجس بالشك[٢١].

إذا كان الاستعمال للفظة الرجس في معناها الحقيقي اقتضى ذلك اختصاص التطهير بأصحاب الكساء لتحقق ارتكاب المنفّر لبعض نساء النبي صلى الله عليه وآله.

وقال العلامة الطباطبائي قدس سره في الميزان: (والرجس - بالكسر فالسكون - صفة من الرجاسة وهي القذارة، والقذارة هيئة في الشيء توجب التجنب والتنفر منه، وتكون بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير، قال تعالى: (أو لحم خنزير فإنه رجس) وبحسب باطنه وهو الرجاس والقذارة المعنوية، كالشرك والكفر وأثر العمل السيء، كما قال تعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) وقال: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) وأياً كان فهو إدراك نفساني شعوري من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيء، وإذهاب الرجس - واللام فيه للجنس - إزالة كل هيئة خبيثة في النفس تخطئ حق الاعتقاد والعمل فتنطبق على العصمة الإلهية التي هي صورة علمية نفسية تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد وسيء العمل.

فمن المتعين حمل إذهاب الرجس في الآية على العصمة ويكون المراد بالتطهير في قوله تعالى (ويطهركم تطهيراً) - وقد أكد بالمصدر - إزالة أثر الرجس بإيراد ما يقابله بعد ذهاب أصله، ومن المعلوم أن ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق فتطهيرهم هو تجهيزهم بإدراك الحق في الاعتقاد والعمل...)[٢٢].

وظاهر نور الدين الكاشاني قدس سره ذلك أيضاً، حيث ذهب إلى أن

المراد من الرجس ما ليس لله فيه رضى ـ وفي النسخة الأصلية الشك وأن يكون التطهير من النقائض ـ[٢٣]، فيكون مراده العصمة.

وإلى العصمة من كل النقائض والرذائل ذهب ابن إدريس الحلي[٢٤] قدس سره.

وكذا ذهب العلامة الطبرسي قدس سره في مجمع البيان إلى إرادة العصمة من التطهير[٢٥]، ولازم ذلك إرادة مطلق القبائح من الرجس.

واختار ذلك العلامة اللاهيجي قدس سره حيث قال ما ترجمته (ليذهب عنكم المعاصي وما ليس فيه رضا الله)[٢٦].

وروى فرات الكوفي قدس سره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (فوالله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فأنا وأهل بيتي مطهرون من الآفات والذنوب)[٢٧]، وهو ظاهر في كون الرجس كل مستقبح والمفروض أن يحمل ما روي عن ابن عباس من تفسيره للرجس بعمل الشيطان عليه.

ولا تنافي بين أقوال من تقدم من مفسري الشيعة وذهابهم إلى كون المراد من التطهير العصمة من جميع النقائص وكون المراد من الرجس بحسب دلالة الروايات الشريفة الشك، لأن المراد من الشك هنا ما يقابل العلم والشك المنفي عنهم صلوات الله عليهم أضيف تارة إلى الله تعالى وأخرى إلى الدين، ونفي الشك عنهم في هذه المواطن يعني علمهم المطلق بربهم ودينهم ولازمه العصمة عن كل نقص.

وفي مقابل هذه الآراء ذهب بعض مفسري الشيعة إلى كون المراد من الرجس الإثم، وممن ذهب إلى ذلك مير محمد كريم الموسوي، والسيد عبد الله شبر، والطبرسي في جوامع الجامع وهو خلاف ما ذهب إليه في مجمع البيان[٢٨] ويرد عليهم:

١ـ أنه على خلاف الروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام وفسرت الرجس بالشك والآفات والذنوب وبعضها صحيح السند.

٢ـ أنه على خلاف عقيدتهم في العصمة عن جميع المخالفات الشرعية والمنفرات الخُلقية والخلقية.

٣ـ لزوم الالتزام بالاستعمال المجازي للرجس.

والخلاصة: فإن حمل الرجس على معناه اللغوي ـ أو الشك ـ والذي يعني تفسير التطهير بالعصمة، مذهب أغلب مفسري الشيعة وعدد من مفسري العامة.

وقبل البحث عن وجود القرينة الدالة على الاستعمال المجازي للرجس في الآية الشريفة، نبحث أسانيد الروايات التي فسرت الرجس بالشك فإن تمت أسانيدها فهي وإلا تعين حمل الرجس على معناه الحقيقي ـ كل مستقبح ومستقذر ـ إذا لم تثبت قرينة على الاستعمال المجازي. وقبل الخوض في أسانيد الروايات نتعرض لاستعمال كلمة الرجس في القران الكريم.

استعمال الرجس في القران الكريم:

وردت لفظة الرجس في القران الكريم في آيات متعددة.

١ـ قوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان)[٢٩].

وهذه الآية تصف هذه المفردات الأربعة بأنها رجس، وتصف الرجس بأنه من عمل

الشيطان، فإذن الأمور المذكورة من مصاديق الرجس الذي يكون الجامع له عمل الشيطان، فينتج أن كل عمل للشيطان رجس.

٢ـ قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)[٣٠].

فهذه الآية الشريفة تصف الانحراف عن جادة الحق ورفض الديانة الحقة وعدم الميل للدعوة الإلهية بأنه رجس، وهو على هذا المعنى يحتمل أن يكون بمعنى الإثم إذا كان بمعنى ترتب الأثر، ولكن ظاهر الآية لا يساعد عليه لقوله تعالى (كذلك يجعل الله الرجس) مع أن الإثم ينسب إليهم لا إلى جعل الله تعالى، والآيات الشريفة التي تعرضت للإثم تنسبه للإنسان العاصي ولم تنسبه إلى الله تعالى، وبالتالي لا يصح صرف معنى الرجس في الآية إلى الإثم.

٣ـ قوله تعالى: (إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس...)[٣١]. والرجس هنا ظاهر في المعنى اللغوي في الشيء المستقذر.

٤ـ قوله تعالى: (قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب...)[٣٢].

والرجس هنا كالرجس في الآية ١٢٥ من سورة الأنعام والمراد منه هنا سلب التوفيق منهم عن معرفة الله والوصول إليه وايكالهم إلى أنفسهم الأمارة بالسوء.

٥ـ قوله تعالى: (...فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم...)[٣٣].

فالآية الشريفة تصف المنافقين بأنهم رجس، وهذا يعني أنهم بعد ارتكابهم لكبيرة التخلف عن الجهاد ونفاقهم كانوا رجساً لا أنهم قد فعلوا رجساً.

٦ـ قوله تعالى: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)[٣٤].

وجعلت الآية الشريفة الرجس في مقابل الإيمان واستعملته في معنى الكفر بحيث كانت النتيجة موتهم كافرين.

٧ـ قوله تعالى: (...فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور...)[٣٥].

فالآية الشريفة جعلت الأوثان من الرجس وهي من مصاديق عمل الشيطان فالرجس إذن بحسب دلالة الآيات الشريفة وما استنتجه منها العلامة الطباطبائي قدس سره كيفية نفسانية لتعلق القلب بالاعتقاد الباطل في الموارد التي أضيف الرجس فيها إلى الإنسان، وكونه قذارة ظاهرية فيما ينسب إلى سواه.

سند الرواية:

روى الكليني قدس سره الرواية التي فسرت الرجس بالشك بطريقين:

١ـ علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس، وعلي بن محمد عن سهل بن زياد أبي سعيد عن محمد بن عيسى عن يونس عن ابن مسكان عن أبي بصير قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام...).

٢ـ محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران الحلبي عن أيوب بن الحر وعمران بن علي الحلبي عن أبي بصيرة عن أبي عبد الله عليه السلام..

الكافي كتاب الحجة باب ما نص الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله على الأئمة عليهم السلام واحد فواحد، ص:٢٨٨ ح:١.

وروى الصدوق قدس سره ما فسر الرجس بالشك في معاني الأخبار باب معنى الرجس ص:١٣٨.

حدثنا: أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد ابن وليد رضي الله عنهما قالا: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب قال: حدثنا النظر بن شعيب عن عبد الغفار الجازي عن أبي عبد الله عليه السلام ورواية الصفار قدس سره في بصائر الدرجات ج:٤ باب:١١ في أن الأئمة أوتوا العلم وأثبت ذلك في صدورهم ح:١٣ ص:٢٠٦.

حدثنا محمد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام...

سند الرواية في الكافي الشريف:

السند الأول:

١- علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب...)[٣٦].

٢- محمد بن عيسى ترجم له السيد الخوئي قدس سره[٣٧] وقال في آخر الترجمة: (أقول محمد بن عيسى هذا مشترك بين محمد بن عيسى بن سعد، ومحمد بن عيسى بن عبيد)[٣٨].

فأما محمد بن عيسى بن عبيد فالسيد قدس سره ذهب إلى وثاقته بعد أن يستند في ذلك إلى أقوال جملة من علماء الرجال والرد على من ضعفه[٣٩].

ومحمد بن عيسى بن سعد إن أريد به محمد بن عيسى بن عبد الله ابن سعد شيخ القميين فهو ثقة (قال النجاشي: محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري، أبو علي شيخ القميين وجه الأشاعرة...)[٤٠]، وإن أريد به غيره فلم أعثر على ترجمة ذلك الغير.

٣- يونس مشترك بين جماعة.

٤- علي بن محمد، ذهب السيد الخوئي قدس سره إلى كونه علي بن محمد بن عبد الله بن بندار[٤١]، وقال: (ثم إنك عرفت في علي بن أبي القاسم الثقة أنه علي بن محمد بن القاسم وعليه فيحكم بوثاقة علي بن محمد بن بندار، وعلي بن محمد ابن عبد الله)[٤٢]، وذلك لثبوت وحدتهم عند السيد قدس سره.

٥- سهل بن زياد أبو سعيد، مختلف فيه، قال السيد قدس سره: (وكيف كان فسهل بن زياد الآدمي ضعيف جزماً أو أنه لم تثبت وثاقته)[٤٣].

٦- عبد الله بن مسكان (قال النجاشي: عبد الله بن مسكان أبو محمد مولى عترة: ثقة عين...)[٤٤].

٧- أبو بصير مشترك بن يحيى بن القاسم وليث بن البختري وكلاهما ثقة فلا يضر الاشتراك[٤٥].

السند الثاني:

١- محمد بن يحيى أبو جعفر العطار، قال النجاشي: (محمد بن يحيى أبو جعفر العطار القمي شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة عين...)[٤٦].

٢- احمد بن محمد بن عيسى (وأبو جعفر رحمه الله شيخ القميين ووجيههم وفقيههم غير مدافع...)[٤٧].

٣- محمد بن خالد، قال السيد الخوئي قدس سره: (وحينئذٍ يبقى توثيق الشيخ بلا معارض)[٤٨].

٤- الحسين بن سعيد، قال الشيخ الطوسي قدس سره: (...من موالي علي بن الحسين عليه السلام ثقة...)[٤٩].

٥- النضر بن سويد قال النجاشي: (نضر بن سويد الصيرفي كوفي ثقة، صحيح الحديث...)[٥٠].

٦- يحيى بن عمران الحلبي، قال النجاشي: (...ثقة عين، صحيح الحديث...)[٥١].

٧- أبو بصير تقدم توثيقه في الإسناد السابق.

سند الرواية في معاني الأخبار:

١- علي بن بابويه، قال النجاشي: (علي بن الحسين بن بابويه القمي أبو الحسن شيخ القميين في عصره ومتقدمهم، وفقيههم وثقتهم...)[٥٢].

٢- محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال النجاشي: (محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أبو جعفر شيخ القميين وفقيههم ومتقدمهم ووجيههم... ثقة ثقة عين مسكون إليه...)[٥٣].

٣- عبد الله بن جعفر الحميري، قال النجاشي: (شيخ القميين ووجيههم...)[٥٤].

٤- محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، قال النجاشي: (جليل من أصحابنا عظيم القدر، كثير الرواية، ثقة، عين، حسن التصانيف، مسكون إلى روايته...)[٥٥].

٥- النضر بن شعيب لم ينص عليه بشيء.

٦- عبد الغفار الجازي وثقة النجاشي[٥٦].

سند الرواية في بصائر الدرجات:

١- محمد بن خالد الطيالسي لم ينص عليه بشيء.

٢- سيف بن عميرة، قال النجاشي: (عربي كوفي ثقة...)[٥٧].

٣- أبو بصير مرّ توثيقه في رواية الكافي.

ومن خلال استعراضنا لأسانيد الروايات يكون السند الثاني لرواية الكافي أتم الأسانيد وأصحها فتثبت به الحجية لوثاقة جميع من ورد ذكره في سند الرواية، وهذا يقتضي تفسير الرجس الوارد في الآية الشريفة بالشك.

وفي رواية الكافي جاء تفسير الرجس بالشك بعد أن كان الإمام الصادق عليه السلام في مقام النص على الأئمة عليهم السلام وبعد أن أتم ما أراد بيانه قال: (والرجس هو الشك، والله لا نشك في ربنا أبداً).

والشك الذي ينزه عنه الأئمة عليهم السلام في ربهم لا يحتمل فيه إرادة المرتبة الدنيا من العلم المقارن للإيمان إذ هم في ذلك يشتركون مع سائر المؤمنين فلا معنى لتخصيصهم فلابد أن يكون المراد من نفي الرجس عنهم نفي الشك في جميع مراتبه المساوق لتحقق العلم في أعلى مراتبه، كما أن المستفاد من إطلاق الآية نفي الشك في جميع مراتبه، وتحقق العلم في أعلى مراتبه مساوق للعصمة، ولا يعارض إطلاق الآية

علم أمير المؤمنين عليه السلام

عن جابر بن يزيد عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سمعته يقول:

«إن علياً كان يقول: اقتربوا اقتربوا واسألوا فإن العلم يقبض قبضاً، ويضرب بيده على بطنه ويقول: أما والله ما هو مملوء شحماً ولكنه مملوء علماً، والله ما من آية نزلت في رجل من قريش ولا في الأرض في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل إلا أنا أعلم فيمن نزلت وفي أي يوم وفي أيّ ساعة نزلت».

الأصول الستة عشر ص:٦٣

إضافة الشك إلى الرب والدين لان الشك فيهما مصاديق للشك فيكون من البيان ببعض المصادق

(١) سورة الأحزاب:٣٣.
(٢) سورة البقرة:١٢٤.
(٣) تفسير البيضاوي ج:٤ ص:٣٧٣، وقريب منه قول أبي السعود في تفسيره ج:٧ ص:١٠٣.
(٤) تفسير الواحدي ج:٢ ص:٨٦٥.
(٥) التبيان في إعراب القران ج:٢ ص:٤، وكذلك البروسوي في روح البيان ج:٧ ص:١٧١.
(٦) الكشاف ج:٣ ص:٥٣٨.
(٧) تفسير غرائب القران ج:٥ ص:٢٦٠.
(٨) زاد المسير في علم التفسير ج:٦ ص:٢٠٦.
(٩) روح المعاني ج:٢٢ ص:١٢.
(١٠) التفسير الواضح ج:٢ ص:٢٤٥، وهو مختار القاسمي في محاسن التأويل م:٧ ج:١٣ ص:٢٥٦.
(١١) تفسير السمرقندي ج:٣ ص:٥٥.
(١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج:٢٢ ص:٨.
(١٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص:٣٥٣.
(١٤) كشف الأسرار ج:٨ ص:٤٥.
(١٥) لباب التأويل الذي بهامشه مدراك التنزيل ج:٣ ص:٤٦٦.
(١٦) تفسير المراغي ج:٢ ص:٧.
(١٧) في ظلال القران ج:٦ ص:٥٦٨.
(١٨) التفسير الكبير ج:١٣ ص:٢١٠.
(١٩) روان جاويد در تفسير قران مجيد ج:٤ ص:٣٢٠ وكذا صفي علي شاه في تفسيره ص:٥٩١.
(٢٠) بيان السعادة في مقامات العبادة ج:٣ ص:٢٤٦.
(٢١) البرهان في تفسير القران م:٣ ص:٣١١، نور الثقلين ج:٤ ص:٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، وكذا الصافي للفيض الكاشاني.
(٢٢) الميزان ج:٢٢ ص:٣١٨، وقد ذكرنا كلامه قدس سره بطوله لأنه يشتمل على مناقشة آراء الآخرين في الذهاب إلى كون المراد بالتطهير التقوى والمراد بالرجس الإثم.
(٢٣) المعين ج:٢ ص:١١١٨.
(٢٤) المنتخب من تفسير القران ج:٢ ص:١٩٧.
(٢٥) مجمع البيان ج:٨ ص:١٥٨.
(٢٦) تفسير شريف لاهيجي ج:٣ ص:٦٣١.
(٢٧) تفسير فرات الكوفي ص:٣٤٠ رقم ـ٤٦٥ ١٠.
(٢٨) انظر كشف الحقائق ج:٢ ص:٨٨٥، تفسير القران الكريم ص:٤٠٠، جوامع الجامع ج:٣ ص:٣١٤.
(٢٩) سورة المائدة:٩٠.
(٣٠) سورة الأنعام:١٢٥.
(٣١) سورة الأنعام:١٤٥.
(٣٢) سورة الأعراف:٧١.
(٣٣) سورة التوبة:٩٥.
(٣٤) سورة التوبة:١٢٥.
(٣٥) سورة الحج:٣٠.
(٣٦) معجم رجال الحديث ج:١١ ص:١٩٣ رقم:٧٨١٦.
(٣٧) نفس المصدر ج:١٧ ص:٨٦ رقم:١١٥٠٠.
(٣٨) رقم: ١١٥٠٠ ص:١٠٨.
(٣٩) معجم رجال الحديث ج:١٧ ص:١١٣ وما بعدها رقم:١١٥٠٩.
(٤٠) نفس المصدر ج:١٧ ص:١١٠ رقم:١١٥٠٧.
(٤١) نفس المصدر ج:١٢ ص:١١٨ رقم:٨٣٨٣.
(٤٢) نفس المصدر ص:١٢٧ رقم٨٣٨٤.
(٤٣) نفس المصدر ج:٢ ص:٣٣٧ رقم:٥٦٢٩.
(٤٤) نفس المصدر ج:١٠ ص:٣٢٤ رقم:٧١٦١.
(٤٥) نفس المصدر ج:١٥ ص:١٤٤ رقم:٩٧٩٨، ج:٢١ ص:٧٩ رقم:١٣٥٩٩.
(٤٦) معجم رجال الحديث ج:١٩ ص:٣٣ رقم:١٢٠١٠.
(٤٧) معجم رجال الحديث ج:٣ ص:٨٦ رقم:٩٠٢.
(٤٨) معجم رجال الحديث ج:١٧ ص:٧٣ رقم:١٠٧١٥ تحت عنوان محمد بن خالد بن عبد الرحمن.
(٤٩) معجم رجال الحديث ج:٦ ص:٢٦٩ رقم:٣٤٢٤.
(٥٠) معجم رجال الحديث ج:٢٠ ص:١٦٦ رقم:١٣٠٧٤.
(٥١) معجم رجال الحديث ج:٢١ ص:٧٧ رقم ١٣٠٧٤.
(٥٢) معجم رجال الحديث ج:٢١ ص:٤٠٣ رقم:٨٠٧٦.
(٥٣) معجم رجال الحديث: ج:١٣ ص:٣١٩ رقم:١٠٤٩٠.
(٥٤) معجم رجال الحديث ج:١١ ص:١٤٨ رقم:٦٧٦٦.
(٥٥) معجم رجال الحديث ج:١٦ ص:٣٠٨ رقم:١٠٥٨١.
(٥٦) معجم رجال الحديث ج:١١ ص:٥٨ رقم:٦٠٢.
(٥٧) معجم رجال الحديث ج:٩ ص:٣٨٢ رقم:٥٦٦٨.

التتمة في العدد القادم

بحوث

في أسباب الغَيْبة

• السيد علاء الموسوي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع قبل أن يتطبع الشيعة على مفهوم الغيبة، وتدرج أجيالهم جيلاً بعد جيل على قبول هذه الفكرة: أن يصبحوا ويُمسوا دون إمام معصوم ظاهر، الأمر الذي كان يُسكّن آلامهم ويخفف معاناتهم كفئة مطاردة مظلومة، والنعمة التي كانوا يمتازون بها على بقية الناس إذ كانوا يجدون في الإمام المعصوم بقية من رسول اللهﷺ، بل خليفة حقيقياً له في علمه وهديه وأخلاقه، وباباً للرحمة الإلهية يُسرعون إلى أعتابها كلما دهاهم طارق أو ضايقتهم بليّة، ومصدراً مستمراً للنص المعصوم في جميع شؤون الدين والحياة، ووجهاً ينظرون فيه إلى علي وفاطمة صلوات الله عليه، يستمطرون به شآبيب الرحمة الإلهية ويستدفعون به كل بلية.

قبل أن يتقبل الشيعة كل هذه الخسائر ويرجعوا وقد أدركوا عظم البلية وفداحة الخطب بغيبة الإمامعليه السلام، وكان لهذه الفكرة المرعبة أثرها العميق في نفوسهم وحاول العديد منهم قبل وقوعها... وبعد وقوعها، أن يفهموا أبعادها وأسبابها.

لماذا يغيب عنا إمامنا بهذا الشكل المحزن؟ وما هي الحكمة يا تُرى من كل ذلك؟ لقد طرح العديد منهم هذا السؤال أو ما يقاربه على أئمة زمانهم، بعدما سمعوا في أحاديثهم عن المهديعليه السلام أن له غيبة طويلة، أو أن له غيبتين.

والروايات الواردة في

جواب ذلك السؤال ثلاث طوائف تعبر عن ثلاثة أجوبة:

الطائفة الأولى: وهي التي ترجع سبب الغيبة إلى خوف الإمام عليه السلام من القتل.

الطائفة الثانية: وهي التي ترجع سبب الغيبة إلى أن كلاً من أئمة الهدى عليهم السلام الذين سبقوه قد وقعت في عنقه بيعة لطاغوت زمانه، وأما هو فسيخرج حين يخرج ولا بيعة في عنقه لأحد.

الطائفة الثالثة: وهي التي تمتنع من بيان الأسباب وتأمر الشيعة بسد باب السؤال عن هذه المسألة وعن كل مسألة من هذا القبيل، وتشبه الأمر هنا بالأمور التي أتاها الخضر وقد خفي فيها وجه الحكمة على موسى عليه السلام ولم يكشفها.

وسنحاول هنا قراءة نموذج من كل طائفة من تلك الروايات لعلنا ـ بتوفيق الله تعالى ـ نضع اليد على أمر بيّن ونصل بإفهامنا وقلوبنا إلى مرفأ الاطمئنان والبصيرة.

الخوف من القتل:

روى الشيخ الطوسي رضي الله عنه في كتابه (الغيبة) بسنده عن زرارة بين أعين قال: قال عليه السلام: إن للقائم غيبة قبل ظهوره. قلت: لِمَ؟ قال: يخاف القتل.

وقال الشيخ الطوسي رضي الله عنه تعقيباً على هذه الرواية: (لا علة تمنع من ظهور المهدي عليه السلام إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار).

وكأن الشيخ رضي الله عنه أراد بهذه العبارة حصر سبب الغيبة في الخوف من القتل دون غيرها من الأسباب، الأمر الذي لا تساعد عليه الروايات الأخرى الواردة في تفسير الغيبة. كما أن الخوف من القتل يمكن أن يكون سبباً لبداية الاستتار، لا لاستمراره حتى هذه الأزمنة. وذلك أن فترة انتقال الإمامة إليه صلوات الله عليه، كانت فترة ملاحقة حقيقية أراد بها العباسيون العثور عليه وقتله تخلصاً من كابوس فنائهم وانتهاء سلطانهم على يديه.

ثم بعد أن تغيرت الأحوال السياسية وتبدل وجه الأرض والحضارات والأزمنة، لم يعد الإمام عليه السلام ملاحقاً من قبل حكومة معينة أو مطلوباً للقتل من قبل حاكم أو سلطة. ومع ذلك تستمر الغيبة إلى يومنا هذا حيث يجد الكثير من المصلحين والثوار وأصحاب الدعوات السياسية المضادة لحكوماتهم زاوية من زوايا الدنيا يمارسون فيها نشاطهم تحت حماية دول أخرى، دون أن يكون القتل مصيراً حتمياً يمنعهم من العمل لتحقيق أهدافهم.

إننا لا ننفي أن يكون خوف القتل سبباً للغيبة، إلا أنه لا يعدو أن يكون سبباً من جملة أسباب بعضها ظاهر معروف وقد نطقت به بعض الروايات والآخر غائب مستتر نهت الروايات الأخرى عن استكشافه وتتبعه. كما سيمر عليك.

إن خوف القتل والملاحقة من قبل الحكّام وإن أمكن أن يكون سبباً للغيبة إلا أنه لا يعدو أن يكون واحداً من جملة أسباب عديدة بعضها ظاهر وبعضها مستتر.

لا بيعة لأحد في عنقه:

روى الصدوق رضي الله عنه في عيون أخبار الرضا عليه السلام عن ابن فضال عن الرضا عليه السلام قال: (كأني بالشيعة عند

فقدهم الثالث من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت: ولم ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: لئلا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا قام بالسيف).

عاش أئمة الهدى عليهم السلام منذ انقلاب السقيفة في ظل حكومات جائرة فرضت عليهم اعتماد التقية كأسلوب عام في التعامل مع القضايا السياسية والاجتماعية بل وحتى الشرعية حيث كانوا يصرحون بأحكام فقهية موافقة لفقه الخلفاء دفعاً لغائلتهم وحفظاً للشيعة من مغبة مخالفة الفقه الرسمي الذي كان يتولى ترويجه وحمايته والعقوبة على مخالفته نفس السلطة وأجهزتها القمعية.

ومن أهم القضايا التي خضعت لميزان التقية قضية (المواطنة) في ظل الحكومات الجائرة المتعاقبة، والتي تعني العيش ضمن المجتمع المحكوم بسلطة الحاكم الجائر من دون تبني أي مشروع سياسي لقلب نظام الحكم، بل التصريح بعدم وجود أي مشروع فعلي أو مستقبلي للتصدي السياسي، وتأجيل ذلك إلى حين ظهور الإمام القائم (عجل الله فرجه)، هذا طبعاً مع تأكيدهم صلوات الله عليهم من جهة أخرى على عدم جواز الركون إلى الحاكم الجائر وتولي الوظائف التي تحول الإنسان إلى تابع من أتباع الظلمة أو عوناً من أعوانهم.

(فالمواطنة) التي كان يلتزم بها أئمة الهدى عليهم السلام هي (المواطنة المحايدة) لا الايجابية التي تنتهي إلى المحسوبية على الظالم ولا السلبية التي يُعد معها صاحبها معارضاً سياسياً فاعلاً وساعياً لقلب نظام الحكم.

إن مفهوم (المواطنة المحايدة) يتضمن عدة التزامات ظاهرية إزاء المجتمع الإسلامي المحكوم بالقهر، وإزاء الحاكم الجائر الذي لا سبيل إلى مواجهته كما لا سبيل إلى الاعتراف الشرعي بسلطته. وهي:

أولاً: القبول بالنظام الاجتماعي السائد كأمرٍ واقع لابد من معايشته دون إضفاء أي صفة شرعية عليه.

ثانياً: تأمين الآخرين وعدم إخافتهم أو تهديدهم أو استهداف أرواحهم وأموالهم بحجة الضلالة والانحراف، بل إيكال البت في جميع الظواهر الفاسدة سياسياً واجتماعياً إلى أن يحين الوقت المناسب للتصدي للتغيير الشامل.

وقبل أن يحين ذلك الوقت فليس من مصلحة الدين أو المؤمنين الثابتين على الحق إثارة ملفات متفرقة لا يمكن الوصول فيها إلى نتائج حاسمة ونهائية إلا في إطار المشروع المتكامل لإرجاع العدل إلى الأرض.

وهذا لا يعني بالطبع تعطيل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل يعني بالضبط تحديد تلك الوظيفة ببعض المراتب التي لا تبلغ إلى حد إراقة الدماء أو ما قد يؤدي إلى ولوغ الظلمة في دماء المؤمنين وتعكير الأمن الاجتماعي دون طائل، فإقامة الحدود مثلاً في ظل دولة الجور مما لا يمكن للإمام أو أتباعه

عاش أئمة أهل البيت عليهم السلام منذ انقلاب السقيفة في ظل حكومات جائرة فرضت عليهم اعتماد مبدأ التقية كأسلوب عام في التعامل مع كافة القضايا الحياتية

التصدي له، وهكذا أخذ الجزية من أهل الكتاب، وغير ذلك مما هو معدود من شؤون السلطة والحكم، لوضوح أن نتائج ذلك ستكون عكسية على الدين وأهله.

ثالثاً: العمل على حفظ الكيان الإسلامي العام المتكون من: الشريعة، والمجتمع، والسلطة الحاكمة باسم الدين، على ما فيها من إشكالات وشذوذ عن الشرعية. وذلك في مقابل الأخطار الخارجية التي قد تهدد كيان المسلمين أجمع. وهذا ما رأيناه في عدم تردد أمير المؤمنين عليه السلام في التسديد العلمي للوضع الحكومي وللحكام الظلمة كلما تعرضوا لإحراجات علمية من غير المسلمين، وفي إسداء المشورة لهم حفظاً للمصالح العليا للكيان الإسلامي في مقابل الكيانات الكافرة.

ولعلنا نفهم وقوع البيعة لأئمة الجور في أعناق أئمة الهدى عليهم السلام على ضوء ما أوضحناه من مفهوم (المواطنة المحايدة)، فالإمام الظاهر الذي يعاني من أوضاع التقية وعدم وجود الكفاية من الأنصار وعدم تيسر أرضية الإصلاح في المجتمع لابد وأن يوفر لنفسه ولأتباعه ومواليه الغطاء الآمن اجتماعياً وسياسياً، دون أن يؤدي ذلك إلى الإمضاء الشرعي لأوضاع الحكومات الجائرة، وما أوضحناه في مفهوم (المواطنة المحايدة) هي الصيغة الأمثل لتحقيق ذلك الغرض المهم دون تحمل أي لازم أو مسؤولية شرعية.

ولنستعرض بعض الروايات الشريفة التي سيتضح من مطاويها اختيار الأئمة عليهم السلام ذلك الأسلوب واعتماده طريقة للحفاظ على الطائفة الحقة إلى حين الظهور.

روى المجلسي رضي الله عنه في البحار ٥٢/ ١٣٩ حديث ٤٨ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: (مثل من يخرج منا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار ووقع في كوةٍ فتلاعبت به الصبيان).

وروى الصدوق رضي الله عنه بإسناده عن عبد الله بن عطاء قال: قلت لأبي جعفر رضي الله عنه: إن شيعتك بالعراق كثيرون فوالله ما في أهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج؟

فقال: يا عبد الله بن عطاء قد أمكنت الحشو من أذنيك والله ما أنا بصاحبكم، قلت: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم.

وروى المجلسي في البحار ٥٢/ ٣٠١ حديث ٦٧: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان بن يحيى عن عيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بتقوى الله والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية فعمل على ما قد استبان لها. ولكن له نفسٌ واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم، أن أتاكم آت منا فانظروا على أي شيء تخرجون؟ ولا تقولوا خرج زيد فإن زيد كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه، فالخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم؟ إلى الرضا من آل محمد؟ فنحن نشهدكم أنا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم... الرواية.

وفيه بإسناده عن سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سدير ألزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه وأسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك. (بحار ٥٢/ ٣٠٣ ج ٦٩).

الطائفة الثالثة: وهي ما نجد فيها نهياً عن السؤال عن سبب الغيبة، وتصريحاً بأن حكمة الغيبة مما لا يمكن للناس فهمه واستيعابه إلا بعد ظهور الإمام عليه السلام.

روي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: (إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مُبطل، فقلت: ولم جُعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما، يا ابن الفضل إن هذا الأمر أمرٌ من أمر الله وسرٌ من أسرار الله وغيبٌ من غيب الله، وحتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله وأقواله كلها حكمة وإن كان وجهه غير منكشف لنا) (منخب الأثر ص٢٦٦).

وعن اسحق بن يعقوب الكليني عن صاحب الزمان صلوات الله عليه في آخر التوقيع الوارد في جواب كتابه الذي سئل محمد بن عثمان العمري أن يوصل إليه(عج):

(أما علم ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم...) فاغلقوا باب السؤال عما لا يعنيكم ولا تكلفوا ما قد كُفيتم وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم) (المصدر السابق ص٢٦٧).

إن ما يُفهم بشكل واضح من هذه الطائفة من الروايات هو عدم كون العلل المذكورة آنفاً في الطائفتين السابقتين علاً تامة للغيبة، وإن هناك أسباباً أخرى لابد أن تضاف إليها لتكتمل العلة التامة، فالحكمة الكاملة من غيبة الإمام أمرٌ لا يمكن استيعابه في هذه الفترة، حتى يظهر الإمام صلوات الله عليه وتكتمل العقول بوجوده الشريف وحينذاك سيكون من الممكن للعقول أن تستوعب حكمة الله تعالى من هذه الغيبة الطويلة.

ثم إن هذه الطائفة من الروايات تعالج هذا الفراغ في معلومات البشر والذي هو ناتج عن قصورهم في استيعاب الحقائق... بالتذكير بأخلاقية التسليم لأمر الله تعالى، فمن يؤمن بحكمة الله تعالى عليه أن يرد الأمور التي يجهلها ولا يتمكن من فهمها على وجهها إليه تعالى، إقراراً بحكمته وتسليماً لنقضه وإبرامه، (فالإسلام هو التسليم) كما ورد في الرواية.

وبهذا تبقى حكمة الغيبة ـ غيباً ـ من الغيب الذي حُجب عن البشر إلى حين، ولعل هذا هو السر في تفسير الآية الكريمة في مطلع سورة البقرة: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) حيث فسر (الغيب) فيها: بالإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه ■

مع رحلة الشيخ البلاغي في

حواره مع الأديان

• حسين جهاد الحساني
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

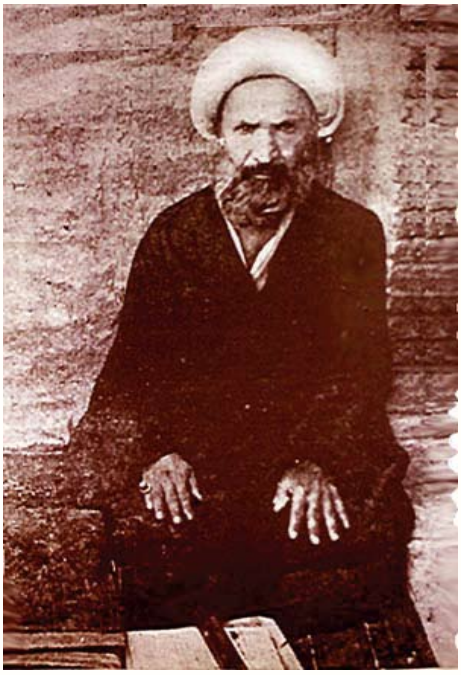

ينابيع اهتم أغلب العلماء والمفكرين والمثقفين في مسألة الحوار والمحاورة والمناظرة لاسيما أصحاب العقيدة الدينية، فنلاحظ قسماً منهم يهتم بالحوار الأدبي وآخر يسبح في فضاء الحوار التاريخي والقسم الأكثر كان همه الكبير إيصال الحوار العقائدي والمحاورة الدينية لما يحمله هذا القسم من توجه فكري وعقلي يستلهم النفوس ويشعل في ذات المحاور والمستمع والقارئ جمرة متوقدة تستمد حرارتها من طبيعة الحوار الصادق والصريح...

ولقد كان لعلمائنا المسلمين عامة الدور الكبير في هذا المجال بالخصوص علماء الشيعة الأفذاذ، وذلك لشمولية الرؤى والأفكار المستلهمة من قواعد المناظرة والاحتجاج والحوار

المتبادل عبر التاريخ بين علماء الشيعة والأديان الأخرى، فضلاً عن الفرق والمذاهب الأخرى.

وقد شكلت الاحتجاجات المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام دوراً ريادياً واسعاً في كيفية أسلوب الحوار والمحاورة وآدابها... أضف إلى ذلك ما ألفّه علماؤنا من كتب في محاورتهم مع الأديان الأخرى وخاصة في القرنين المنصرمين من أمثال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (التوضيح في حال الإنجيل والمسيح)، والشيخ محمد جان وهبي في كتابه (الإسلام ورسوله في التوراة والإنجيل)، والحجة د. محمد الصادقي في كتابه (البشارات والمقارنات)، وغيرهم من تلكم العقول النيرة، مع وجود فهارس صُنفت ووضعت فيما ألفّه المسلمون عموماً والشيعة بالخصوص في رد هجمات المبشرين وخزعبلاتهم...

من هو الشيخ البلاغي؟:

هو الحجة الكبير والعلامة الجليل الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب البلاغي النجفي الربعي.

ولد في النجف الأشرف عام ١٢٨٢هـ في بيت من أقدم بيوتاتها وأعرقها في العلم والفضل والأدب وشهرة بالتقوى والصلاح والسداد.

نشأ حيث ولد وأخذ المقدمات من أعلام النجف ثم سافر إلى الكاظمية سنة ١٣٠٦هـ وتزوج هناك...

بعدها عاد إلى النجف ثانية عام ١٣١٢هـ فحضر دروس الشيخ محمد طه نجف والشيخ آغا رضا الهمداني والآخوند والسيد محمد الهندي...

هاجر إلى سامراء عام ١٣٢٦هـ فحضر هناك درس الميرزا محمد تقي الشيرازي عشر سنوات حينها ألف خلال هذه الفترة كتب عدة...

ثم عاد ثانية إلى النجف وبدأ يواصل نشاطه التأليفي أتم حينها أكثر كتبه المشهورة... وقف بوجه النصارى والتيار الغربي فضلاً عن وقوفه بوجه الفرق الهدامة كالبابية والوهابية...

كان متواضعاً للغاية، يقضي حاجاته بنفسه، وينزل للشارع لابتياع مايلزم أهله، وكان خفيف الروح منبسط الكف، لا يمزح ولا يحب أن يمزح أحد أمامه، تبدو عليه هيبة الأبرار وأهل التقى والصلاح...

كان قدس سره مع مكانته وعظيم علمه وتفقهه في الدين، أديباً شاعراً، له شعر رائق متين، تزخر أشعاره بالعواطف المشاعر الإنسانية، وأكثر شعره يحمل حبه آل البيت عليهم السلام ومن شعره العذب قصيدة في الإمام المهدي(عج) يقول فيها:

حي شعبان فهو شهر سعودي
وعِدُ وَصلي فيه وليلة عيدي
منه حيا الصب المشوق شذا
الميلاد فيه وبهجة المولود
بهجة المرتضى وقرة عين المـ
ـصطفى بل ذخيرة التوحيد

وغيره من شعره الرائع...

أماتلامذته، فقدتتلمذعلىيديهفطاحل علماء الشيعة في القرن الماضي منهم: السيد الخوئي قدس سره، السيد شهاب الدين المرعشي، السيد صادق بحر العلوم، محمد هادي المبلاني، محمد

رضا فرج الله، محمد علي الأردوبادي، وغيرهم من علمائنا الأعلام...

ومن آثاره المطبوعة والمخطوطة فقد بلغت حوالي أكثر من ٤٠ مؤلف أشهرها:

الهدى إلى دين المصطفى، الرحلة المدرسية، أعاجيب الأكاذيب، التوحيد والتثليث، أنوار الهدى، البلاغ المبين، آلاء الرحمن في تفسير القرآن... وغيرها مت تلكم الآثار...

توفي رحمه الله بمرض ذات الجنب ليلة الأثنين ٢٢ شعبان ١٣٥٢هـ ودفن في الحجرة الثالثة الجنوبية من طرف مغرب الصحن الغروي على مشرفه السلام.

الحوار... وحوار الأديان:

الحوار مأخوذ من الحور، وله ثلاثة معانٍ الرجوع، الدوران، الدون والمطلوب هنا هو الرجوع: لذا يقال: (كلمته فما رجع إليّ حواراً)، أو أن يقول أحد الطرفين شيئاً، يقولون، (إن الأخر لم يحر جواباً)، أي لم يرجع ولم يرد.

والحوار في الإصلاح هو: حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات، وقيل هو: كلام يقع بين الأديب ونفسه أو من ينزل مقام نفسه أو خيال الحبيبة مثلاً، وهذا الأسلوب طاغ في المسرحيات، وشاع في أقسام مهمةً من الروايات ويفرض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس...

والظاهر أن هذا المعنى تقريباً هو الذي كان مستعملاً في حوار الحجة البلاغي في كتابه (الرحلة المدرسية) كما سيأتي...

لذا فقد اعتمد الكثير من الفلاسفة القدامى هذا الأسلوب، ومنهم الفيلسوف الكبير سقراط، إذ اعتمد في تثقيف طلابه أسلوب الحوار، فكان يطرح عليهم الأسئلة ويستمع إلى أجوبتهم ويصحح الفاسد ويستدرجهم من مرحلة إلى أخرى حتى ينتهي بهم إلى الغاية التي يريدها...

ونجد في المصنفات العربية غير المسرحية والروائية الأثر البارز لهذا الأسلوب وخاصة عند الجاحظ في كتابه (الحيوان) وأبي حيان التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة).

لذا إن امتلاك ناحية الحبكة والأسلوب والحوار والمحاورة ورسم البيئة وما إلى ذلك من عناصر كتابة المحاورة والقصة يخلق بنفسه محاورة عظيمة...

ويبدو أن من معنى الحوار خرجت وجوه وأشياء تعطي المعنى نفسه للحوار منه: الاحتجاج والجدال والمراء والمكابرة والمناظرة...

فالاحتجاج: هو إقامة الحجة لإثبات المطلوب، والجدل: هو الاتقان وشدة الخصومة، والمراء: هو الشدة والصلابة، ويقال للمناظرة مماراة، حيث يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، وأما المكابرة: فتعنى النقاش بإنكار وعناد.

لذا يتضح من هذه المعاني جميعاً أنهم يلتقون في مسار واحد وإن علاقتهم علاقة عموم وخصوص مطلق...

وللحوار مهما كان نوعه، الأدبي والديني والتاريخي، فله آداب وأخلاق يستعين بها المحاور في كيفية محاورته ومناظرته مع الطرف الآخر، فلو تعدى

الحـوار آدابه وأخلاقه فقد يذهب إلى ما لا تحمد عقباه...

لذلـك فـإن للحـوار الدينـي الأثـر الواضـح في نفوس الناس كما أسـلفنا آنفاً من حيـث أن الجدل والنقاش كان شـائعاً بيـن أتبـاع الأديـان المختلفة منذ القديم وقبـل ظهور الإسـلام، إذ كان محتدمـاً بيـن النصارى والمشـركين، واليهـود والنصـارى، وبين أبنـاء الدين الواحد أيضاً، كالمسـيحيين في قضية التثليث وعلاقة عيسى باللّه...

وعنـد مجـيء الإسـلام وسـع رقعة الحوار وأكثر فيه من أي دين آخر لأجل توعيـة النـاس بحقائق الوجـود وغيرها ومن أجل الوصول إلى حضارة أفضل.

وبالمقابل فقد حاول أعداء الإسـلام والذي أدركوا قدرة المسـلم الكلامية والبلاغيـة علـى المحاورة والحـوار منع أطيافهـم مـن المحـاورة والمناظـرة مع المسـلم وغلق أبواب الحوار معه... إلا أنه فـي نهايـات القرن الماضـي وابتداءً من القرن الحالي بدأ العامل يعمل على شكل منظمات متفرقة من حيث النوع والجنس متوحـدةً من حيث الرؤية العصرية لجمع الكلمـة بين الأديان والحضـارات، لذا أقيمـت نـدوات ومؤتمـرات عالمية بين الأديان والحضارات سُـميت باسم حوار الأديـان أو حوار الحضـارات إذ تتقارب الحضـارات العالمية فيمـا بينها لتتحاور في التقريب بين أديانها ومعتقداتها...

لـذا كان لعلمائنا الأفـذاذ من أمثال الشـيخ البلاغـي الـدور الرئيسـي فـي فتح بـاب الحـوار عن طريـق مؤلفاتهم وحواراتهم المنشورة هنا وهناك...

الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة:

منذ ما يزيد على نصف قرن استوحى العلامة البلاغي قولـه تعالى: (قل يا أهل الكتـاب تعالـوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكـم ألا نعبـد إلا اللّه ولا نشـرك به شـيئاً ولا يتخـذ بعضنا بعضـاً أرباباً من دون اللّه فـإن تولوا فقولوا اشـهدوا بأنا مسلمون) (آل عمران/ ٦٤).

فوضـع كتابـه الرحلـة المدرسـية والمدرسة السـيارة في نهج الهدى، وقد صـدر الكتـاب بجزأين وعلـى طبعات متعددة...

اتبـع فيه طريقة مبتكـرة جديدة في علـم المناظرة والحوار والمحاورة، وهو الـكلام الذي يقع بين الأديب ونفسـه... كمـا أشـرنا إلى آنفـاً، إذ أخـرج هذه الرؤيـة من المعنى الأدبـي إلى المحاورة الدينية أو العقائدية، إذ لاشـك أنها نالت إعجاب متابعيه آنذاك، وأخذت بيده إلى حقائـق ناصعة إذ توضح بعـض ما توقع في التـوراة والإنجيل من تحريف وتبديل

تنـــويه:

نحب أن ننوه إلى أن المقالة التي نشرت في العدد السادس والتي عنوانها: (الزهراء في ببليوغرافيا أهل السنة والجماعة) هي للكاتب حسين جهاد الحساني، عذراً لهذا الخطأ.

وذلك اعتماداً على استدلالات مستمدة من القرآن الكريم...

كما يبين الكتاب ويرد على افتراءات ومغالطات عدد من المبشرين الضالين المضلين المشوهين للحقائق.

والكتاب موضوع على صورة محاورات بين جماعة اجتمعوا للدرس النزيه في كتاب التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والمقارنة بين هذه الكتب واستخراج الحقائق غير مشوهة أو مزخرفة، ولم ينسوا الاستطراد إلى المبادئ الأخرى التي تمس التوحيد الخالص كالمبادئ المادية وغيرها...

الجلسة تكونت من خمسة شخصيات كما تخيلها العلامة البلاغي، إذ يشير إلى ذلك في مقدمته للكتاب إذ يقول: (...خيلت فيها أني...)

الشخصية الأولى هي: عمانوئيل، وهي لفظة عبرانية يراد منها (معنا الله).

والثانية: أليعازر، وهو والد عمانوئيل، وهي أيضاً لفظة عبرانية يراد منه (الله عون).

والشخصية الثالثة: القس، والذي وفد على الجلسة فكانت غنيمة لعمانوئيل للتنوير الفكري في المعارف ورفع الشبهات التي تختلج في ذهن السيارة في سياحة الحقائق، كما يشير العلامة البلاغي إلى ذلك بقوله:

(خيلت فيها أني عمانوئيل ابن اليعازر وفد علينا قس فأعددت قدومه غنيمة لتنوير فكري في المعارف، ورفع الشبهات...)

أما الرابعة: والذي جاء به المؤلف في الجزء الثاني من الكتاب هو شخصية الشيخ والذي احتيج وجوده في المحاورة للرد على بعض الشبهات والاعتراضات على الإسلام والقرآن من قبل الجانب الآخر...

وأما الشخصية الخامسة فهي: الدكتور، والذي جاء دخوله في المحاورة للرد على بعض الاعتراضات على المذهب المادي...

ومن خلال هذه المحاورة أجاد العلامة البلاغي في إيصال مفهوم الحوار بين الأديان إلى القارئ الكريم، وكيف يحاور تلك الأديان ويدحض شبهاتهم عن طريق كتبهم المنزلة والتي لعبت بها أيدي المبغضين منهم...

سار الشيخ بخطىً ثابتة في محاوره المعلومة لذوي الاختصاص بين القس وعمانوئيل واليعازر والشيخ والدكتور، ثم نظر المؤلف إلى خصوص الدين الإسلامي بعين الاعتبار فأظهر ما فيه عن طريق شخصية (الشيخ) من محاسن وما له من آثار التفوق على سائر الأديان وأنه دين الأبدية الذي جاء لك زمان وعصر وجيل ولم يختص بفئة دون أخرى أو شخص دون آخر، كأنما أراد البلاغي مصداق قوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

وإن هذا الدين فيه كل ما يحتاجه المجتمع البشري من الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والخلقية والعقائدية وغيرها من نواحي الحياة...

كما ذكر المؤلف في طيات كتابه الأصول الثلاثة للإسلام: التوحيد، النبوة، المعاد فذكر كل أصل من هذه الأصول بصورة مفصلة وأقام عليها الأدلة العقلية إلى جانب ما جاء في كتب العهدين والقرآن الكريم...

وفضلاً عن كل ما جاء من هذه الموضوعات في المحاورة، أشار الحجة البلاغي إلى كثير من المباحث الفلسفية والعقلية كشبهة الجبر والتفويض، والحسن والقبيح العقليين، وماهية النفس، والجوهر الفرد، والوجوب والإمكان والإمتاع، وحدوث المادة وقدمها، والتنازع في البقاء، وأيضاً ما يتعلق بفلسفة أعضاء الإنسان والعلة من خلقها وعجائب الحيوان، وفي السماء والأرض والهواء والبخار والمخلوقات العجيبة. وغيرها من الموضوعات والتي تكون كافية لإثبات التوحيد...

وأخيراً: فلم يتقيد العلامة البلاغي في هذا الكتاب على موضوع واحد فقط بل ذكر كل ما يجب اعتقاده وما يلزم معرفته في الإلهيات، وقد أجاد بذلك، وكان سباقاً لأسلوب الحوار بين الأديان والحضارات وفي أغلب مؤلفاته لا بل في هذا الكتاب، ودعوة لأن تكون كتبه منهاجاً لمعرفة كيفية الحوار والمناظرة.

وفي الوقت نفسه هي دعوة لذوي الاختصاص وأصحاب الكفاءات إلى دراسة هذا الكتاب وكتبه الأخرى، دراسة أكاديمية بحتة متمثلة بالدراسات العليا من الماجستير والدكتوراه ■

١- القرآن الكريم.
٢- الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة/ الحجة البلاغي.
٣- تاج العروس/ ج٦/ محمد بن مرتضى الزبيدي.
٤- لسان العرب/ ج٢، ٤، ١١، ١٤/ محمد بن منظور.
٥- المعجم الأدبي/ جبور عبد النور.
٦- الصحاح/ ج٤/ إسماعيل بن حماد الجوهري.
٧- البشارات والمقارنات/ د. محمد الصادقي.
٨- حوار الحضارات/ محمد الريشهري.
٩- الرد على الوهابية/ الحجة البلاغي/ تحقيق محمد علي الحكيم.
١٠- الدراسات الإسلامية المسيحية اليهودية/ السيد سامي البدري.
١١- وقد اتخذنا شبكة الإنترنت للوقوف على بعض المعلومات منها...

معز الدولة بن بويه

قال ابن كثير في حوادث سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة في العاشر من المحرم من هذه السنة: أمر معز الدولة بن بويه (قبحه الله) أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن، يلطمن وجوههن، ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يمكن لأهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم، وكون السلطان معهم. وفي عشر ذي الحجة منها أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء وعند الشرط، فرحاً بعيد الغدير ـ غدير خم ـ فكان وقتاً عجيباً مشهوداً، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة.

البداية والنهاية ج:١١ ص:٢٧٦

مدينة النيل..

بين الماضي والحاضر

استطلاع: حيدر الجد

تصوير: ضرغام كمونة

النيل معالم وآثار..
شواهد على عراقة الحضارة
وروح الولاء للعترة

ينابيع على ضفاف النيل، نيل الفرات الذي أمر بحفره الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٢هـ، قامت مدينة عريقة ذات شهرة واسعة، مدينة ليست بالكبيرة مساحةً إلا أنها كبيرة بدورها العلمي المتميز ورجالها الأفذاذ الذين وشّحتهم الدنيا بوشاح الخلد وخلعت عليهم جلباب المجد عندما وجدتهم أهلاً لذلك، فهم زينوا جيدها بقلائد العلم وأودعوا في خزائنها ميراثاً فكرياً ضخماً.

لقد تمازجت مع تربة هذه الأرض، طينة صالحة، حملت في تراكيبها مورّثات الحب للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة، بالرغم من أن الذي أوجد المناخ المناسب لنمو ونشأة هذه المدينة، يُعد من أشد المبغضين لآل محمد عليهم السلام، فقد أمر وكما بينا بحفر نهر يستقي ماءه من الفرات وعندما اكتمل، توفرت الظروف الملائمة لقيام مدينة صغيرة أو ما تسمى بالبليدة حسب تعبير البلدانيين.

ولا نعلم السبب الذي جعل الحجاج يأمر بمثل هذا الأمر، ويوطد الدعائم لقيام مجتمع عشائري عربي إضافة للوافدين عليه من غير العرب هذا والتاريخ الإجرامي للحجاج لا يُخفى علينا، ملازماً له الولاء المطلق لآل أمية والظاهر أنه احتفر هذا النهر أي نهر النيل لغرض إقامة مدينة تهاجر إليها الناس خصوصاً من عاصمة الدولة الإسلامية وحاضرة العلم، الكوفة المعروفة بطابعها الولائي لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام، فكانت هذه مبادرة من الحجاج لهجرة بعض القبائل للنيل وذلك لتفكيك العشائر الموالية لعلي المرتضى عليه السلام، الأرض الخصبة ذات النهر الجديد والجو الهادئ وكان له ما أراد إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فقد أصبحت النيل مدينة الولاء العلوي، واستمرت مع هذا الحال بالرغم من تقلبات الزمن وتعاقب الحكومات ذات الميول المختلفة والأهواء المتغايرة.

هاهي النيل تطل علينا بنخيلها الممتد على جانبي الطريق، الطريق الذي كان نهر النيل في يوم من الأيام، ثم غارت مياهه وجفت مواضعه، وتكدّست فيه

خارطة ناحية النيل وتبدو فيها سعة حدودها مع المدن المجاورة

أكوام التراب جرّاء عمليات التعرية والترسيب فأصبح شارعاً رئيسياً بعدما كان نهراً.

لنعيش معاً في أجواء هذه المدينة بين ماضيها التليد، المُزدهر بالرجال المميّزين، وحاضرها الذي يعيشه أبناؤها المليء بالمعاناة والأمل في رفعها، مع الافتخار بحضارة الماضي والتي ما فتأت يتذكرها أهلها بحنين.

النيل (نظرة عامة):

النيل في اللغة بكسر أوله، بلفظ النيل الذي تُصبغ فيه الثياب في مواضع، أحدها بليدة في سواد الكوفة، قرب حلّة بني مَزْيَد، يخترقها خليج كبير يتخلّج من الفرات الكبير، حفره الحجاج بن يوسف الثقفي وسماه بنيل مصر.

والنيل أيضاً نهر من أنهار الرقة حفره هارون الرشيد على ضفة الرَّقة[1]، كما ذكر السيد محسن العاملي في أعيانه عند ذكر النيلي: النيلي نسبة إلى النيل ـ بلفظ نهر مصر ـ بلدة في العراق على الفرات بين بغداد والكوفة، أنشأها الحجاج وشق فيها الأنهار وهي اليوم قرية عامرة قرب بابل ينسب إليها جماعة من العلماء[2]، وهناك مدينة صغيرة بالقرب من يزد تدعى بالنيل إضافة لنيل مصر، صاحب الشهرة الأولى وأول من سُمّي بنهر النيل

أيضاً يذكر البلدانيون إن النيل مدينة تقع بين بغداد وواسط والظاهر إنها امتداد لنيل الحجاج، إذا ما عرفنا أن الحجاج أيضاً قد أمر ببناء مدينة واسط، التي تتوسط مصري العراق، البصرة والكوفة، فكان أول البناء سنة ٨٣هـ أي بعد عام واحد من إكمال حفر النيل واستتمه سنة ٨٦هـ، ويؤكد هذا الاحتمال ما لاحظناه في الخارطة التي عُرضت علينا بمدينة النيل فالخارطة تبين اتصال النيل ببعض توابع

محافظة واسط من جهة العاصمة بغداد.

النيل في الماضي:

عند إلقاء نظرة فاحصة على خارطة مدينة النيل نلاحظ الموقع المتميز الذي حظيت به هذه المدينة فمدينة كيش التاريخية ذات التاريخ العريق والحضارة الأصيلة تلاصقها ويظهر تل الأحيمر الذي حدثنا عنه بعض سكان مدينة النيل في كونه يُعد اسطورة يقول فحواها (إن تل الإحيمر يغطي سفينة من ذهب؟!) كما أن الأكمات والتلاع تحيط بهذا التل وقد سُيّجت هذه المنطقة بكاملها باعتبارها تابعة لمديرية الآثار، فكل أكمة تعني وجود سرٍ تحتها، لا يكشفه سوى التنقيب والبحث كما اكتشفت بالصدفة مقابر تعود إلى أسر مالكة في مدينة كيش الملاصقة للنيل.

انتقل إليها علماء وأدباء ونسّابون وغير ذلك من الشخصيات المهمة، الأمر الذي أدّى إلى ظهورها حاضرة علمية في مدينة النيل.

وما أن ظهرت الحلة التي عمّرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دُبيس بن علي بن مزيد الأسدي، الذي كانت منازل آبائه الدور من النيل حتى انتقلت إليها حاضرة العلم والعلماء وأصبحت محط الركاب للمتنقلة وطلاب العلم والمعرفة، فكانت وريثة النيل، وفيها نما وترعرع هذا الإرث حتى انتشر في أرجاء بلاد الإسلام.

النيل في الشعر:

ورد للنيل ذكر في شعر الشعراء، وقد

تل الاحيمر الأثر الباقي من حضارة كيش والذي لم يكتشف باطنه بعد؟!

عينّـوا هـذه المدينة بالذات في أشـعارهم فمنهم غانم بن الحسـين الذي مدح السـيد فخـر الديـن أحمـد بن حمـزة الحسـيني النيلي، قائلاً:

يا ناق سيري في الفلا وارشدي
إلى الشريف الكامل الأوحد
أو تردي النيل الذي قد جرى
من فيض كفيه لمن يجتدي

كمـا قال محمـد بي خليفة السنبسـي شـاعر بنـي مزيـد يمـدح دُبيسـاً بقصيدة مطلعها:

قالوا هجرت بلاد النيل وانقطعت
حبال وصلك عنها بعد اعلاقِ
فقلت: إني وقد أقوت منازلها
بعد ابن مزيد من وفدٍ وطُرّاقِ
فمن يكن تائقاً يهوى زيارتها
على البُعاد فإني غير مشتاقِ
وكيف أشتاق أرضاً لا صديق بها
إلا رسوم عظام تحت أطباقِ

كما عنى إيّاها مرجا بن نُبأة قائلاً:

قصدتكم أرجو نوالٍ أكفكم
فعدتُ وكفّي من نوالكم صفرُ
فلما أتيت النيل أيقنت بالغنى
ونيل المنى منكم فلاحقني الفقرُ

رجال من النيل:

لابـد لنـا مـن التعـرض ولـو بإيجـاز لمجموعـة من الرجال الذيـن تخرجوا من هذه المدينة وحملوا لقبها، بل صار ملازماً لهـم لا يعـرف أحدهم إلا عندما تنسـبه له وتقـول فـلان النيلـي، علـى أن اللقب قد يختلط مع ممن كان يمتهن بيع مادة النيل وهـي صبـغ الثيـاب، وعمومـاً فالملقبون بالنيلي كثيرون بين عالم وشاعر ومتطبب إلا إننا سنذكر عشرة من الأعلام:

١ـ الحسين بن الحجاج النيلي:

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بـن جعفـر بن محمد بـن الحجـاج النيلي، البغدادي.

ولـد في النيل، ولا يُعلم العام الذي ولد فيـه، أما وفاته فكانت في جمادي الآخرة سـنة ٣٩١هـ بالنيـل، ثم حُمـل جثمانه إلى مشـهد الإمـام الكاظـم عليه السلام، ودفـن فيه وكان قـد أوصـى أن يُدفن بحـذاء رجلي الإمـام عليه السلام ويُكتب على قبـره (وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد).

يُعد الحسـين من كبـار العلماء، كما أقـرّ بذلـك ابن خلـكان وأبو الفـداء في تاريخه كما قالوا عنه من كبار الشـيعة، من كبار شعراء الشـيعة وما هذه الألقاب التي خُلعت عليه إلا لسـمو مقامه، وجزالة شعره، وجودة قريحته أضف لذلك مواقفه الدفاعيـة عـن العترة الطاهـرة، والتصدّي لمناوئيهم والحاقدين عليهم فكان لسـانه بحق سيفاً قاطعاً، وبتّاراً نافعاً، الأمر الذي أهّله كـي يتولى مهمة الحُسـبة، وهي من المناصب المهمـة الرفيعة والعلمية، وتعني الحسـبة: الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكر بين الناس كافة.

أمـا أدبـه فيحـدث عنـه الثعالبـي فـي يتيمته فيقول: (سـمعت به من أهل البصرة وحسـن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي اشـتهر به، وإنه لم يُسـبق إلى طريقته، ولم يلحق شاؤه في نمطه، ولم ير كاقتـداره على ما يريـده من المعاني التي تقع في طرزه، مع سلامة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها في الملاحة والبلاغة).

جمع الشريف الرضي شعره في ديوان،

أطلق عليه اسم (الحسن من شعر الحسين) كما رتب البديع الاسطرلابي ديواناً له على أبواب الشعر وسماه (درة التاج في شعر ابن الحجاج) ومن قصائده المشهورة:

يا صاحب القبة البيضاء على النجف
من زار قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلكم
تحظون بالأجر والإقبال والزّلفِ
زورا لمن تسمع النجوى لديه فمن
يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي

٢- صالح النيلي:

صالح بن الحكم النيلي[٣]، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: (صالح بن الحكم النيلي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام).

وقد روى صالح عن الإمام الصادق عليه السلام وروى عنه محمد بن صدقة كما في كامل الزيارات الباب ٥٤، في ثواب من زار الحسين عارفاً بحقه. والحديث (من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كان كمن حجّ مئة حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

٣- ابن فراقد العمري العلوي:

أبو الحسن محمد بن الحسن بن زيد فراقد بن الحسن النيلي[٤] بن محمد بن الحسين بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر الأطراف بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نقيب الأشراف في النيل، وشريفها الذي طاول السماء بمجده وشرفه هو وأخوته وأولاده، ممن عرفوا بالكرم والنجدة وقد عرفوا بآل فراقد نسبة إلى جدهم المشهور بـ(زيد الفراقد).

كان أول من سكن النيل منهم أبو زيد الحسن النيلي، ومن ذريته أبو الحسن محمد، صفي الدين محمد، فقد وصفه ابن عنبة وقال: (كان يُشار إليه بالأدب والمعرفة، له كتاب شرح نهج البلاغة وغيره).

٤- ابن العودي النيلي:

الرّبيب أبو المعالي سالم بن علي بن سلمان بن علي المعروف بابن العودي التغلبي النيلي[٥] نسبة إلى بلدة النيل، على نهر النيل الممتد من الفرات الممتد نحو الشرق الجنوبي وكانت ولادته بها سنة ٤٧٨هـ.

ذكره الدكتور مصطفى جواد بمقالته المنشورة في الأعداد ٤، ٥ من مجلة الغري قائلاً: (كان أبو المعالي من الشعراء الذين اشتهر شعرهم وقلت أخبار سيرتهم، فهو كوكب من كواكب الأدب).

أما وفاته فمجهولة التعيين عدا بعض القرائن المخمنة من قبل العلامة الأميني رحمه الله فقد قدّر كونها فيما يقارب سنة ٥٥٨هـ، كان ابن العودي شديد الغيرة على المذهب، ولما دخل ابن شهراشوب العراق في أواسط القرن السادس ألفى شعر ابن العودي في المذهب تستهويه الآذان وتنشده الأفواه فضمن كتابه مناقب آل أبي طالب شيئاً منه، ومن شعره:

بكيت على ما فات منّي ندامة
كأني خنسٌ في البكا أو متمّمُ
وأصفيت مدحي للنبي وصنوه
وللنفر البيض الذين همُ همُ
هم التين والزيتون آلُ محمدٌ
هم شجرُ الطوبى لمن يتفهّمُ

وله أبيات من قصيدة أخرى:

بفنا الغري وفي عراص العلقمي
تمحا الذنوب عن المسيء المجرمِ
قبران قبرٌ للوصي وآخرٌ
فيه الحسين فعجّ عليه وسلّمِ

هذا قتيلٌ بالطفوف على ضماً
وأبوه في كوفان ضُرّج بالدمِ

٥- ابن ساروج النيلي:

حمزة بن أحمد، أبو الغنائم النيلي[٦] العراقي، كاتب من الشعراء ولد بالنيل عام ٥١٨هـ وسكن بغداد، ورحل إلى الشام وبلاد الترك، وسكن بغداد حتى توفي فيها عام ٦١٣هـ.

٦- الحسن النيلي:

الحسن بن أبي سارة النيلي[٧] الأنصاري القرظي، عدّه الشيخ من أصحاب الإمامين الصادقين، وثقة النجاشي في ابنه وقال محمد بن الحسن بن أبي سارة، أبو جعفر، مولى الأنصار، يُعرف بالرواسي أصله الكوفة سكن هو وأبوه قبله النيل.

روى هو وأبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، وآل أبي سارة أهل بيت فضل وأدب.

٧- ابن مكّي النيلي:

هو سعيد بن أحمد بن مكّي النيلي[٨] المؤدّب، من أعلام الشيعة وشعرائها المجيدين المتفانين في حب العترة الطاهرة وولائها، المتصلّبين في اعتناق مذهبهم الحق، ولقد أكثر فيهم وأجاد وجاهر بمديحهم ونشر مآثرهم حتى نسبه القاصرون إلى الغلوّ، ولكن الرجل موالٍ مقتصد قد أغرق نزعاً في اقتفاء أثر القوم والاستضاءة بنورهم الأبلج، وقد عدّه بن شهراشوب في معالمه من المتقّين، من شعراء أهل البيت عليهم السلام وهو نفسه أبو سعيد النيلي أو سعد بن أحمد، قال الحموي عنه (المؤدب الشيعي، كان نحوياً فاضلاً عالماً بالأدب، مغالياً بالتشيّع له شعر جيد أكثره مديح في أهل البيت وله غزل رقيق مات سنة ٥٦٥هـ وقد ناهز المائة).

من شعره:

دع يا سعيد هواك واستمسك بمن
تسعد بهم وتزاح من آثامه
بمحمدٍ وحيدرٍ وبفاطم
وبولدهم عُقد الولا بتمامه
قومٌ يسرُّ وليهم في بعثه
ويعضّ ظالمهم على إبهامهِ
ونرى وليّ وليهم وكتابه
بيمينه والنور من قُدّامه
يسقيه من حوض النبي محمد
كأساً بها يشفي العليل أوامه
بيدي أمير المؤمنين وحسب من
يسقي به كأساً بكفّ إمامه
ذاك الذي لولاه ما اتضحت لنا
سبلُ الهُدى في غوره وشآمه
عَبَدَ الإله وغيره في جهله
مازال معتكفاً على أصنامه
ما اصفّ يوماً وشمعون الصفا
مع يوشع في العلم مثل غلامه

٨- بهاء الدين النيلي:

هو الشريف علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد الحسيني النيلي[٩] الأصل، النجفي الموطن، يلقب بالنسابة، (وذلك لعلمه بالأنساب خصوصاً العلوية منها، يرجع نسبه إلى الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)، مُحدّث، عالم إمامي له (الأنوار البهية في الحكمة الشرعية) ويسمى اختصاراً (الأنوار المضيئة) بخمس مجلدات، كما له كتاب (الدر النضيد في تعازي الإمام الشهيد) وله (الإنصاف في الرد على صاحب الكشاف).

ملاحظة: والظاهر هناك من يدعى

على هذه الأرض كانت إمارة بني مزيد ماثلة للعيان.. وأصبحت اليوم آثاراً

نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي فتارة يحتمل المترجمون للشخصية اتحاده مع بهاء الدين فكلا الاسمين يعودان لبهاء الدين النيلي، وأخرى يحتمل وجود شخصيتين هما نظام الدين وبهاء الدين إضافة لكون نظام الدين أيضاً محط إشكال فمرة يرد بعنوان الشيخ نظام الدين النيلي وأخرى السيد نظام الدين. بالنسبة للإشكال الأول فالاحتمال الأول أقرب إلى الصحة والله أعلم.

٩- ابن العلقمي الأسدي النيلي:

أبو طالب مؤيد الدين محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن العلقمي[١٠]، وهو آخر وزير للعبّاسيين، وأول وزير لحكومة المغول في بغداد بعد سقوط الخلافة العبّاسية، وهو أسدي المحتد كما في الفخري، وأصله من النيل قرب الحلة المزيدية، وقيل لجدّه العلقمي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي.

ولد بالنيل سنة ٥٩١هـ وانتقل إلى الحلة، واشتغل فيها على عميد الرؤساء.

أجمع المؤرخون على أنه كان عالماً، فاضلاً، يحب العلماء ويسدي إليهم المعروف، وكانت بينه وبين حاشية الخليفة مشاحنة فنسبوا إليه الخيانة في وقائع المغول واتخذوها وسيلة للوقيعة فيه، كما نسب إليهم محاولة خلع الخليفة.

وقد نقل عن الطقيطقي صاحب كتاب الفخري (كان مؤيد الدولة عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزهاً مترفعاً، وكان خواص الخليفة يكرهونه ويحسدونه بينما كان الخليفة يعتقد فيه ويحبه، لذا أكثروا من الذم له عند الخليفة، فكف يده عن أكثر الأمور ونسبه الناس أنه خامر أي اتفق سراً مع أعداء الخليفة على إزاحته وليس ذلك بصحيح) ثم يذكر (ومن أقوى الأدلة على عدم مخامرته، سلامته في هذه الدولة أي

دولة المغول، فإن هولاكو لما فتح بغداد، وقتل الخليفة سلّم البلد إلى الوزير وأحسن إليه، فلو كان قد خامر على الخليفة لما وثق هولاكو فيه، توفي المؤيد سنة ٦٥٦هـ.

١٠- آل مَزْيَد الأسدي:

آل مزيد من الأسر الأسدية، ومزيد هو بن مرثد بن الديان، من بني مالك ابن عوف، من ثَعْلبة، من بني أسد بن خزيمة[١١].

أول من انتقل من مدينته إلى النيل[١٢] هو علي بن مزيد، أبو الحسن، الذي اتخذها مقراً لإمارته، إذ كان والياً على الحلة الدُبيْسية الواقعة بين واسط والأهواز وكان سبب هجرته من مدينته الحروب الطاحنة بينه وبين قومه الأمر الذي أدى إلى تركه أناسه والهجرة إلى مدينة النيل كي يتخذها عاصمة لولايته، وهو أول الأمراء المزيديين، الذين استمرت مدة إمارتهم للنيل ومن ثم للحلة ما يقارب ١٤٢سنة إذ كانت بداية الإمارة في النيل وكما ذكرنا على يد علي بن مزيد سنة ٤٠٣هـ.

ثم تلاه في إمارة ولده نور الدولة دُبيْس بن علي بن مزيد، الذي امتدت مدة حكمة لإمارة النيل ما يقارب ٦٦سنة من عام ٤٠٨هـ إلى عام ٤٧٠هـ، وقد دارت بينه وبين أخويه المقلّد وثابت الحروب والفتن، فقد اتفقت خفاجة معها، فأغاروا على النيل وعاثوا فيها فساداً إلا أن دُبيْساً كان ذا دهاء وسياسة، وبفضلهما استطاع أن يخمد نائرة الحرب والفتنة، توفي بمطير آباد سنة ٤٧٤هـ أو ٤٧٥هـ.

وقد ورد عليه مهيار الديلمي مرات ومرات يمتدحه ويثني عليه لأنه كان موصوفاً بالشجاعة والكرم.

وقام بأمر الإمارة من بعده ولده بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دُبيْس، كانت مدة ولايته خمس سنوات، شهدت خلالها النيل استتباباً في الأمن واستقراراً عاماً، إلى أن توفي سنة ٤٧٩هـ.

فجاء بعده سيف الدولة صدقة بن منصور الذي انتقل من النيل إلى الحلة عام ٤٩٥هـ، المؤسس الحقيقي للحلة، الذي انتقل من قاعدة حكم أبوه وأجداده إذ كانت منازل آبائه الدور من النيل. وقد ازدهرت الحلة في عهده حتى قصدها العلماء والأدباء وكانت من البلدان ذات

يظهر في الصورة السيد مدير ناحية النيل

مجرى نهر النيل الذي أصبح طريق المدينة العام

النشاط التجاري الواسع إلا أنه قتل في منطقة النعمانية سنة ٥٠هـ في واقعة مع السلطان محمد.

ثم استمرت الدولة المزيدية فقد تولى ولده دُبيْس الثاني الذي بانقراضه عام ٥٤٥هـ انقرضت الإمارة المزيدية في الحلة.

قرى النيل:

في الماضي كانت هناك عدة قرى تابعة للنيل والتي لا نجد لها اليوم أثراً سوى أطلال متناثرة وأكوام من التراب تعلو هنا وتندك هناك، ومن هذه القرى زاقف، القيلوية، قوسان، المباركة، مطير آباد، المنقوشية، النجيمة، نهر الدير.

وقد ذكروا إن على النيل كانت هناك أربعمائة قرية آهلة بالسكان والآن لا وجود لها، ماعدا بعض القرى التي هي اليوم من توابع مدينة الحلة مثل الوردية والدولاب وفنهرة وبيرمانة والرواشد.

وظاهراً كان النيل يتفرع إلى ثلاث فروع هي نهر النيل، نهر الوردية، ونهر بنشّه.

مدينة النيل في الحاضر:

ما إن استقلت بنا السيارة حتى انطلقت تباري الرياح، وكأنها تبادلني الشوق في سرعة الوصول إلى النيل التي قرأت عنها قليلاً وكنت أرغب بزيارتها للتعرف على أحوالها عن كثب. اجتازت سيارتنا مدينة الحلة الفيحاء وما هي إلا دقائق حتى أشارت إلينا لائحة، تُبصّرنا بالطريق نحو ناحية النيل التي تبعد عن مركز الحلة بمسافة تعادل (١٢ ـ ١٥)كم، ولجنا في ذلك الطريق، الذي تنتشر على جانبيه البساتين وارفة الظل، يقف فيها النخيل وكأنه طابور من الجيش، ذو نسق مرتّب، يعلو شامخاً بقدّه الرشيق وسعفاته الخضراء وتتدلّى منه أعذاق الرُطب، وصلنا إلى مركز الناحية وهي بليدة صغيرة توسطت مجموعة من القرى، بضع محلات متناثرة هنا وهناك، وتتوسطها بناية، تضم مديرية الناحية ومركز الشرطة والمرور إضافة لمفتشية الآثار باعتبار الناحية ذات طابع آثاري مميز.

التقينا مجموعة من الأخوة الذين رحبوا بنا وأمنّوا لنا الاتصال مع السيد مدير الناحية الذي تلقانا بقلب رحب وصدر واسع فقد قدّم لنا عرضاً موجزاً عن ناحية

النيل، فقال: استحدثت مديرية ناحية النيل عام ١٩٧٩م، وأُلغيت عام ١٩٨٦م، ثم أُعيد استحداثها عام ٢٠٠٠م في شهر كانون الثاني، تبلغ مساحة الناحية (٢٢١٠٠٠) دونم، ويبلغ عدد نفوسها ما يزيد على (٤٥٠٠٠) نسمة.

تُعد اليوم ناحية النيل من المدن الآمنة، ويعزى السبب في ذلك إلى تكتل العشائر فيها فالكل يعمل لمصلحة الكل والفرد يعمل لمصلحة الكل، أضف لذلك إمكانية تمييز أبناء العشائر المتواجدين في الشوارع والمحلات للغريب الذي يدخل في المنطقة فتوضع عليه علامات الاستفهام لحين معرفة غرضه وقصده.

تنضوي تحت اسم النيل اليوم عدة قرى، منها ما أخذت اسمها من اسم العشيرة التي تسكنها فمن هذه القرى نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

١- الطلايع، ٢- سَرْديب، ٣- الاخاء، ٤- الشروق، ٥- الخلفة، ٦- حطّين، ٧- النييلات، ٨- الحسينية، ٩- الخاجي (غالي منيهل)، ١٠- مطلك الظاهر، ١١- كريط، ١٢- العزّة، ١٣- البور، ١٤- الدواغنة، ١٥- الجربوع (آل سلطان)، ١٦- آلبو طيف.

أما العشائر فإضافة لما ذكرناهم ضمن القرى، فهناك عشائر زبيد وشمّر والأحباب وآلبو نافع (الندة). كذلك هناك عدد من الأسر الحسينية والموسوية مثل آلبو عنّة والسادة آل ياسر، إضافة لعشيرة العمّار الشمّرية.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

يمكن القول أن مجتمع النيل اليوم هو مجتمع عربي عشائري، يمتاز بالكرم والنجدة والشجاعة، علاوة على ذلك الولاء المطلق لمحمد ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، وقد دفعت النيل حالها حال باقي مدن العراق ضريبة هذا الولاء أبان العهد البائد، فقد قدمت كوكبة من شبابها، أضاحي على طريق الشهادة، إضافة للأسر التي طالتهم يد الحاقدين فأبادتهم إبادة كاملة، وعلى أية حال، فالناس بسطاء طيبو القلب يمتهنون حرفة الزراعة، ويتوارثونها أباً عن جد، لذا تلاحظ أن هم المدينة الأكبر ينحصر في ثلاث أشياء:

١- الماء. ٢- البذور.
٣- السماد.

منظر عام لمركز المدينة

استطلاع المجلة

حدثنا الأستاذ عبد السلام غالي مدير المجلس البلدي عن معاناة المزارعين اتجاه المتطلبات الثلاثة التي ذكرناها، فقال:

تعتمد اليوم ناحية النيل على نهرين يمّران في أراضيها وهما جدول بابل والذي يتجاوز طوله خمسة وثلاثين كيلومتراً وجدول النيل يتجاوز طوله عشرين كيلومتراً، وأما الذي حفره الحجاج وبه عرفت ناحية النيل فقد انطمست آثاره كما ذكرنا وأصبح اليوم الشارع الرئيسي في الناحية، وقد حدثت عدة تجاوزات على هذين الجدولين والترع المتفرعة منهما في العهد السابق نتيجة للمحسوبية والرشوة، وقد أدى ذلك إلى تدهور وضع الري في المناطق المزروعة وبالتالي انعكس سلباً على الحاصل الزراعي ومن ممارسات رجال النظام السابق اللامسؤولة فقد تم تهديم ناظم كان قد بُني في عهد الإنكليز والذي تتلخص مهمته في رفع منسوب المياه كي يسقي ما يجاوره من أراضٍ زراعية، وكان لهذا العمل التخريبي أثرٌ السيء على الزراعة وعملية المحاصصة (الرشن) في توزيع الماء بصورة عادلة بين المزارعين، كما يعاني قطاع الري من غزارة تواجد نبات الشمبلان الذي ينمو بصورة مذهلة، والذي تتطلب عملية إزالته وقتاً وجهداً غير هينين.

كما برزت مشكلة جديدة وهي قدم شبكة المبازل وعدم إدامتها في العهد السابق، الأمر الذي أدى إلى تدهور عملها وبالتالي فقد أثرت على مناسيب المياه الجوفية ومن ثم ازدادت الملوحة في التربة وقد سبّب ذلك التقليل في المساحات المزروعة كما إن قلة المجمعات المائية أثرت سلباً على السكان، فالماء الصالح للشرب يكاد نعدم وقد رأينا في الطريق عدة أطفال ونساء يحملون أواني لجلب الماء من النهر للاستخدام البشري.

كما يؤكد الأستاذ عبد السلام على وجود مشاكل في موضوعي البذور والأسمدة، فالفلاح يعاني الأمرين للحصول عليهما، فليس هناك دعم من مديرية الزراعة ولا الجمعيات الفلاحية، إضافة

مرقد سعد وسعيد ابني جابر الأنصاري
المركز الرئيس لتجمع أبناء المدينة

لارتفاع أسعار المادتين وعدم تكافؤ الكلفة مع سعر البيع، وهذا ما يؤدي إلى عدم حصول الفلاح على الجُرع المناسبة من الأسمدة والمبيدات.

أما النقل والمواصلات، فقد برزت من خلالها مشكلة الأضرار الحاصلة في طريق حلة ـ نيل الذي يربط الناحية بخط المرور السريع، فنتيجة للاستخدام الكثير وازدحام المواصلات، أصيب الطريق بعدّة تصدعات وأضرار وقد أجرت مديرية طرق بابل مشكورة كشفاً لتحديد الأضرار وطرق معالجتها.

بالنسبة لقطاع التربية والتعليم، أيضاً يعاني هذا القطاع من قلة تجهيزه بالمواد الضرورية لإدامة العملية التعليمية في النيل، يبلغ عدد المدارس ثلاث وعشرون مدرسة منها ابتدائية مختلطة وثانوية واحدة للبنين ومتوسطة للبنات.

أما القطاع الصحي فالمشكلة تبرز في عدم وجود مراكز صحية سوى واحد يغذي المنطقة بكاملها وهذا الأمر يؤدي إلى ازدحام المركز وعدم تقديم الخدمات العلاجية على الوجه الأكمل إضافة لشحة تجهيزه بالأدوية من قبل مصادر التجهيز، واليوم تتظافر الجهود لأجل إنشاء مركزين صحيين في بعض قرى النيل.

أما خدمات الكهرباء، فبالنظر لسعة الحدود الإدارية لناحية النيل فإن الشبكة تبلغ أطوالها تقريباً (٨٠كم) من جهة، ومن جهة عدم وجود محطة مركزية في مركز الناحية أثر ذلك سلباً على خدمات

صخرة منقوشة لقبر سيد مجهول تنتظر من يكشف رموزها

الشبكة واستفادة المواطنين منها.

المراسيم والشعائر الدينية:

لقد عانى أهالي النيل كثيراً جرّاء حرمانهم من إقامة المراسيم الدينية أيام عهد الطاغية الذي نصب الحراب مع الموالين والسائرين بدرب الحسين عليه السلام، فالآذان كانت إقامته ممنوعة في الجوامع والحسينيات، أما الشعائر الحسينية فقد تم إلغاؤها تماماً في الاجتماعات العامة، اللهم إلا ما تخفّى به بعض الموالين في بيوتهم، يحيطون أمرهم بالكتمان والسرّية خشية معرفة عيون السلطة بأخبارهم.

اليوم وبعد زوال النظام الغاشم، فقد تنفّس المؤمنون الصعداء وبدؤا بتهيئة موكبهم الشهير بموكب الإمامين الذي يشترك سنوياً في إحياء المناسبات الدينية، ففي اليوم السابع والعاشر من المحرّم، يخرج الموكب ويجوب الشارع الرئيسي للناحية كذلك يخرج الموكب لإحياء ذكرى وفاة الإمام الكاظم عليه السلام في الخامس والعشرين من شهر رجب متجهاً نحو الكاظمية، وإلى النجف ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان للاشتراك مع المواكب المجتمعة في ذكرى استشهاد سيد الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام، أما في مناسبة أربعينية شهيد كربلاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فالموكب يشترك مع المواكب الأخرى في مسيرة المشاة المليونية نحو كربلاء الشهادة والكرامة.

يعتبر مرقد سعد وسعيد مركز ناحية النيل، إذ فيه يجتمع الناس وتلتقي في المناسبات والأعياد وفيه تقام صلاة الجماعة بإمامة السيد صفاء الشلاه الحلي، الذي يقوم بمهمة الإرشاد والتوجيه الديني من خلال المنبر على هيئة محاضرات إسلامية ومجالس عزاء آل البيت عليهم السلام كما تقام في القاعة التابعة لهذا المرقد دورات تثقيفية صيفية وللسنة الثانية على التوالي للفئات العمرية (١٢-١٦)سنة و(١٧-٢٥)سنة و(٢٦-٣٥)سنة تتضمن دروساً في أحكام التلاوة والتفسير والعقيدة الإسلامية والفقه وسيرة أهل البيت عليهم السلام والأخلاق.

وأما مرقد سعد وسعيد فيحدثنا الأخ عباس حمزة حسين أحد القائمين على خدمة المرقد ويقول: سعد وسعيد ولدا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، أُصيبا في معركة النهروان،

القاعة التي تقام فيها الدروات التثقيفية الصيفية

إلى اليمين جدول النيل وإلى اليسار جدول بابل النهران الرئيسبان اللذان تعتمد عليهما ناحية النيل

وكانا إلى جنب الإمام علي عليه السلام فعندما كرّ راجعاً نحو الكوفة وعند مروره في أراضي النيل، ثَقُل حالهما واشتدت بهم الآلام إلى أن توفيا، فدفنهما الإمام عليه السلام في هذا المكان.

وعن تاريخهما يحدث يقول كانت القبة ظاهرة للعيان منذ أكثر من مئتين عام حسبما حدثنا آبائنا وأجدادنا، والقبة اليوم تظهر مصبوغة باللون الأخضر تضم إضافة للمرقد قاعة ومصلى، تبلغ المساحة الإجمالية للمرقد وملحقاته (٢٥٠٠)م٢، أما بناؤه فليس بالحديث عدا القاعة والمصلى اللذان تم بناءهما عام ٢٠٠٣م.

تفتقر مدينة النيل إلى مكتبة عامة تقدم خدماتها للمطالعين وقد التمس مني بعض المؤمنين هناك أن أذكر حاجة المرقد للدعم المادي كي يتسنى لهم إقامة مكتبة تخدم عموم ناحية النيل إضافة لإكمال بعض النواقص في المرقد.

بحثنا بعدها عن مراقد في النيل فلم نجد سوى المراقد التالية:

١ـ مرقد معد بن الإمام الهادي عليه السلام.
٢ـ مرقد سيد راشد.
٣ـ مرقد سليمان.
٤ـ مرقد موسى بن الحسن المثنى عليه السلام.
٥ـ مرقد أخيه علي بن الحسن المثنى عليه السلام.

ونظراً لضيق الوقت اخترنا الذهاب إلى مرقد معد بن الإمام الهادي عليه السلام ومرقد موسى بن الحسن المثنى عليه السلام، فقد جذبني اسم معد بن على الهادي عليه السلام لأني أعلم أن الإمام الهادي عليه السلام لم يعقب سوى أربعة الحسن والحسين وسيد محمد وجعفر، وقد دُفن أولاده معه سوى سيد محمد فقد دُفن في مكان قريب من مدينة بلد كما هو مشهور ومعلوم عند أرباب السير والتاريخ.

اتجهت بنا السيارة نحو مرقد معد باتجاه آثار كيش فقد اجتزنا تل الأحيمر المشهور وولجنا في طريق ترابي، وما هي إلا بضع دقائق حتى دخلنا بستان واسع،

مرقد موسى بن الحسن المثنى عليه السلام

والتقينا فيه الحاج عبيّس العمّاري الذي استقبلنا برحابة صدر وطيبة قلب وأخذنا إلى مرقد سيد معد فإذا بصندوق حديدي، يضم قبر وقد ثُبّت عليه صخرة مكتوبة بخط لا نكاد نميزه، وقد طلب منا أن نسأل عن صاحب هذا القبر، يحدث الحاج عبيّس:

قبل أكثر من ستين سنة كنت حينها فتىً يافعاً وكنت أعمل مع والدي في هذا البستان وخلال عمليات الحرث وجد والدي أساساً فتتبعه وإذا به أساس لبناء كامل، ثم جعل ينقّب في وسط هذا الأساس، فإذا به يجد صخرة، وفي تلك الليلة رأى في عالم الرؤيا كأنما شخص ذو وجه نوراني يطلب منه تعمير القبر ويقول له أنا من عترة النبي صلى الله عليه وآله، فاستيقظ وقرر بناء حجرة تضم القبر، وأما بالنسبة لتعيين القبر فقد ذهبنا بالصخرة لشخص متعلم حينها وكلنا هنا أميّون، فقرأها بصورة عشوائية وقال هو معد بن علي الهادي عليه السلام، وقد كانت تعرف من قبل بمقام الخضر عليه السلام (وقد طلب الحاج عبيّس منا إيصال صوته لكل من له شأن في اكتشاف الخطوط وتعيينها لكي تتم معرفة هذا السيد الجليل).

ودعّنا الحاج العمّاري وعدنا نحو آثار بني مزيد التي ذكرنا أحوالهم فيما تقدم والآثار اليوم هي بقايا أحجار لقصورهم وبضع أواني فخارية مكسرة، كانت من

مقتنياتهم.

ثم ما لبثنا أن اتجهنا نحو مرقد السيد موسى بن الحسن المثنى عليه السلام وهو قبر شُيد حديثاً تعلوه قبة خضراء وفي الحرم يرتفع الصندوق المغطى بالشال الأخضر وقد علقت عليه الزيارة المشهورة المعروفة بزيارة أبناء الأئمة عليهم السلام شبيهة تماماً بزيارة سيد إبراهيم المجاب المدفون في الحضرة الحسينية، استفسرنا عن صاحب القبر من الأخ نجاح حسن العُبيدي سادن المرقد فقال لنا: إن صاحب القبر معروف بالكرامات الباهرة حيث لم يقصده أحد إلا وكان له ما يريد وكم من مريض شاه الله ببركة هذا السيد، ويتابع الأخ العُبيدي قائلاً: تتبعنا كتب السيرة والأنساب فلم نجد له ذكر فالحسن المثنى عليه السلام لم يعقب سوى عبد الله المحض وإبراهيم الغمر والحسن المثلث وداوّد وجعفر، إلا إننا نعتقد في كونه من ذرية الإمام الحسن عليه السلام وإن لم نتحقق يقيناً من شخصيته.

ظاهرة انتشار القبور لأبناء أهل البيت:

ما أن تتجه من مدينة في العراق إلى أخرى إلا وتُطالعك قبابٌ خضراء تخفق عليها الأعلام الخضراء والبيضاء والحمراء والسوداء وكل لون يعني عند عامة الناس رمزاً يجده في داخله وعندما تمعن النظر، تشاهد آثار الحنّاء تزخرف الحيطان بنسق تظهر عليه آثار الكف، وأغلب هذه القباب تضم تحتها مراقداً لسادة من صلب الأئمة الأطهار عليهم السلام، إلا أنها غير معلومة الشخصية، فتتم نسبتها بشكل لا على التعيين، فهذا ابن الرضا وذاك ابن السجاد وهذا ابن الحسين.

هناك عدة عوامل أدت إلى عدم معرفة صاحب المرقد ومنها:

١ـ إندراس مَعْلم القبر وضياع القطعة الصخرية المعرّفة بشخصه بل ولربما انطمست الكتابة على تلك القطعة.

٢ـ عدم معرفة المتولّي لسلسلة نسب صاحب القبر، وبالتالي تتم نسبته بصورة عشوائية إلى الأمام عليه السلام، وربما كان ذلك الإمام جده الخامس فيقال عنه السيد فلان بن الإمام.

٣ـ وقد يقوم بعض السذّج بنصب قبر وينسبونه للسيد الفلاني بن الإمام، والسبب من وراء ذلك، استغلالهم لمحبة الناس اتجاه آل البيت عليهم السلام وبالتالي التكسّب والعيش مما يبذله الناس لهم.

عموماً يمكن القول إن في كل أرض يرتفع أثر لآل البيت عليهم السلام نراه يصبح مهبطاً للرحمات مناراً لتلّقي العلوم واستدفاع الضر وبيتاً من بيوت العبادة ■

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/ ٣٣٤.
(٢) أعيان الشيعة، الأمين ٨/ ٢٦٦.
(٣) كامل الزيارات، ابن قولوية باب:٤٤ ص١٦٢.
(٤) موارد الإتحاف في معرفة السادة الأشراف، كمونة الحسيني ٢/ ١٩٧.
(٥) الغدير، الأميني ٤/ ٣٧٩.
(٦) الأعلام، الزركلي ٤/ ٢١٥.
(٧) قاموس الرجال، التستري ٣/ ١٢٤.
(٨) الغدير، الأميني ٤/ ٣٩٢.
(٩) الأعلام، الزركلي ٤/ ٣٠٢.
(١٠) البابليات، اليعقوبي ٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦.
(١١) الأعلام، الزركلي ٨/ ١٠٢.
(١٢) تاريخ الحلة، يوسف كركوش ١/ ١٢، البابليات، اليعقوبي ١/ ٨.

الشيخ ناصر ديلو

ينابيع بعد كل فترة وأخرى ينهض بفكر أهل البيت عليهم السلام ثلة من الشباب المثقف المنفتح لا يعبأ بالماضي الموروث متطلعاً إلى المستقبل بروح التفاؤل والتجديد والمعاصرة والمواكبة، فلم يجدوا منفذاً لهم إلى شق هذا الطريق سوى مذهب أهل البيت عليهم السلام طريق الإمام جعفر الصادق عليه السلام وطريق جده الحسين عليه السلام وطريق أبيه علي عليه السلام، حيث إن علياً عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله عن الوحي عن الباري فمن أتباع أهل البيت عليهم السلام.

اسمي ناصر أحمد ديلو ولدت في قرية زرزور عام ١٩٦٧م لأبوي فقيرين في وسط ريفي يعمل بالزراعة والتحقت بالمدرسة الابتدائية في نفس القرية أدرس كبقية أقراني وما أن انتهينا من تلك المرحلة حتى تابعت الدراسة الإعدادية بقرية مجاورة لقريتنا اسمها القنية ومعظم سكانها من أتباع الدين المسيحي وكانت المدرسة وقتئذ تشغل أبنية من الدير القديم في تلك القرية وبعد انتهاء المرحلة الإعدادية تابعت الدراسة الثانوية في منطقة جسر الشغور واتجهت باتجاه أدبي حيث كنت أرغب بدراسة التاريخ والأدب والحقوق.

ولم يكن عندي ميول علمية، وفي هذه الفترة أخذ الدافع الديني ينمو عندي أكثر فأكثر وبدأت علاقاتي تتوسع ومداركي تنفتح على كل صغيرة وكبيرة...

التقيت بشيخ كبير في نفس القرية (زرزور) وكان أول متشيع هناك وكان الناس من حوله يتهمونه باتهامات باطلة وكنت بدوري أوجه له اللوم.

بالحديث الشريف الذي يقول (لا تزولا قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه وعن علمه ماذا عمل به)، فقلت له لماذا أنت لا تعلم الناس وعندك هذا العلم؟ فأجاب رحمه الله: هل أتيتني ولم أعلمك؟!، فقلت له: هذا صحيح، إن شاء الله سنلتقي بجلسات خاصة وشاءت الصدف أني أعمل إلى جانب دراستي نجار بيتون. وقد أخذنا ورشة (عمار) عند الشيخ فالتقينا فكنت أعمل حيناً وأحادثه أخرى.

ومن حسن الحظ أنه كان له ولد أكبر مني بسنة يدرس في الحوزة بدمشق فقال لي الشيخ: لماذا لا تدرس في الحوزة وهناك تطلع على فكر أهل البيت عليهم السلام وعلى منابع اللغة والأدب؟ فقلت له بإيجاب: لا يوجد لديّ مانع. إن كان هذا ولكن قبل تلك المدة قد اطلعت على كتاب المراجعات الذي أثر فيّ من حيث الأدب واللغة والأسلوب إضافة إلى الحجج التي كان يسوقها السيد بأسلوبه الشيق وبالفعل بد أن أنهينا العمل عنده وكان الوقت صيفاً وبعد صدور نتائج الثانوية العامة كنت من الناجحين فأخذت وثيقتي وذهبت إلى دمشق ملتحقاً بالحوزة (حوزة الإمام الخميني قدس سره) في بدايتها. وكان ذلك عام ١٩٨٦م فقبلت طالباً في الحوزة.

ثم التحقت بالجامعة في قسم اللغة العربية، وبدأت الدراسة في الجامعة وفي الحوزة وكل يدعم الآخر ويقويه، وفي هذه الأثناء كانت الفكرة قد اختمرت في ذهني لأنهج خط أهل البيت عليهم السلام متأثر بنقطة الفصل (حديث رسول الله): (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى) ولذلك وبعد تفكير استمر سنتين من الصف الحادي عشر إلى الثاني عشر (البكلوريا) أتردد في الحديث حتى ركبت على سفينة نوح التي فيها النجاة فأعلنت تشيعي وبقوة، وهنا بدأت المواجهات مع أصدقائي وأهلي وهم كثر فقلت لهم وبصوت عال: أنا ركبت السفينة وهكذا بدأت المرحلة الثانية من عمري حيث تزوجت وكانت المعارضة في تزويجي كوني شيعي. فتزوجت واصطحبت زوجتي إلى دمشق لأنقل مقر سكني من زرزور إلى دمشق طيلة (١٦) عاماً قضيتها في الدراسة

والعمل التبليغي خادماً لمذهب الحق مذهب آل البيت عليهم السلام انطلاقاً من كوني طالباً في حوزة الإمام الخميني وكوني خادماً لأهل البيت عليهم السلام المظلومين أحياء وأموات.

وبدأت أعمل لخدمة هؤلاء السادة سادتنا وموالينا أهل التقى أهل الرسالة وأنشر فكرهم وعلى أثر ذلك تأثر أحد الأصدقاء وكان متعلماً في المدرسة الابتدائية ليعلن تشيعه بشكل طريف جداً، واسمه يونس أماني.

وبعد هذا التشيع ترك المدرسة واستقال والتحق بحوزة الإمام ليصبح إماماً في نفس القرية التي أنشأنا مسجداً فيها (مسجد الزهراء عليها السلام) ومن بعده الشيخ كامل حسين الذي درس الدروس الحوزوية إلى أن وصل إلى مرحلة البحث الخارج لدى الشيخ سلطان والأخ أحمد قيراطه وهو مازال يدرس المكاسب في حوزة الإمام الخميني.

وغيرهم من الأخوة والشباب الذين تأثروا بمذهب آل البيت عليهم السلام فمنهم من تحول ومنهم من كتمها في قلبه منتظراً الظرف المناسب، ومازال الأخوة الثلاث يعملون بجد ونشاط في نشر هذا الفكر المحمدي الأصيل، متعاونين متكاتفين دون ملل أو ضجر من جهل الجهلاء وتعنت المتعنتين.

وعلى أثر عمل هؤلاء الطليعة غدت حركة التشيع في ادلب قوية ومنتشرة في كل القرى والمناطق، وتكاد لا تخلو قرية إلا وفيها مجموعة أو أفراداً من أتباع مذهب الحق.

ولقد أجريت مناظرات مع مشايخ وأساتذة وطلاب وأناس مثقفون، منهم من تأثر ومنهم من يسكن صاغراً للحق.

في العشر الأواخر من شهر رمضان كنا نتحاور مع الأستاذ يونس أماني وبعد جلسات طويلة معه وقفنا معه على حجة بالغة وهي أنه طلب مني استخراج حديث واحد من صحيح البخاري (نرى فيه عدم الصحة) فقلت له: إن صحيح البخاري ليس كله صحيح، ففيه ما يخالف القرآن وفيه ما يخالف العقل والمنطق فعلى سبيل المثال هناك حديث يروى عن السيدة عائشة أنه كان رسول الله يباشرها وهي حائض وكانت تتسله (ترجله) وهي حائض فغضب الأستاذ من هذا الحديث وقام من فوره واتجه إلى مسجد السنة ليصلي العشاء والتراويح، وعند الانتهاء من صلاة العشاء سأل إمام المسجد هل يوجد في البخاري حديث مباشرة الرسول عائشة وهي حائض فقال الشيخ مجيباً نعم كانت تتزر ويجامعها، فأجابه الأستاذ يونس أنا رجل عادي لا أباشر زوجتي وهي حائض فكيف برسول الله؟!.

وعند ذلك قال الأستاذ يونس مجيباً إمام المسجد اشهد بأني من الآن أنا شيعي، واعلم يا شيخ أن رسول الله كان عنده تسعة نسوة فكيف يحصر نفسه مع عائشة وقت حيضها فخرج من المسجد غضبان وجاءنا البيت معلناً تشيعه بشكل علني. ثم ما لبث بعد مدة حتى ترك التعليم مستقيلاً والتحق بحوزة الإمام الخميني لينهل من نبع أهل البيت عليهم السلام أكثر ليكمل دراسته وأصبح إماماً في مسجد الزهراء عليها السلام في زرزور لمدة ثماني سنوات بعد إكمال دراسته بالسطوح والمكاسب ومازال يعمل ناشراً لفكر أهل البيت عليهم السلام في جسر الشغور وغيره من المناطق المجاورة.

هكذا تحول الأستاذ يونس أماني إلى مذهب الحق، إذ أن أفضل طريق للدعوة الصالحة الواعية والسلوك القويم هي العمل والتقوى والالتزام بمذهب الحق وتعاليمه.

وأحب أن أذكر أني تتلمذت على أيدي مجموعة من العلماء والسادة الكبار وعلى رأسهم سماحة السيد نور الدين الأشكوري والسيد أحمد الفهري ممثل الإمام الخميني في سورية ولبنان والسيد يوسف الطباطبائي الممثل والوكيل الشرعي للسيد الخامنئي وسماحة الشيخ الفاضل والأستاذ سلطان لدرس الكفاية والمكاسب والبحث الخارج.

والآن أعمل مدرساً للغة العربية في إعدادية زرزور وفي دركوش جاعلاً بيتي مكتبة لمن يريد الإطلاع على هذا الفكر ■

من المتحولون

يعلن باب (في رحاب الفقه)

عن استعداده للقراء الكرام في استقبال أسئلتهم الفقهية، والإجابة عنها في ضوء فتاوى سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

مكتب سماحة المرجع الأعلى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله الوارف).

نرجو التفضل بالإجابة على المسائل التالية آملين أن يكون الجواب مبسوط العبارة يفهمه القراء من غير أهل هذا الفن ولكم الأجر والثواب سلفاً.

تدعي بعض النساء انها (طريحة) أو عندها نور من الإمام الفلاني أو السيد الفلاني ولطالما انتشرت هذه الظواهر في جميع أنحاء العراق، فهنا جملة أسئلة منها:

س١: هل يوجد منشأ شرعي لما تدعيه هؤلاء النسوة؟

ج: ليس لهذه الادعاءات أساس شرعي ومدعيها اما واهم أو معتمد للتزوير والكذب.

س٢: المرأة التي تدعي ذلك تتصدى لحل بعض المشاكل وخاصة بين النسوة وتأخذ مقابل ذلك مقداراً من المال معتداً به، فهل لعملها هذا جهة صحة شرعية حتى يحلل المال التي تأخذه؟

ج: لا يجوز لكل احد الإخبار عن الغيب على نحو جازم كما لا يجوز التصديق بذلك، وأخذ المال في مقابل ذلك حرام.

س٣: تطلق هذه النساء بعض التنبؤات وتنسبها إلى احد أولياء الله كسيدنا العباس عليه السلام أو مسلم بن عقيل عليه السلام مما يجعل الناس تصدق بهن وتنفذ كل ما تطلبه هؤلاء النسوة منهم، فماذا تقولون عن هذه التنبؤات؟ وبماذا تنصحون؟

ج: يتضح الجواب مما سبق ونصيحتنا لعامة المؤمنين الابتعاد عن هذه الأساليب وهذه الطرق، وليعلموا أن قضاء الحوائج وحل المشاكل لا يكون إلا بالتوجه إلى الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه وطلب الرحمة منه والاستشفاع بأهل البيت عليهم السلام لا يكون من خلال هؤلاء وإنما يكون من خلال زيارتهم والتوسل بهم إلى الله في قضاء الحوائج.

س٤: ما هو تكليفنا الشرعي

عنـد حصول أمرٍ من هذا القبيل في منطقتنا؟

ج: اللازم على المؤمنين التصدي لمثل هذه الظواهر من خلال نشر الثقافة والوعي الديني الأصيل بالاعتماد على طلبة الحوزة وممثلي المرجعيات الدينية في المناطق ولعل من أهم أسباب رواج هذه الادعاءات وأمثالها ناشئ من ضعف الثقافة الدينية في بعض الأوساط نتيجة القيود الكثيرة التي أحيطت بها الحوزة والمرجعية في العهد السابق. لذا ندعوا المؤمنين كافة إلى البحث عن الطرق الأصيلة للثقافة الدينية واستغلال فرصة الانفتاح في نشر التفقه في الدين والله من وراء القصد انه ارحم الراحمين.

س: ذكرتم في أحكام السلف: إذا اشترى شيئاً سلفاً... أما بيعه على غير البائع فلا يجوز حالاً قبل حلول الأجل، ولا مؤجلاً إلى أجل لا يبلغ الأجل الذي له، كما يشكل بيعه قبل قبضه بربح أو بوضيعة إذا كان يكال أو يوزن...

وذكرتم في كتاب القرض والدين ص٤٤: إذا بيع الدين بأقل منه من جنسه أو بأقل قيمة منه غير جنسه، ففي استحقاق المشتري على المدين من الدين ما زاد على مقدار الثمن الذي اشتري به الدين إشكال والاحوط وجوباً التصالح بينهما.

ألا يوجد بين المسألتين تهافت، حيث ان الدين يشمل السلف، ففي المسألة الأولى ذكرت قيود في الجواز، يقتضي بمفهومه جواز بيع العين التي في الذمة، من غير المكيل والموزون بربح وضيعة من دون الإشارة إلى عدم استحقاق المشتري على المدين ما زاد على مقدار الثمن؟

ج: لا تهافت بين المسألتين، لأن المنظور في المبحث السلف شروط البيع والمنظور في مبحث الدين حكم المشتري للدين ـ بعد صحة الشراء وتحقق شروطه ـ مع المدين وإنما لم نشر لذلك في مبحث السلف لأنا لسنا في مقام تفصيل أحكام المسألة وفروعها، وإنما الغرض منها أن هذه المسألة من صغريات المسألة الخامسة عشرة من الفصل السادس وأن أحكام تلك المسألة جارية هنا. والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق والتسديد.

س: إذا دار الأمر بين شك الإمام بين الثلاث والأربع وشك المؤموم بين الأربع والخمس بعد السجود الثاني فإلى ايهما يرجع في معالجة هذا الشك وهل هناك أصالة لتقديم شك الإمام على شك المأموم بشكل عام أو فقط في حالة عدم وجود صورة خاصة للمعالجة أو العكس والسلام.

ج: يعمل كل منهما بوظيفته.

س: نحن نتواجد في مدينة بوسطن شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية وقد كثر الكلام حول جهة القبلة فمنهم من يقول جنوب شرق وهم قلة ومنهم من يقول شمال شرق وهم الكثرة، فأي اتجاه ترونه الاتجاه

الصحيح إلى الكعبة المشرفة؟

ج: استقبال الكعبة الشريفة إنما يكون بالتوجه تجاه أقرب الخطوط بين موقع المصلي ومكة المكرمة. وبالنظر البدوي إنما يكون ذلك في بوسطن والولايات المتحدة عموماً باتجاه الجنوب الشرقي، لأن مكة المكرمة باتجاه جنوب شرق الولايات المتحدة، إلا أن كروية الأرض تجعل اقرب الخطوط بينهما باتجاه شمال شرق بوسطن والولايات المتحدة، كما يظهر ذلك بالرجوع للخرائط الكروية. ومن هنا يتعين استقبال القبلة في تلك البلاد باتجاه الشمال الشرقي، كما عليه الأكثر. ونسأل الله سبحانه لكم التوفيق والتسديد. والسلام عليكم وعلى من معكم من المؤمنين.

س: ما هو الحكم الشرعي لرجل تقدم لخطبة امرأة باكر وقد حصلت الموافقة من قبل أهلها بالخطوبة والزواج وتم عقد زواج شرعي وعقد زواج رسمي بالمحكمة وحدد المقدم والمؤخر وقام الخطيب بتقديم النيشان (مصوغات ذهبية مع بعض الملابس) لم يتم الزواج (الدخول) وبعد مدة أسبوعين أو أكثر ظهر بأن المرأة مصابة أو أصيبت بسرطان الدم حسب المستشفى التي رقدت فيها (مدينة الطب) ووصف عليها علاج كيمياوي وقد أخبرت المرأة خطيبها بأنها مصابة بمرض سرطان الدم ولم تتمكن من الزواج حسب إرشادات الأطباء لها.

هل تستحق من المقدم والمؤخر أو النيشان شيء أفتونا برأيكم وجزاكم الله خيرا؟

ج: تستحق الزوجة نصف المقدم والمؤخر إن وقع الطلاق من دون دخول. واما النيشان فلا يبعد ابتناء هبة على عدم الطلاق قبل الدخول بحيث يكون مشروطاً بذلك ارتكازاً فان تم ذلك جاز له إرجاع النيشان. كما يجوز إرجاعه مطلقاً ان لم تكن الزوجة رحماً للزوج ولم تعوضه بهدية ولم تتصرف فيه تصرفاً مغيراً لصورته.

س: هل سند زيارة الجامعة الكبيرة معتبر عندكم؟

ج: الظاهر اعتبار سند زيارة الجامعة، فان الصدوق وإن رواها في الفقيه عن موسى بن عبد الله النخعي المجهول، إلا أنه في عيون أخبار الرضا عليه السلام عن موسى بن عمران النخعي الثقة لأنه من رجال كامل الزيارات وتفسير القمي. فان كان ذلك طريقاً آخر كفى في اعتبار سند الزيارة، وان كان الطريق واحداً وقد وقع الاضطراب في الراوي عن الإمام عليه السلام فالظاهر أن الأول هو الخطأ والصحيح هو الثاني، لأنه المشهور المعروف الذي سبق رواية القمي وابن قولويه عنه كما روى عنه الصدوق في الفقيه غير مرة وروى عنه في كتاب العلل وكتاب التوحيد كثيراً.

نعم في طريق الصدوق لها مشايخه الأربعة وهم علي بن أحمد الدقاق ومحمد بن أحمد السناني وعلي بن عبد الله الوراق والحسين بن إبراهيم، ولم ينص أحد على توثيقهم، إلا أن رواية الصدوق عنهم مترضياً عليهم تكفي في ظهور تبجيله لهم المناسب لوثاقتهم بل ما فوق الوثاقة،

على أن اجتماعهم على حديث واحد يوجب استفاضته حيث لا يحتمل عادة اجتماعهم على الكذب ولا اقل من حصول الوثوق بصدق الخبر.

مضافاً إلى أن متن الزيارة شاهد بأنه من كلام الأئمة عليهم السلام بملاحظة أسلوبها البياني ومضامينها العالية التي تضمنتها أحاديثهم والزيارات والأدعية المنقولة عنهم صلوات الله عليهم. ولا يسع المنصف إنكار ذلك.

على أن السؤال في صحة السند إن كان من أجل الاهتمام بزيارتهم عليهم السلام بهذه الزيارة فيكفي في الاهتمام بذلك نصوص من بلغه ثواب على عمل. وإن، كان من أجل الإذعان بمضامينها والركون إليها فأغلب المضامين المذكورة أو كلها بين ما هو مقطوع به من واقع الحال وما قد ورد عنهم(صلوات الله عليهم) في نصوص كثيرة من مناسبات مختلفة. فهي قد جمعت ما تفرق ونظمت ما انفرط في أسلوب بياني رائع يأخذ بمجامع القلوب، دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، عليه من بهاء المعارف الإلهية التي تميزت بامتلاكها وحملها هذه الفرقة المحقة لتكون شاهد صدق على انتسابها لأهل البيت عليهم السلام وأخذها منهم واندماجها بهم وانسجامها معهم.

ويكفينا شاهداً على صدق هذه الزيارة وأخذها منهم عليهم السلام أن يجرب المشكك ـــ مهما بلغ من المعرفة وحسن البيان ـــ فيخترع ما يشبهها من دون أن يلتقط شذرات أهل البيت عليهم السلام ويسرق من جواهر كلامهم، ثم ينظر أين يقع اختراعه منها إذا قيس بها ووزن معها. وكفى بهذا دليلاً للمنصف حجة على المتعسف «قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين». ومن الله سبحانه نستمد التوفيق والتسديد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

س: لقد ورث لنا جدنا المرحوم السيد نور السيد عزيز الياسري أوقافاً جعل قسماً منها وقفاً خاصاً لذريته حيث ورد نص في الوصية المرفقة لسماحتكم نسخة منها (وقفاً خاصاً لذريتي الذكور دون الأناث) ففي حالة تصفية هذه الأوقاف الخاصة أو عندما تكون داخله ضمن مشروع تطوير الصحن الحيدري الشريف أو الصحن الحسيني الشريف لقربهما من الحرمين الشريفين وتعوض بمبالغ مالية.. نرجو من سماحتكم إجابتنا على الأسئلة التالية:

أولاً: ما المقصود من هذه العبارة (الذكور دون الاناث)؟

ثانيا: هل يشمل النص الاناث في الطبقة الأولى فقط أم جميع طبقات الاناث (أي هل المقصود البنت وما نزلت أي أن بنت الابن والحفيد لا ترث أيضا)؟

أفتونا مأجورين يرحمكم الله ويسدد خطاكم ودام ظلكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ج: المقصود من العبارة هو اختصاص الوقف للذكور ولا يشمل الاناث في جميع الطبقات.

سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)

قد ورد إلينا أسئلة كثيرة من المسلمين ومن غير المسلمين عن الجمع الإسلامي والعلاقات بين المذاهب الإسلامية، فإننا نرجو من سماحتكم الإجابة عليها للتوضيح والإصلاح، فجزاكم الله خير الجزاء.

س١: هل من يتبع ويمارس أي واحد المذهب الإسلامية ـ يعني المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي والمذهب الجعفري والمذهب الاباضي ـ يجوز أن يعد مسلماً؟

ج: يكفي في انطباق عنوان الإسلام على الإنسان الإقرار بالشهادتين والفرائض الضرورية في الدين كالصلاة وغيرها وبذلك تترتب عليه أحكام الإسلام من حرمة المال والدم وغيرها وقد تعرض سماحة السيد دام ظله للموضوع المذكور في كتابه في رحاب العقيدة ج:١ ص:٤٣-٤٣ .

س٢: ما هي حدود التكفير في الإسلام؟ وهل يجوز للمسلم أن يكفر الذين يمارسون أي واحد من المذاهب الإسلامية المعروفة . الذي ذكرناه في السؤال الأول . أو من يتبع العقيدة الاشعرية أو المعتزلة؟ وهل يجوز تكفير الذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية؟

ج: يتضح الجواب مما سبق.

س٣: من يجوز من يعتبر مفتياً حقيقياً في الإسلام؟ وما هي المؤهلات الأساسية لمن يتصدى بإفتاء الفتاوى وبهداية الناس في فهمه وإتباع الشريعة الإسلامية؟

ج: المفتي هو المجتهد العادل والذي تجتمع فيه شروط الإفتاء والمذكورة في الرسالة العملية منهاج الصالحين.

س: هناك شخص يدعي أنه من أصحاب الإمام الحجة(عج) ويشير إلى آخر أنه اليماني وآخر يدعي أنه شعيب بن صالح وآخر يدعي رؤية الإمام الحجة(عج) علماً أن هذه الدعاوى لا تمتلك دليلاً يعول عليه بحكم عقيدتنا في إمامة الحجة(عج) وما ترافقها من علامات تؤكد هذا المدعى وإن إجابتكم تضع حداً للتصرفات الباطلة، ويشير بعض العوام إلى وجود الشخصيات التي وردت أسماؤها في الروايات الموالية والمعادية للحجة(عج) كما أن هناك أشخاصا يعتمدون على الرؤيا كحجة مأمونة لرؤية الشخص وواقعه. وفقك الله لخدمة الإسلام والمسلمين... والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ج: كل دعوى لا تستند لدليل لا تقبل من مدعيها، وإن كان الأمر المدعى عليه حقيراً ولا أهمية له، فكيف بمثل هذه الدعوى العريضة الخطيرة التي قد تكون سبباً لضلال العامة واختلاف كلمتهم وتفريقهم؟ وجواباً على سؤالكم لا بد أن يعلم:

(أولاً): أن الأشخاص المذكورين ونحوهم من ذوي المقام الرفيع من

أصحاب الإمام الحجة(عج) وممن يظهر في عصره ممن تشير إليهم الروايات ويراد تقمص شخصياتهم ولو كانوا موجودين في عصورنا فهم اعقل وارزن من أن يعلنوا أنفسهم، وأخفى من أن يشار إليهم ويعرفوا، فكل من يدعي تعينهم في أشخاص معروفين إما أن يكون مفترياً دجالاً ضالاً مضللاً منتهكاً لحرمات الله ومستخفاً بأوليائه في سبيل أغراضه الخبيثة، وإما أن سكون ساذجاً ضعيف العقل متعلقاً بالأوهام والخرافات والأحلام والأمنيات من دون أن يستند إلى ركن وثيق.

(ثانياً): ان مدعي رؤية الحجة(عج) وأخذ لمعلومات منه ليعلنها للناس مجترئ على الله وعلى أوليائه ومتحداً لما أعلنه عليه السلام في توقيعه الذي رواه أصحابنا في كتبهم واذعوا له، وهو ما كتبه عليه السلام إلى نائبه الرابع علي بن محمد السمري رضي الله عنه وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله اجر إخوانك فيك فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام فأجمع أمرك، ولا توص إلى احد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جورا. وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). وبعد كل هذا كيف يجرأ شيعي متدين أن يدعي ذلك؟ اللهم إلا أن يكون قليل الإطلاع ساذجاً تنطلي عليه الحيل والأوهام.

(ثالثاً): ان الرؤيا ليست من الأدلة ولا الحجج الشرعية، ولا ينبغي لعاقل التعويل عليها، وإن صدقت بعض الرؤى فقد كذبت روى أكثر منها وأكثر. وأقوى شاهد على ما قلناه انه لم تسمع أمثال هذه الدعاوى الخرافية من أعاظم علمائنا وأكابرهم من ذوي المقام الرفيع في العلم والرشد والتقوى والخوف من الله تعالى والطاعة له والقرب منه. وما انتشرت هذه الدعاوى في هذه الأيام إلا لضعف الحوزة العلمية وقلة الممثلين الصحيحين لها في البلاد. فاللازم على إخواننا المؤمنين وفقهم الله تعالى الاهتمام بتركيز الحوزة العلمية والاهتمام بالمنتسبين إليها ممن عرفوا بالرشد والاتزان والأمانة والتقوى والخوف من الله تعالى والالتفاف حولهم وتكثير هذه الطبقة فيها وتشجيعهم ليقوموا بدورهم في تصحيح الأفكار وتهذيب المفاهيم الدينية والحفاظ على حقيقتها. ثم الحذر الحذر من هذه الدعاوى الخطيرة التي يستخدم بها الشيطان أوليائه وأعوانه لتشويه الدين والتلبيس على المؤمنين وتشتيت كلمتهم وإلقاح الفتنة بينهم وصرفهم عم منابع المعرفة من أهل العلم الصحيحين المخلصين وليستغلوا بها البشطاء والسذج من يتشبث بالأوهام والخرافات وتنطلي عليه الحيل والشبهات ولا يقوى على التمييز بين الحق والباطل والغث والسمين. ونسأله سبحانه وتعالى لنا ولإخواننا المؤمنين التوفيق والتسديد والثبات على الهدى والصلاح وحسن العاقبة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والسلام عليكم وعلى المؤمنين ورحمة الله وبركاته ■

ابن حجر الهيـــــ

وعقيدته في المهدي المنتظر

• محمد جـــواد فخر الدين

ينابيع أجمع المسلمون على مختلف مذاهبهم وفرقهم ـ مع فارق طفيف بينها ـ على حتمية ظهور شخصية مقدسة تملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً أطلق عليها اسم (المهدي). وعلى طبق ما بشّر به النبي ﷺ من ظهور رجل من أهل بيته في آخر الزمان.

وهذا ما صرح به ابن خلدون بقوله: (اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الأعصار أنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى المهدي)[1].

على أن هذه الفكرة لم تكن فكرة طارئة أو انطلقت من فراغ أو من حالة اللاوعي أو التشبث وراء الخيال والفكر الغيبي القائم على فكرة الخلاص، بل كانت نواتها السماء ومرتكز مفاهيمها السنة النبوية الشريفة[2].

حيث جاءت المفاهيم القرآنية تؤكد على حتمية انتصار إرادة الله عزّ وجل والظهور التام لهذا الدين، فقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[3]، وحتمية انهزام الظلم والطغيان الذي يسود العالم بأسره بقوله: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[4]، وانتصار الصالحين: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[5].

هذه الآيات القرآنية جاءت لتنذر من غوى واستبد على الأرض ولتنهي آخر حلقات الصراع الطويل بين أنصار الحق وأنصار الباطل منذ بدء الخليقة، ولتبشر المستضعفين في العالم بحلول العدل الإلهي على هذه المعمورة بعد طول انتظار

وترقب للمصلح العالمي، وهذا ما أشار إليه برتراند رسل، بقوله: (إنّ العالم في انتظار مصلح يوحّد العالم تحت عَلَم واحد وشعار واحد)[٦]، وكذلك العلاّمة آينشتاين صاحب (النظرية النسبية)، الذي قال: (إنّ اليوم الذي يسود العالم كلّه الصلح والصفاء، ويكون الناس متحابّين متآخين ليس ببعيد)[٧].

في الوقت نفسه إن ظهور المهدي لا يتحقق إلا كما صرح به الإمام الصادق عليه السلام: حتى يشقي من شقي ويسعد من سعد[٨]. أي بلوغ كل شقي وكل سعيد مداه في العمل، ولا يدور حول بلوغ الأشقياء فقط منتهى درجتهم في الشقاوة.

على أن فكرة المنقذ العظيم لم تكن حكراً على المسلمين وحدهم بل هي فكرة آمن بها أهل الأديان الثلاثة، واعتنقتها معظم الشعوب فقد آمن اليهود بها، كما آمن النصارى بعودة عيسى عليه السلام، وصدّق بها الزرادشتيون بانتظارهم عودة بهرام شاه، واعتنقها مسيحيو الأحباش بترقّبهم عودة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان، وكذلك الهنود اعتقدوا بعودة فيشنو، ومثلهم المجوس إزاء ما يعتقدونه من حياة أُوشيدر. وهكذا نجد البوذيين ينتظرون ظهور بوذا، كما ينتظر الأسبان ملكهم روذريق، والمغول قائدهم جنكيز خان. وقد وجد هذا المعتقد عند قدامى المصريين، كما وجد في القديم من كتب الصينيين[٩].

أما عن المسلمين فهم على اختلاف مذاهبهم وفرقهم يعتقدون بفكرة ظهور الإمام المهدي وعلى طبق ما بشّر به النبي صلى الله عليه وآله.

على أن الاختلاف الواقع بين المسلمين أنفسهم وأخص بالذكر الشيعة الإمامية وبين سائر الفرق الإسلامية، حيث يذهب الشيعة الإمامية إلى أن الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف هو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي المولود سنة ٢٥٥هـ. وقد غيّبه الله تعالى لحكمة يعرفها، بينما يذهب الآخرون إلى أن المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله لم يولد بعد، أو ولد في عهد قريب[١٠].

لذا نرى أن المفهوم العقائدي واحد على الرغم من تلك الاختلافات، فالجميع يترقب هذا الحدث بصبر كبير ومن هنا جاءت الروايات الإسلامية بعبارة (انتظار الفرج) واعتبر الإسلام هذا الانتظار عبادة من أفضل العبادات فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: سلوا الله من فضله فإن الله عز وجل يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج[١١].

وقوله انتظار الفرج من الله عبادة لأن في انتظار الفرج قطع العلائق والأسباب إلى الله تعالى وتعلق القلب به وشخوص الأمل إليه والتبرئ من الحول والقوة فهذا خالص الإيمان[١٢] هذا من جهة، ومبدأ انتظار الفرج يمكن استنباطه من مفهوم قرآني آخر هو (حرمة اليأس من روح الله) المجموعة المؤمنة بالنصر الإلهي لا تفقد الأمل مهما قست الظروف ولا تسلم نفسها لليأس

والعبث بأي حال من الأحوال. ومفهوم انتظار الفرج وعد اليأس من روح الله من المفاهيم الإسلامية الشاملة التي لا تختص بفرد معين أو جماعة محددة، فهو يحمل البشائر البشرية بأجمعها، ويحلم معه أيضا صفات محددة لهذه البشائر[١٣].

وهناك نوعان من الانتظار، والتطلع إلى مستقبل أفضل:

الأول: انتظار مثمر بناء يبعث على الالتزام ويمنح القوة والتحرك، ومثل هذا الانتظار يمكنه أن يكون نوعاً من العبادة وطريقا لطلب الحق.

الثاني: انتظار محرم هدام يؤدي إلى الوقوع في الأغلال وإلى شل الطاقات، ويمكن وصفه نوعا من (الإباحية) وهذا من جهة أخرى[١٤].

لذا يكون الإمام المهدي (عجل الله فرجه) هو تطبيق عملي وعيني لفكرة (الانتظار) وذلك عندما يعم الدنيا الظلم والجور، ويخيم اليأس على الجميع، ويخمد صوت العدالة، فيكون (المهدي) فرجاً عاماً، يملأ الدنيا عدلاً، ورحمة، وخيراً.

وقد عالج هذا الأمر العديد من الكتاب سواء كانوا من المتقدمين أم المتأخرين، وكان من بينهم أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٤هـ على اختلاف الروايات[١٥]، الذي يعد أحد أعلام المذهب الشافعي صاحب كتاب الصواعق المحرقة على أهل الرفض والزندقة[١٦].

ودراسته جاءت بعنوان (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) وهو من المخطوطات المهمة والنادرة والتي ضمتها خزانة مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف وهي في الأصل مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق.

وعثرنا على مخطوطة أخرى في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة في النجف الأشرف جاء في صدر صفحتها: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر للجلال السيوطي.

وعند مقابلتنا لها مع النسخة التي في حوزتنا تبين لنا أنها لابن حجر الهيتمي وليست للسيوطي كما كتب عليها، إلا أننا لم نعتمد عليها لكون أن النسخة التي في حوزتنا هي بإجازة ابن حجر نفسه، وبذلك ينتفي العمل على نسخة أخرى لكونها تعتبر النسخة الأم.

وذكر ابن حجر الهيتمي في مقدمة كتابه الدواعي إلى تأليفه هذا الكتاب بقوله: فهذا كتاب لقبته القول المختصر في علامات المهدي المنتظر أذكر فيه ما اطلعت عليه من علاماته وفضايله وخصوصياته محذوفة الأسانيد والرواة خالية عن موضوعات الجهلة والطغاة. وما رأيته في بعض كتب الأئمة المؤلفة فيه من غير ذكر مخرجه، أذكر بصيغة قبيل إشارة إلى انحطاطه عن الاعتبار ولكنه قليل. دعاني إلى تأليفه ادعاء جماعة في زمننا وقبله أنهم المهديون وما دروا أنهم الضالون المضلون وكيف لا..؟ وصرائح السنة الغراء قاضية بتكذيبهم وتسفيههم وتعذيبهم، كما سأملي عليك في هذا الكتاب سيلاً من فيض أردنا إصابة الثواب أنه الكريم الجواد المنعم الوهاب وهو حسبي ونعم الوكيل واليه أضرع في الكثير والقليل. ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة[١٧].

حيث قسم عمله في هذه الدراسة إلى ثلاثة

أبـواب: الروايات الواردة عن الرسـول ﷺ في الإمام المهـدي، والباب الثاني فيما جاء عـن الصحابة، والبـاب الثالث فيما جاء عن التابعين، وتكاد تقترب طروحات الأبواب الثلاثة من حيث المضمون، وسنأكد خلال بحثنا هذا ما ورد عن الرسول ﷺ.

ومـن خـلال تحقيقنـا ودراسـتنا لهـذه المخطوطـة يمكن أن نقـف على عدة أمور طرحهـا ابـن حجر فـي كتابه هـذا، وهي كلآتي:

أولاً: ابتـدأ كتابـه بفكـرة الإيمـان بالمهـدي حيـث يـرى أنها مـن الضرورات بـل ومن المسـلمات التـي لايمكن رفضها والتي أكـد عليها الرسـول ﷺ بقوله: ورد أنـه (صلى الله عليه وسـلم) قال: من كذب بالدجال فقد كفـر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر. أخرجه أبو بكر الإسكاف في فوائد الأخبار[١٨].

إذن كان فـي فكر ابـن حجر الهيتمي ظهـور المصلـح الكوني هـي حتمية دينية بشـر بهـا الرسـول ﷺ، كما بشـرت بها الديانات السابقة.

ثانياً: من الأمور المهمة التي أكد عليها ابن حجر الهيتمي أن الإمام المهدي(عج) هو مـن ولد فاطمة عليها السلام، رافضـاً جميع الأقوال والأحاديث المختلقة على الرسـول ﷺ على أنـه من ولد العباس بن عبد المطلب، ما نقل كهـذا الحديث وغيره فعـن ابن عباس عن أمه أم الفضل: يا عباس أنت عمي وصنو أبى وخير من أخلـف بعدي من أهلي إذا كانت سـنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهـم السـفاح ومنهـم المنصـور ومنهـم المهدي[١٩][٢٠].

على أن ابن حجـر الهيتمي عبر عن رأيه بـكل صراحـة في هـذا الموضـوع بقوله: (وهذه كلها تنافي ما نقرر:

أولاً: مـن أنـه من ذريته (صلـى الله عليه وسـلم) من ولـد فاطمـة لان أحاديثه أكثر وأصـح بـل زاد بعـض أئمة الحفـاظ أنه من ذريته (صلى الله عليه وسـلم) قد يؤكد عنه (صلى الله عليه وسـلم) ويمكن الجمع بأنه لا مانـع من أن يكون مـن ذريته (صلى الله عليه وسـلم) والعباس فيـه ولادة من جهة أن في أمهاته عباسية[٢١].

فالحاصل أن للحسن فيه الولادة العظمى لان أحاديثـه كونـه مـن ذريتـه أكثـر، وللحسـين فيه ولادة أيضـا[٢٢]، وللعباس فيه ولادة أيضـا ولا مانـع مـن اجتمـاع ولادات المتعدديـن فـي شـخص واحد مـن جهات مختلفة. وفي حديث عند ابن ماجة: لا مهدي إلا عيسـى ابن مريم[٢٣]. أي لا مهدي كامل معصوم إلا عيسـى. على أنـه ضعيف. والذي في الأحاديث الثابتة التصريح بأنه من عترته من ولد فاطمة فوجب تقديم ما علمته)[٢٤].

علـى أنه في مورد آخر مـن كتابه عند تعرضه لنسـب الإمـام المهدي(عـج) نلحظ بعـض الخلط فـي معلوماتـه، فبعدما أكد أنـه من ولد فاطمة وخـص بالذكر من ولد الحسـين، جاء في هذا المـورد رأياً مخالفا عمـا ذكـره سـابقا بقولـه: (وانه مـن ولد الحسـن بن علي (رضـي الله تعالى عنهما)، ولا ينافيه حديث انه (صلى الله عليه وسـلم) قال لفاطمـة: والذي بعثني بالحق إن منهما ـ يعني الحسن والحسين ـ مهدي هذه الأمة[٢٥]، الحديـث. لإمـكان حملـه علـى أنـه مـن مجموعهما أو أن أباه حسـني وأمه حسينية، ولعل هذا أقرب[٢٦][٢٧].

ولعل هذا الخلط الذي وقع فيه ابن حجر

هو ليس بالغريب، فجميع إخواننا أهل السنة لازالوا لوقتنا الحاضر غير ثابتين على رأي في هذا الموضوع على الرغم من أن جميع الأحاديث التي جاءت بسند معتبر عن الرسول ﷺ تؤكد على أنه من ولد الحسين، بينما نجد أن الشيعة وأخص بالذكر الإمامية دون غيرهم آراؤهم ثابتة في هذا الموضوع منذ الغيبة الكبرى وحتى وقتنا الحاضر، فهذه تصانيفهم متطابقة في الآراء ولا يوجد من خلاف هناك.

ثالثاً: في حين أكد على: (أن اسمه اسم النبي ﷺ محمد[٢٨]، وفي رواية تأتي أحمد ولا تنافي لإمكان أن سمي بكليهما)[٢٩].

ومن بعد هذه المنطلقات المهمة من خلال دراسته يتعرض، صفاته، ملكه.

رابعاً: ويتعرض ابن حجر إلى جانب مهم يمكن أن يطلق عليه من خلال سير كلامه (من علامات ظهوره)، ويشير إلى عدة أحداث تسبق عملية الظهور وكتب المسلمين على اختلاف مذاهبهم طافحة من هذه الروايات، ويمكن أن نستشهد بعدة روايات قد ذكرها[٣٠]:

١- يبعث على اختلاف وزلازل.

٢- يقع اختلاف عند موت خليفة فيخرج المهدي من المدينة وهو من أهلها هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره يبايعونه بين الركن والمقام.

٣- يبعث إليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة[٣١].

٤- يجيء بعد أن تطلع رايات سود من قبل المشرق يقاتلون فيقتلون قتلاً لم يقتله قوم[٣٢].

٥- يخرج رايات سود من خراسان وتأتي صحبة المهدي إلى بيت المقدس[٣٣].

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه ويظهر الإسلام لا يخلف وعده وهو سريع الحساب[٣٤].

خامساً: ومن خلال عملية الظهور يتعرض لبيعته من قبل الناس ويحد ذلك ما نصه: (يبايعه بين الركن والمقام عدة أهل بدر فتأتيه عصايب أهل العراق وأبدال أهل الشام فيغزوهم جيش من أهل الشام فيخسف بهم بالبيداء لا ينجوا منهم إلا المخبر عنهم)[٣٥].

سادساً: ومن الأمور المهمة التي يؤكد عليها نزول عيسى عليه السلام وصلاته خلف المهدي، وذكر عدة روايات في هذا الجانب يلتفت المهدي وقد نزل عيسى ابن مريم كأنما يقطر من شعره ماءاً فيقول المهدي تقدم وصل بالناس فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي [عيسى][٣٦] خلف رجل من ولدي[٣٧].

سابعاً: ومن خلال تتابع الأحداث وتلاحقها تكون عملية خروج السفياني والتي يمكن اعتبارها آخر حلقات الصراع بين الحق والباطل حيث ما نقل عن رسول الله ﷺ: خروج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب...[٣٨].

وعليه ومن خلال ما تقدم أن الأمور التي أكد عليه ابن حجر في دراسته هذه كانت ذات طابع عقائدي مهم بل ومن المؤمنين بها، ويمكن الاستدلال من خلال مراجعة جميع طروحاته في هذا الكتاب وقد استشهدنا بقسم منها، على الرغم من بعض الاختلافات الواردة في وجهات نظره من خلال ما ذكرناه سابقاً.

ومن خلال دراستي لهذا الكتاب كان

ابن حجر الهيتمي دقيقاً في نقل النصوص دون زيادة أو نقصان، أو محاولاً أعادة كتابتها على وفق أسلوبه الخاص من دون المس في المعنى العام، حيث نراه يقتنص من رواية قد تصل إلى عدة صفحات كلمات محددة منها ليصل إلى الهدف المتوخى منها، وقد أشرنا في تعليقاتنا في الهامش إلى هذا الأمر.

على أن بتر هذه الروايات قد أخل بالمعنى العام لبعض الروايات، حيث يكون هناك فراغات زمنية لبعض الأحداث المتعلقة بظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

ومن جهة أخرى ناقش جميع الآراء المطروحة في هذا الموضوع، وداعماً كلامه بالحجج الدامغة التي ذكرتها المصادر، بأسلوب علمي قائم على التقصي والتتبع وغربلة الروايات للوصول إلى الحقيقة المتوخاة من هذا البحث.

ويمكن القول كذلك أنه لا يمكن قبول أو رفض جميع الروايات الواردة في ثنايا هذا الكتاب، حيث فندنا بعضا منها لأنها تخالف الحقيقة التاريخية من جهة، أو سند روايتها ضعيف، وهذا من جهة أخرى، كاعتماده مثلا على بعض الروايات الإسرائيلية التي يرويها كعب الأحبار وغيره.

والأهم من هذا وذاك لابد أن نذكر هنا بأمانة علمية استطاع ابن حجر الهيتمي في هذا الكتاب أن يؤدي ما عليه على الرغم من بعض الثغرات التي جاءت في طروحاته ■

(١) ابن خلدون: المقدمة ج:١ ص:٣١١.
(٢) محمد جواد فخر الدين: مقدمة كتاب القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ص:١٢.
(٣) سورة التوبة الآية:٣٣.
(٤) سورة القصص الآية:٥.
(٥) سورة الأنبياء الآية:١٠٥.
(٦) المهدي المنتظر ص:٩.
(٧) المهدي المنتظر ص:٩.
(٨) النعماني: الغيبة ص:٢٠٩، الطوسي: الغيبة ص:٣٣٦، الصدوق: كمال الدين ج:٢ ص:٣٤٦، النيلي: منتخب الأنوار ص:٧٩.
(٩) المهدي المنتظر ص:٩.
(١٠) محمد جواد فخر الدين: مقدمة كتاب القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ص:١٢.
(١١) الترمذي: السنن ج:٥ ص:٥٦٥، الطبراني: المعجم الكبير ج:١٠ ص:١٠١، الهيثمي: مجمع الزوائد ج:١٠

ابن البراج

الشيخ أبو القاسم: عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج، الفقيه العالم الجليل، وجه الأصحاب وفقيههم، لقب بالقاضي لكونه كان قاضيا في طرابلس مدة عشرين سنة، وكان من خواص تلامذة السيد المرتضى وشيخ الطائفة. له مصنفات، منها: المهذب والمعتمد والجواهر، وشرح جمل العلم والعمل للسيد المرتضى، وغيره. توفي في شعبان سنة ٤٨١ هـ.

منتهى المطلب ج:١ ص:٥٥.

ص:١٤٧، البيهقي: شعب الإيمان ج:٢ ص:٤٣، المنذري: الترغيب والترهيب ج:٢٢ ص:٣١٦.

(١٢) الترمذي: نوادر الأصول ج:٢ ص:٢٢١.

(١٣) محمد جواد فخر الدين: مقدمة كتاب القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ص:١٢.

(١٤) مطهري: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ ص:٤.

(١٥) شهرته دعتنا عدم الإسهاب في الكلام عنه. لمزيد من المعلومات ينظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج:٤ ص:٣٧٠، العيدروسي: النور السافر ج:١ ص:٢٥٨، الكتاني: الرسالة المستطرفة ج:١ ص:١٩٤، القنوجي: أبجد العلوم ج:٣ ص:٦٤١، الزركلي: الأعلام ج:١ ص:٢٣٤، كحالة: معجم المؤلفين ج:٢ ص:١٥٢، سركيس: معجم المطبوعات ج:١ ص:٨١.

(١٦) وقد رد كثير من العلماء على هذا الكتاب لما فيه من المفتريات والكذب على الشيعة الإمامية.

(١٧) ورقة رقم:١.

(١٨) نقلاً عن: ابن خلدون: تاريخ ج:١ ص:٣١٢، السهيلي: الروض الأنف ج:١ ص:٤١٩، الحلبي: نخبة اللآلي ص:٧١، المرعشي: شرح إحقاق الحق ج:٢٩ ص:٣١٧-٣١٨، الصافي: الرسائل ج:١ ص:١١٤.

(١٩) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج:١ ص:٦٣، الطبراني: المعجم الأوسط ج:٩ ص:١٠٢، الهيثمي: مجمع الزوائد ج:٥ ص:١٨٧، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ج:٢٦ ص:٣٥٢، الصالح الشامي: سبل الهدى والرشاد ج:١٠ ص:٩٢. أحد رواة هذا الحديث أحمد بن راشد الهلالي الذي يعرف بوضعه الأحاديث في تمجيد بني العباس وهذا ما صرح به ابن حجر العسقلاني بقوله: (أحمد بن راشد الهلالي عن سعيد بن خثيم بخبر باطل في ذكر بني العباس... فسرد حديثا ركيكا فيه إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح رواه أبو بكر بن أبي داود وجماعة عن أحمد بن راشد فهو الذي اختلقه بجهل. انتهى)، لسان الميزان ج:١ ص:١٧١.

(٢٠) المخطوطة ورقة رقم:١.

(٢١) هذا رأي تفرد به ابن حجر الهيثمي، إذ لم يرد في كتب التواريخ ولا الأنساب ما يؤيد صحة ما ذكره. بل أنها متفقة في نسب أمهات الأئمة، وهو كما يلي:

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أمه فاطمة بنت أسد.

الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

الإمام علي بن الحسين عليه السلام: أمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد. انظر: ابن عنبة: عمدة الطالب ص:١٩٢، العلوي: المجدي في أنساب الطالبيين ص:٩٣، الإربلي: كشف الغمة ج:٢ ص:٢٤٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج:١ ص:٢٢٩.

الإمام محمد الباقر عليه السلام: أمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج:٤ ص:١٧٤، ابن عنبة: عمدة الطالب ص:١٩٤، أبي نصر البخاري: سر السلسلة العلوية ص:١٥، العلوي: المجدي في أنساب الطالبيين ص:١٤٣، ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ج:٩ ص:٣١١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٤٠٣، المزي: تهذيب الكمال ج:٢٦ ص:١٣٧، ابن خياط: الطبقات ج:١ ص:٢٥٥.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام: أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج:٦ ص:٢٥٥، السيوطي: طبقات الحفاظ ج:١ ص:٧٩، ابن حبان: الثقات ج:١ ص:٧٩، ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٨٨، المزي: تهذيب الكمال ج:٥ ص:٧٥، ابن سعد: الطبقات الكبرى ج:٥ ص:٣٢٠.

الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: أمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية. انظر: أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص:٣٣٢، ابن عنبة: عمدة الطالب ص:١٩٦، البخاري: سر السلسلة العلوية ص:٣٦، القندوزي: ينابيع المودة ج:٣ ص:١٦٣.

الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام: أمه أم ولد بقال لها تكتم. انظر: البخاري: سر السلسلة

العلوية ص:٣٨، الإربلي: كشف الغمة ج:٣ ص:١٠٥.

الإمام محمد الجواد عليه السلام: أمه أم ولد يقال لها سكينة المريسية أو سبيكة. انظر: الإربلي: كشف الغمة ج:٣ ص:١٤٣، ابن شهرآشوب: المناقب ج:٣ ص:٤٨٧، المفيد: الإرشاد ج:٢ ص:٢٧٣.

الإمام علي الهادي عليه السلام: أمه أم ولد يقال لها سمانة المغربية. انظر: الخصيبي: الهداية الكبرى ص:٣١٣، البخاري: سر السلسلة العلوية ص:٣٩، العلوي: المجدي في أنساب الطالبيين ص:١٣٠، القندوزي: ينابيع المودة ج:٣ ص:١٦٩.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام: أمه أم ولد يقال لها سوسن. انظر: الإربلي: كشف الغمة ج:٣ ص:٢١٢، الخصيبي: الهداية الكبرى ص:٣٢٨.

الإمام المهدي عليه السلام: أمه أم ولد يقال لها نرجس أو صيقل. انظر: العلوي: المجدي في أنساب الطالبيين ص:١٣١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج:٤ ص:١٧٦، ابن عنبة: عمدة الطالب ص:١٩٩، ابن حزم: الفصل في الملل ج:٤ ص:٧٧، الثقفي: الغارات ج:٢ ص:٦٧٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج:١٣ ص:١٢١.

(٢٢) وهذا هو المتواتر والمشهور بين الفريقين، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمتي رجل من ولد الحسين يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً. القندوزي: ينابيع المودة ج:٣ ص:٢٩١. وورد كذلك عن عبد الله بن عمرو قال: يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق ولو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاً. ابن حماد: الفتن ج:١ ص:٣٧١.

(٢٣) ابن ماجة: السنن ج:٢ ص:١٣٤٠، النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ج:٤ ص:٤٨٨، القضاعي: مسند الشهاب ج:٢ ص:٦٨، الداني: السنن الواردة في الفتن ج:٥ ص:١٠٧٥، المباركفوري: تحفة الأحوذي ج:٦ ص:٤٠٢، العجلوني: كشف الخفاء ج:٢ ص:١٦١.

قال محمد بن أبي بكر الحنبلي في معرض نقله لهذا الحديث ما نصه: (وسئلت عن حديث لا مهدي إلا عيسى ابن مريم فكيف يأتلف هذا مع أحاديث المهدي وخروجه وما وجه الجمع بينهما وهل في المهدي حديث أم لا فأما حديث لا مهدي إلا عيسى ابن مريم فرواه ابن ماجة في سننه عن يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو مما تفرد به محمد بن خالد قال أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري في كتاب مناقب الشافعي محمد بن خالد معروف ثم أهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يؤم الأرض عدلا وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه عيسى خلفه. وقال البيهقي: تفرد به محمد بن خالد هذا وقد قال الحاكم أبو عبد الله هو مجهول وقد اختلف عليه في إسناده فروي عنه عن أبان ابن أبي عياش عن الحسن مرسلا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان بن أبي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع والأحاديث على خروج المهدي أصح إسناداً) المنار المنيف ج:١ ص:١٤١-١٤٣.

(٢٤) المخطوطة ورقة رقم:٢-٣.

(٢٥) الطبراني: المعجم الكبير ج:٣ ص:٥٧، الهيثمي: مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٦٥، القندوزي: ينابيع المودة ج:١ ص:٢٤١.

(٢٦) المشهور كما ذكرنا مسبقا أنه من ولد الحسين عليه السلام. وورد عن الإمام علي عليه السلام: فانظروا أهل بيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا وإن استنصروكم فانصروهم فليفرجن الله الفتنة برجل منا أهل البيت بأبي ابن خيرة الإماء لا يعطيهم إلا السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر حتى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا يغريه الله ببني أمية حتى يجعلهم حطاما ورفاتاً مَلْعُونينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتيلاً سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذينَ خَلَوْا مِنْ

قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰه تَبْدِيلاً. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ج:٧ ص:٥٨.

(٢٧) المخطوطة ورقة رقم:٣.

(٢٨) فقد ورد عن رسول اللّٰهﷺ: (ثم لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي)، وفي حديث آخر: (ثم لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي اسمه يواطي اسمي). وورد بصيغ أخرى تحمل نفس المعنى المتقدم. انظر: ابن حبان: صحيح ج:١٥ ص:٢٣٦، الترمذي: السنن ج:٤ ص:٥٠٥، ابن حنبل: مسند ج:١ ص:٣٧٦، ابن حماد: الفتن ج:١ ص:٣٦٨، الرامهرمزي: المحدث الفاصل ج:١ ص:٣٢٩، الهيثمي: موارد الظمآن ج:١ ص:٤٦، الطبراني: المعجم الصغير ج:٢ ص:٢٨٩، ابن بابويه: الإمامة ص:١٢٠، المفيد: الإرشاد ج:٢ ص:٣٤٠، الطوسي: الغيبة ص:١٨٠.

(٢٩) المخطوطة ورقة رقم:٣.

(٣٠) المخطوطة ورقة رقم:٤.

(٣١) النقاط المتقدمة وهي إشارة إلى قولهﷺ: (إذا قام قائم آل محمد جمع اللّٰه أهل المشرق وأهل المغرب فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة وأما الأبدال فمن أهل الشام وصح أنه قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض). انظر: ابن حبان: صحيح ج:١٥ ص:١٥٩، ابن راشد: الجامع ج:١١ ص:٣٧١، أبي يعلي: مسند ج:١٢ ص:٣٦٩، ابن حجر: الصواعق المحرقة ج:٢ ص:٤٧٦-٤٧٧، ابن عساكر: تاريخ ج:١ ص:٢٩٣، السيوطي: الدر المثور ج:٧ ص:٤٨٤-٤٨٥، ابن حنبل: مسند ج:٦ ص:٣١٦.

(٣٢) وهو إشارة إلى قولهﷺ: (يقتتل ثم كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة اللّٰه المهدي). انظر: الكناني: مصباح الزجاجة ج:٤ ص:٢٠٣، ابن ماجة: السنن ج:٢ ص:١٣٦٧، الروياني: مسند ج:١ ص:٤١٧، ابن حجر: الصواعق المحرقة ج:٢ ص:٤٧٤، الإربلي: كشف الغمة ج:٢ ص:٤٧٣، المجلسي: بحار الأنوار ج:١ ص:٨٤، البحراني: غاية المرام ج:٧ ص:١٠٤.

(٣٣) الكوراني: معجم أحاديث الإمام المهدي ج:١ ص:٣٩٨.

(٣٤) وهو إشارة إلى قولهﷺ عن حذيفةرضي الله عنه قال: سمعت رسول اللّٰهﷺ يقول: (ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه ويفر منهم بقلبه فإذا أراد اللّٰه عز وجل أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كل جبار عنيد وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها فقالعليه السلام يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول اللّٰه ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه ويظهر الإسلام لا يخلف وعده وهو سريع الحساب). القندوزي: ينابيع المودة ج:٣ ص:٢٩٨، الإربلي: كشف الغمة ج:٢ ص:٤٧٣-٤٧٣، المجلسي: بحار الأنوار ج:٥١ ص:٨٣.

(٣٥) الطبراني: المعجم الأوسط ج:٩ ص:١٧٦، الهيثمي: مجمع الزوائد ج:٧ ص:٣١٤، ابن شبة: تاريخ المدينة ج:١ ص:٣٠٩.

(٣٦) سقطت هذه الكلمة من أصل نص نسخة المخطوطة.

(٣٧) القندوزي: ينابيع المودة ج:٣ ص:٢٦٤، البياضي: الصراط المستقيم ج:٢ ص:٢٥٧، النيلي: منتخب الأنوار ص:٤٤.

(٣٨) ابن حماد: الفتن ج:٥ ص:١٠٩٠-١١٠٩.

مَولدُ النّور

• السيد سعيد المقرم الموسوي

أجْرَيتُ طَيفَكَ مَجْرى النّورِ في مُقَلي ... وَاشْتَقتُ شَوقَ أَديمِ الجذبِ لِلبَلَلِ
يَدْعوكَ نَبضُ حَياتي لَوْ أَلَمَّ بِهِ ... ضُرٌّ فَيفْزَعُ مِنْ يأْسٍ إلى أَمَلِ
إِذْ فِي حِماكَ أَخُوضُ العُمْرَ مُعتَرِكاً ... لا يَسْتَكينُ إلى وَهَنٍ وَلا كَلَلِ
وَتَحتَ مشْعَلِكَ الوَضّاءِ أَسْلكها ... عَصْماءَ تَربَأُ عَنْ زَيغٍ وَعَنْ خَطَلِ
أَدْركتُ فِيكَ سَبيلَ الرُشْدِ عَنْ ثِقَةٍ ... لَمّا تَفرَقتِ الجهّالُ فِي السُبلِ
كَمْ يَحزمُ الناسُ فِي تِرْحالِهم غرضاً ... لكِنَّك الزادُ فِي حِلّي وَمُرتَحَلِي
وَإِنْ مَضَوا يَنهلونَ الوِرْدَ مِن كَدَرٍ ... فَإِنَّ مِن نَهرِكَ الرقراق مُنتهلِي
مَولايَ إِنَّ زَمانَ الصَبْرِ آلمَنا ... أَما انْقَضى لِزمانِ الصَّبْرِ مِن أَجَلِ؟!
إِنْ كُنتَ تَرقبُ للدجّالِ دَوْلتَهُ ... فَهذهِ دُولٌ عاشَتْ عَلى الدَّجَلِ
أَوْ كُنتَ تَعلمُ سُفياناً سَيَفْتِنها ... فَألفُ سُفيانٍ يَذرو السُّمَّ بِالعَسَلِ
أوْ قَتلَ نَفسٍ بِظَهرِ البَيْتِ زاكيةٍ ... فَكَمْ شَهدت لِتلكَ النَفسِ مِن مثَلِ
وَإِنْ نَظرْتَ إِلى حَشدٍ يَحنُّ إلى ... يَومِ الظُهورِ فَهذا مَوْطِنُ الخَلَلِ
إِنَّ السّواعِدَ قَدْ لانَتْ عَريكَتُها ... وَقَدْ أُصيبتْ ذِراعُ العَزْمِ بِالشَلَلِ
حَتّى الأكفِ التِي قَد كُنتَ تَأملُها ... عَوْناً فَقَدْ وَجدتْ لِلسَيفِ مِنْ بَدَلِ
فَصِرْتُ أَخشى إذا ما قُمتُ مُنتفِضاً ... بِلقاكَ مُنخذِلٌ فِي جَنبِ مُنخذِلِ
يا وارِثَ الأنبياءِ الغرُ أَجمعُهم ... فَهلْ لَهُم مثلٌ لِلآن لَمْ يَصِلِ
قابيلُ يَقتلُ هابيلاً بِحَضرتِنا ... فَيغفِرُ الذَنبُ بِالأعذارِ وَالعلَلِ
وَيَصنعُ الفُلْكَ نُوحٌ فِي مَحافِلِنا ... فَيَسخَرونَ لِكَي يَأووا إلى جَبَلِ
وَنارُ نَمرُود عادَتْ مِن قَذائِفِهم ... لِتَنشرَ المَوتَ فِي الأحياءِ وَالنُزُلِ
وَمِثلُ أَصْحابِ مُوسى قالَ قائِلنا ... لمّا دَعَوهُ لِنصرِ الحَقِّ وَالمُثُلِ
اذْهَبْ وَرَبُّكَ إِنّا قاعِدونَ هُنا ... فَلا نَطيقُ طَريقَ الخَوْفِ وَالوَجَلِ
مَولايَ إِنَّ فُؤادي جاءَ مُثْلِماً ... كَيْ يَشْتَكي لَكَ جُرْحاً غَيرَ مُندَمِلِ
فَلا وَحَقّكَ لا يُشفِيهِ مِنْ سَقَمٍ ... إِلاّ ظُهورُكَ لِلدُنيا عَلى عَجَلِ

الدستور

وطرق إنشائه ومحتواه

• مهدي عـــابدين
كلية القانون/ جامعة الكوفة

من الواضح أن الحدث الأبرز الذي يحتل الأولويات على الساحة خلال المرحلة القادمة من عمر الدولة، هو إعداد وكتابة الدستور المرتقب باعتباره الضمانة الحضارية لعملية تداول السلطة وعملها.

ستور

ينابيع ورسم السبل الكفيلة للعلاقة بين مؤسسات الدولة، إضافة لكونه الضامن الأبرز للحقوق والحريات العامة، بما يحقق ويرسي استقراراً نوعياً وكمياً في المسارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

ويبدو أن التطلع لكتابة الدستور أصبح مطلباً ملحاً ليكمل الإنجاز الأكبر للشعب العراقي بإجرائه أول انتخابات ديمقراطية حرة منذ تأسيس الدولة العراقية في عشرينات القرن الماضي. ولقد أفرزت الكثير من المعطيات، لعل الأبرز منها انتظام الجمعية الوطنية العراقية، التي أنيطت بها مهام كثيرة، كتشكيل أول حكومة عراقية شرعية، والإعداد لكتابة وصياغة مشروع الدستور العراقي القادم من خلال لجنة دستورية تنبثق عن الجمعية الوطنية، بعد أن تم وضع جدول زمني لصياغته ومن ثم إجراء الاستفتاء الشعبي عليه منتصف تشرين أول القادم، وإقراره ليصبح الدستور الدائم لجمهورية العراق.

وإيماناً بروح التعاون وإشاعة الثقافة العامة، ورفد القارئ الكريم ببعض المفاهيم القانونية أو السياسية المرتبطة بحياة المواطن خاصة في هذه المرحلة المهمة، والذي حاول النظام الاستبدادي الشمولي البائد وعن سبق إصرار تغييب الكثير من المفاهيم عن أذهان الشعب لإبقائه قابعاً تحت سطوته ومحاولة تجريده من أبسط الحقوق الإنسانية المتمثلة بالحرية والمساواة والعدالة وإحقاق الحقوق.

وقد تضمن هذا الموضوع، مبحثين موجزين عن:

أولاً: أساليب نشأة الدساتير.

ثانياً: محتويات ومضامين الدساتير.

ونتمنى أن نكون قد وفقنا لنقل اليسير لبعض المفاهيم لذهن القارئ الكريم، ليكون مطلعاً ولو بالقدر المستطاع، الذي يكفيه لإغناء ثقافته العامة وبالأخص الثقافة القانونية.

أولاً: إقامة الدستور
(أساليب نشأة الدساتير)

يراد بأساليب نشأة الدساتير، الطرق المتبعة في إقامتها، ذلك لأن الدستور لا ينشأ من العدم، بل هناك عدة طرق لوضعه، والحديث عن نشأة الدساتير ينصب فقط على الدساتير المكتوبة، إي التي يكون مصدرها التشريع، ذلك لأن الدساتير العرفية تنشأ وتتطور وتتعدل عن طريق العرف دون تدخل من المشرع الدستوري.

هذا ولا يوجد اتفاق على طريقة معينة واحدة لوضع الدساتير في جميع دول العالم والطرق المتبعة تختلف من دولة لأخرى حسب درجة النضج والوعي السياسي التي وضعتها المجتمعات السياسية لتلك الدول.

ففي عام ١٩٥٥م منح (هيلاسي لاسي) إمبراطور الحبشة آنذاك بلاده دستوراً على غرار الصورة التي حصلت عليها في فرنسا قبل ذلك بأكثر من مائة عام عندما منح لويس الثالث عشر دستوراً للشعب

الفرنسي هو ميثاق حزيران ١٨١٤م، وفي عام ١٩٧٣م صدر في السودان دستوراً بطريقة التعاقد بنفس الطريقة التي صدر دستور فرنسا لسنة ١٨٣٠م في عهد الملك لويس فيليب.

إن اختلاف طرق إقامة الدستور يرتبط في الواقع بتطور فكرة السلطة، وتحديد المالك الحقيقي لها، فالحكام في فترة تاريخية معينة وخاصة في ظل النظريات الثيوقراطية، كانوا يعتبرون أنفسهم ملاكاً للسلطة، وعلى هذا الأساس انفردوا في وضع دساتير بلدانهم، فصدرت دساتير كثيرة من قبل الحكام (ملوكاً وأباطرة على شكل منحة أو هبة إلى الشعب).

وبعد ظهور النظريات الفلسفية السياسية التي ركزت على فكرة التعاقد، بدأ الوعي الشعبي بالظهور متجسداً في مقاومة الحكام الطغاة، فانعكس ذلك في اشتراك الشعب مع الحاكم في وضع الدستور، فكان يصدر في صورة تعاقد بين الحاكم من جهة والشعب من جهة أخرى.

وفي أعقاب ظهور المبادئ الديمقراطية التي جعلت الشعب، المصدر الفعلي والحقيقي للسلطة، فانتهى الأمر إلى انفراد الشعوب بوضع دساتيرها دون مشاركة الحاكم سواء بطريق غير مباشر أي بواسطة الجمعية التأسيسية أو عن طريق مباشر أي بواسطة الاستفتاء الدستوري.

واعتبر الدستور في هاتين الحالتين وليد الإرادة الشعبية. وفي ضوء ما تقدم سنتعرض لأساليب نشأة الدساتير من حيث مدى مساهمة الشعب في وضعها إلى أسلوبين أولهما الأسلوب غير الديمقراطي والثاني الأسلوب الديمقراطي.

١. الأسلوب غير الديمقراطي في نشأة الدساتير:

أ/ المنحة:

بموجب هذه الطريقة، ينفرد الحاكم ملكاً كان أو أميراً أو إمبراطوراً بالتنازل عن بعض سلطاته المطلقة للشعب على شكل وثيقة دستورية، وتعتبر هذه الوثيقة بمثابة دستور ممنوح.

لقد ساد الاعتقاد بأن الدستور في مثل هذه الحالة، يعتبر صادراً عن إرادة الحاكم المنفردة على شكل منة أو منحة أو هبة، لكن الواقع يشير إلى غير ذلك، لأن الدساتير التي صدرت بموجب هذه الطريقة، لم يكن صدورها عفوياً، بل جاء بعد مخاض طويل نتيجة تنامي الوعي والإدراك السياسي للشعوب، ونتيجة لذلك مارست تلك الشعوب ضغوطاً على حكامها المستبدين، واضطرتهم أن يقيدوا بعض سلطاتهم على شكل وثيقة دستورية، من أجل المحافظة على سلطتهم من الانهيار من ناحية، ومن أجل امتصاص النقمة الشعبية من ناحية الأخرى.

ومن الأمثلة التاريخية لدساتير صدرت

بطريقة (المنحة) الدستور الفرنسي لسنة ١٨١٤م والدستور الإيطالي لسنة ١٨٤٨م وهناك عدد من الدساتير صدرت مطلع القرن الماضي (القرن العشرين) بموجب (المنحة) من ذلك دستور روسيا القيصرية لسنة ١٩٠٦م والدستور المصري لسنة ١٩٢٣م. والدستور الإثيوبي لعام ١٩٥٥م.

ومن الجدير ذكره، إن جميع الدساتير التي صدرت بموجب طريقة المنحة، وقد اندثرت باستثناء أمثلة نادرة، منها دستور إمارة موناكو الذي أصدره أميرها سنة ١٩٦٢م بدلاً من دستورها الصادر سنة ١٩١١م.

أما دستور إثيوبيا الصادر عام ١٩٥٥م فقد سقط بالانقلاب العسكري الذي وقع فيها عام ١٩٧٤م.

ب/ التعاقد:

تمثل الطريقة في نشأة الدساتير، مرحلة متطورة قياساً بطريقة المنحة ذلك لأن الحاكم لا ينفرد بوضع الدستور بل يعتبر الدستور وليد إرادتين، إرادة الحاكم من جهة وإرادة الشعب عن طريق ممثليه من جهة أخرى، وتعتبر هذه الطريقة مرحلة انتقال من الأسلوب غير الديمقراطي إلى الأسلوب الديمقراطي في إقامة الدساتير. وظهر هذا الأسلوب كما يقول فقهاء القانون في مرحلة تأريخية خاصة هي مرحلة التوازن بين قوتين: قوة الملوك التي ضعفت ولكنها لم تضمحل، وقوة الشعوب المتنامية والمتعاظمة ولكنها لم تسيطر تماماً.

وإذا كان الدستور وفقاً لهذه الطريقة يوضع باشتراك الحاكم والشعب، فإن أي تعديل يطرأ عليه يجب أن يشترك فيه الحاكم والشعب أيضاً ووفقاً لنفس إجراءات التعديل المنصوص عليها في الدستور.

ويترتب على ذلك أن الحاكم لا يستطيع تعديل الدستور بإرادته المنفردة، ومن باب أولى لا يستطيع الرجوع عنه كذلك.

وظهر هذا الأسلوب تاريخياً نتيجة للانتفاضات والثورات التي قامت بها الشعوب ضد حكامها المستبدين.

ففي إنكلترا مثلاً، ثار الأشراف ورجال الدين على الملك (جان سانتير) وأرغموه على التنازل عن بعض سلطاته وامتيازاته بموجب العهد الأعظم (Magna Carta) لعام ١٢١٥م الذي نظم علاقة الملك بالكنيسة والأشراف، ومنح الحريات، وقيد حقوق الملك في فرض الضرائب.

واتبعت طريقة التعاقد كذلك في وضع (وثيقة الحقوق) بعد ثورة الشعب الإنكليزي ضد الملك (جيمس الثاني) عام ١٦٨٨م، فقد دعي الأمير (وليم أورانج) لتولي العرش على أساس التزامه بالقيود التي فرضها بالبرلمان في الوثيقة. هذا ولا يزال العهد الأعظم ووثيقة الحقوق يعتبران حتى الوقت الحاضر جزءاً من الدستور الإنكليزي القائم في غالبيته على القواعد العرفية.

ويعتبر الدستور الفرنسي لعام ١٨٣٠م مثالاً نموذجياً لطريقة التعاقد، فبعد ثورة تموز عام ١٨٣٠م أجبر الملك شارل العاشر على التنازل عن العرش واجتمع ممثلو الشعب الفرنسي ووضعوا ميثاق (دستور آب ١٨٣٠م) ودعي الأمير لوي فيليب وتليت على مسامعه نصوص الميثاق،

فأبدى قبوله للميثاق وأقسم يمين الحفاظ عليه. وبموجب هذه الطريقة التعاقدية أصبح ملكاً على فرنسا واعتلى العرش باسم (الملك لوي فيليب الأول).

٢. الأسلوب الديمقراطي في نشأة الدساتير:

أ/ طريقة الجمعية التأسيسية:

تعتبر طريقة الجمعية التأسيسية في نشأة الدساتير تطبيقاً للديمقراطية التمثلية حيث ينتخب الشعب جمعية تأسيسية يكون هدفها وضع الدستور، وبعد الانتهاء من وضعه يعتبر صادراً ونافذ المفعول، ولا يتوقف على موافقة أحد سواء كان الحاكم أم الشعب.

وينتهي دور الجمعية التأسيسية بعد الانتهاء من وضع الدستور، ويصار إلى انتخاب مجلس جديد يتولى مهمة التشريع في الحدود التي رسمها الدستور، وقد تتحول الجمعية التأسيسية إلى مجلس تشريعي بعد إنجاز عملها في وضع الدستور وفي هذه الحالة يمارس المجلس سلطة مؤسسة أي إن نشاطه يكون محكوماً بالقواعد الدستورية.

إن فكرة الجمعية التأسيسية في الواقع فكرة قديمة تعود في تاريخها إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر، عندما كانت تراود المهاجرين إلى أمريكا وهم بصدد تصور النظام السياسي للمستعمرات التي كانت في طريقهم إلى إنشائها في العالم الجديد. فليس من باب المصادفة أن نرى أن طريقة الجمعية التأسيسية قد طبقت لأول في أمريكا.

فقد قامت المستعمرات الإنكليزية الثلاث عشر بعد استقلالها وابتداءً من عام ١٧٧٦م بانتخاب جمعيات تأسيسية من أجل وضع دساتيرها كما تم بعد ذلك وضع دستور الولايات المتحدة الأمريكية الفيدرالي لعام ١٧٨٧م من قبل الجمعية التأسيسية التي اجتمعت في فيلادلفيا.

ومن الولايات المتحدة انتقل أسلوب الجمعية التأسيسية إلى فرنسا، وقد جاء هذا الأسلوب منسجماً مع أفكار رجال الثورة الفرنسية الذي نادوا بضرورة إيجاد سلطتين، الأولى مؤسسة تناط بها مهمة وضع الدستور أو تعديله، والثانية مؤسسة يأتي دورها بعد وضع الدستور الذي يرسم ويثبت حدود عملها ويفرض عليها قواعد عمل عليا لا تستطيع أن تغير منها شيئاً.

وقد طبقت فرنسا هذا الأسلوب في وضع دستورها الصادر في أيلول عام ١٧٩١م وكذلك دستوريها لعامي ١٨٤٨م و١٨٧٥م كما اتبعت الطريقة ذاتها في إقامة الدستور البلجيكي لعام ١٨٣١م، ولقد شاع هذا الأسلوب خاصة في أعقاب الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومن أمثلتها الدستور النمساوي لعام ١٩٢٠م والدستور الأسباني لعام ١٩٣١م والدستور اليوغوسلافي لعام ١٩٤٦م ودستور إيطاليا

لعام ١٩٤٧ والدستور السوري لعام ١٩٥٠م والدستور الباكستاني لعام ١٩٥٦م ودستور المملكة الليبية المتحدة لعام ١٩٥١م.

ب/ طريقة الاستفتاء الدستوري:

تعتبر طريقة الاستفتاء الدستوري تطبيقاً لفكرة الديمقراطية شبه المباشرة وهي من أكثر الطرق ديمقراطية في إقامة الدستور، لأن الشعب يساهم بها في وضع دستوره بشكل مباشر.

ومن شأن عملية الاستفتاء تنمية قدرات المواطنين ورفع مكانتهم السياسية بما يشعرهم بأهمية وخطورة الدور الذي يقومون به في تحديد نظامهم السياسي وبناء مؤسساتهم الدستورية، ولهذه الأسباب نجد إن طريقة الاستفتاء الدستوري في وضع الدساتير متبعة في الوقت الحاضر وعلى نطاق واسع في الكثير من دول العالم وتفضل على طريقة الجمعية التأسيسية.

وبموجب هذه الطريقة يتم وضع مشروع دستور ولا يهم من هي الجهة التي تضع هذا المشروع، فقد يوضع من قبل مجلس منتخب أو من قبل لجنة من المختصين يتم تعيين أعضائها أو من قبل الحكومة أو حتى من قبل شخص واحد، وبعد ذلك يطرح المشروع على الاستفتاء الشعبي العام، فإذا نال الموافقة الشعبية يأخذ صيغة الدستور ويعتبر صادراً، ويأخذ طريقه للنفاذ دون أي إجراء آخر.

وبالنظر لأهمية الاستفتاء الدستوري في وضع الدستور فلابد من توافر شروط موضوعية، لتكون نتيجة خير معبر عن الإرادة الشعبية، ومن هذه الشروط.

١- يجب أن يجري الاستفتاء الدستوري في جو ديمقراطي بعيد عن الضغوط والتأثيرات بكل أنواعها، لكي يستطيع المواطنون التعبير عن وجهة نظرهم بمشروع الدستور بحرية تامة.

٢- يجب أن يكون الشعب المستفتي قد وصل إلى درجة مقبولة من الوعي والإدراك السياسيين.

٣- يجب أن يسبق الاستفتاء توعية ومناقشات كافية تسمح لأفراد الشعب بأن يكونوا على بينة ومعرفة كافية بحقيقة وجوهر المشروع المستفتى عليه، حول ما يتضمنه من مبادئ وأفكار وأحكام واتجاهات وقيم لكي يستطيعوا المفاضلة

بين اتجاه وآخر في عملية الاستفتاء.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت بطريقة الاستفتاء الدستوري الدستور الفرنسي النافذ (دستور الجمهورية الخامسة) الصادر في تشرين الأول عام ١٩٥٨م ودساتير معظم الولايات في الإتحادين السويسري والأمريكي، ودستور تركيا الحالي الصادر عام ١٩٨٢م وكذلك الدستور المصري لسنة ١٩٥٦م.

وإلى جانب هذه الطرق الأربعة في نشأة الدساتير، هناك من يضيف طريقة خامسة لوضع الدستور، وهي إن الدستور يمكن أن يكون نتيجة معاهدة أو اتفاق دولي، وقد أخذ بهذا الرأي الفقيه القانوني (ميركين جيتزفيتش) في كتابه (القانون الدولي الدستوري) وهو من أنصار وحدة القانون العام الخارجي والداخلي.

وعليه فالمعاهدة الدولية عنده تكون واجبة النفاذ من تلقاء نفسها، أي لا يتوقف هذا النفاذ على إقرارها من قبل السلطة المختصة داخل الدولة، وعلى هذا الأساس يذهب (ميركين) بأن الدستور يمكن أن يقام بموجب اتفاق أو معاهدة دولية معقودة بين دولتين أو أكثر.

ويذكر فقه القانون الدستوري عدة أمثلة لدساتير وضعت عن طريق المعاهدات الدولية منها دستور مملكة بولندا عام ١٨١٥م ودستور الإمبراطورية الألمانية عام ١٨٧١م.

وكذلك القانون الأساسي الأردني الصادر في نيسان عام ١٩٢٨م الذي وضع بناءً على قرار دولي تمثل في صك الانتداب، ودستور الجمهورية العربية المتحدة المؤقت لعام ١٩٥٨م، إذ إنه تضمن الأسس التي تم الاتفاق عليها بين حكومتي مصر وسوريا في إعلان الوحدة الموقع في شباط ١٩٥٨م.

وعلى هذا الأساس بمكن لدولتين أو أكثر أن تتفقا بمعاهدة دولية على الاتحاد في دولة واحدة، بحيث تنظم المعاهدة شؤون الحكم في الدولة الجديدة، فتنقلب المعاهدة الدولية بذلك إلى دستور داخلي فور قيام الدولة المتحدة.

ثانياً: محتوى الدستور

تختلف الدساتير فيما بينها اختلافاً ملحوظاً فيما تحتويه من مبادئ وأحكام وقيم وطريقة معالجة كل ذلك، فهناك من الدساتير ما يركز اهتمامه بالدرجة الأساس على الجانب السياسي، أي المتعلق بممارسة السلطة، وهناك دساتير إضافة لاهتمامها بالتنظيم السياسي، تهتم كذلك بالجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وغير ذلك.

وهناك دساتير موجزة كالدستور الأمريكي (يتضمن ٧ مواد و٢٦ تعديلاً) والدستور الفرنسي (يتضمن ٩١ مادة)، وهناك دساتير مطولة كالدستور اليوغوسلافي لعام ١٩٧٤م (حيث يتضمن

٤٠٦ مواد).

ولكن بالرغم من هذا التباين والاختلاف بين دساتير دول العالم فهناك حقيقة واقعة وهي إن الدساتير في أساس وجودها والهدف الذي تسعى إليه تخضع لقواعد عامة مشتركة. وسيتم التحدث عن الدستور من حيث موضوعه ومن حيث مضمونه انطلاقاً من المعالم الرئيسية التي تشترك فيها جميع الدساتير.

١. موضوع الدستور:

تقوم القواعد الدستورية عموماً بتنظيم ممارسة السلطة في الدولة، فهي التي تبين مصدر وطريقة ممارسة السلطة والعلاقة بين القابضين عليها، والوسائل التي من شأنها أن تحقق التوازن بين هيئات الدولة، وهذا ما يفرض الاعتراف بشرعية القرارات والتصرفات الصادرة عن هيئات الدولة، والتي لا يمكن الاعتراف بها أصلاً إلا ضمن الحدود التي بينها الدستور، ومن ناحية أخرى تقوم القواعد الدستورية بتحديد الفكرة القانونية التي ينبغي أن تهيمن على كافة مجالات العمل في الدولة والتي لا يمكن بموجبها الاعتراف بشرعية تصرف من التصرفات إلا بقدر اتفاقه معا الفكرة القانونية التي حددها الدستور.

ولهذا فالدستور لا يكتفي بتبيان من يمارس السلطة وكيفية ممارستها وإنما يحدد الأهداف التي من أجلها نظمت تلك الممارسة. وتختلف الدساتير في كيفية بيان ذلك الهدف فمنها ما نص عليه صراحة، كما فعلت دساتير كثيرة كذكرها إقامة النظام الاشتراكي مثلاً وقد لا ينص الدستور صراحة على الفكرة القانونية المهيمنة على النظام ومع ذلك يمكن استنتاج هذه الفكرة بصورة ضمنية عن طريق فحص طبيعة النشاط السياسي الذي جاء به الدستور والغرض المقصود منه.

فعندما يخص الدستور الشعب بالقيام بمهام السلطة التشريعية مباشرة أو عن طريق ممثلية (مثلاً) فإنه يحدد بذلك فكرة قانونية تختلف تماماً عما لو ركزت سلطة التشريع في فرد في نظام فردي مطلق، أو عندما ينص على مبدأ عدم جواز عزل القضاة، فإنه يشير إلى فكرة قانونية تختلف بلا شك عن تلك التي تضع مصير القضاة تحت رحمة السلطة التنفيذية.

إذن فكل نظام سياسي ومهما اختلفت طريقة ممارسته للسلطة فإنه يخضع لفكرة قانونية واجتماعية واقتصادية هي أساس التنظيم السياسي في الدولة.

٢. مضمون الدستور:

يتضمن الدستور بالدرجة الأساس القواعد المتعلقة بالتنظيم السياسي للدولة غير أن هناك الكثير من النصوص الدستورية لا تمت إلا بصلة ضعيفة وغير مباشرة بالتنظيم السياسي أو تنظيم مواضيع معينة، وإن كانت ذات أهمية كبيرة إلا أنه لا علاقة لها بالسلطات العامة. كالنصوص التي تؤكد مستوى المعيشة اللائق للمواطنين وتلك المتعلقة بتنمية المواهب الثقافية والفنية ومكافحة الأمية والاعتناء بحفظ الآثار التاريخية وغيرها من القيم الحضارية.

إن الدساتير لم تكن تهتم والى عهد قريب بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية،

لكن الأمر تغير بعد الحرب العالمية الثانية، فأخذت الدساتير تعير هذه المواضيع أهمية بالغة من ذلك القواعد الدستورية المتعلقة بالمساواة الاجتماعية، وتلك التي تنظم الملكية الخاصة، وحماية الأسرة والآداب العامة، ورعاية الأمومة والطفولة والشباب، والنصوص الدستورية المتعلقة بالتعليم والعمل والضمان والرفاهية الاجتماعية وتشجيع الادخار وحمايته ومراقبة الائتمان وغير ذلك من الأمور الاجتماعية والاقتصادية.

وقد ثار خلاف بين الكتاب بالنسبة لطبيعة مثل هذه القواعد عن ورودها في صلب الدستور فقسم اعتبرها غريبة عما يجب أن تحويها الدساتير لأن الدساتير حسب رأيهم تهتم فقط بتنظيم ممارسة السلطة في الدولة، أما الرأي الآخر وهو الأكثر منطقية واستجابة للتطور فيذهب إلى إن الدساتير يجب أن تهتم بممارسة السلطة فقط، وإنما يجب أن تبين نشاط هيئات الدولة المختلفة، لتحقيق الفكرة القانونية التي على أساسها جاء الدستور، وهذه الفكرة كما تشمل التنظيم السياسي فإنها تشمل كذلك النشاط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

وتتضمن بعض الدساتير نصوصاً تهتم بأمر الأقليات القومية الموجودة في الدولة من حيث حقوقها وتقرير الضمانات اللازمة لتلك الحقوق، ومثال ذلك ما جاء به دستور ١٩٥٨م العراقي، من أن الشعب العراقي يتكون من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية.

وتحتوي بعض الدساتير على مقدمة أو ديباجة تتصدر نصوص الدستور العامة، وهذه المقدمة قد تكون على شكل فقرات أو على شكل سرد متضمنة مبادئ وأحكاماً تكون هامة في أغلب الأحيان، والأمثلة على ذلك كثيرة منها الدستور الفرنسي النافذ لعام ١٩٥٨م والدستور السوفيتي السابق لعام ١٩٧٧م والدستور المصري لعام ١٩٧١م والدستور التونسي لعام ١٩٥٩م.

وقد اختلف الفقه حول مدى القيمة القانونية لمقدمات الدساتير، فهناك رأي يقول: إن مقدمة الدستور برمتها بقوة قانونية معادلة للدستور مادامت جزءً منه، والرأي الآخر يميز بين نوعين من الأحكام والقواعد التي تتضمنها مقدمات الدساتير وهما الأحكام الوضعية والقواعد المنهجية. فالأحكام الوضعية هي نصوص محددة تنتمي بمظهرها إلى وجوهرها إلى أحكام القانون الوضعي، كما في المادة العاشرة من إعلان الحقوق الفرنسي لعام ١٧٨٩م والتي تعلن حرية الرأي والعقيدة بشرط عدم المساس بالنظام العام، فإذا احتوت مقدمة الدستور على مثل هذه الأحكام فتكون لها الصفة الإلزامية التي تعادل قوة مواد الدستور ذاتها. أما القواعد المنهجية أو التوجيهية فهي قواعد تصور

روح وضمير الجماعة أو تعمل على توضيح معالم وأهداف النظام الواجب سيادته في الدولة، فهي تعتبر بمثابة مبادئ غير محددة النصوص، ولا يمكن أن تعتبر قواعد ملزمة يمكن الاحتجاج بها أو عليه تتجرد من صفة الإلزام الفوري، ويلتزم المشرع إزاءها بالتزامين أحدهما سياسي يكمن في وجوب تدخله لإصدار التشريعات اللازمة لوضع هذه المبادئ موضع التنفيذ والآخر قانوني يلزم المشرع بعدم مخالفة هذه المبادئ والقواعد فيما يصدره من تشريعات وإلا فإن عمله يعتبر غير دستورياً.

وتحتوي الدساتير كذلك على نصوص تبين حقوق الأفراد وحرياتهم، وهذه النصوص قد تكون من ضمن مواد الدستور أو تكون في صورة إعلانات للحقوق تتضمن المبادئ والأحكام المتعلقة بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية والمثال المشهور لذلك وثيقة إعلان حقوق الإنسان التي أقرتها الجمعية الوطنية في أعقاب الثورة عام ١٧٨٩م والتي اعتبرها الدستور الفرنسي لسنة ١٧٩١م بمثابة مقدمة له، كما تمسكت بها مقدمة كل من الدستور الفرنسي لعام ١٩٤٦م ودستور عام ١٩٥٨م ■

صفات أمير المؤمنين عليه السلام

عن ضرار بن ضمرة قال: دخلت على معاوية بعد قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: صف لي أمير المؤمنين. فقلت: اعفني. فقال: لابد أن تصفه. فقلت: أما إذ لابد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس من خشن، ومن الطعام ما خشب، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغابت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول:

«يا دنيا غرّي غيري، إليّ تعرضتي، أم إليّ تشوقتي، هيهات هيهات، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك يسير، وعيشك حقير، آه آه من قلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق».

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك. فكيف حزنك يا ضرار؟ فقلت: حزن من ذبح ولدها في حجرها، فلا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها.

الدكتور مصطفى جمال الدين.. أصولياً

• أ. د. الشيخ صاحب محمدحسين نصّار
أستاذ الشريعة الإسلامية في كلية التربية جامعة الكوفة

ينابيع من دواعي العرفان والوفاء والاعتزاز لشخص السيد الأستاذ جمال الدين (رحمة الله عليه)، أن أسطر هذه الحروف استذكاراً لهذه الشخصية العلمية والأدبية، وهذا العلم الفذ، وهو غني عن البيان والتعريف، سائلاً المولى جلّ شأنه أن تكون هذه المشاركة المتواضعة جزءاً من التكريم لأستاذي الكبير، وخدمة لأهل العلم والدين.

رحلته العلمية:

ولد مصطفى جمال الدين في قرية (المؤمنين) في قضاء سوق الشيوخ في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧/١١/٥م، في بيت يمثل المركز الديني للقبائل المحيطة والأتباع المنتشرين في كل من الناصرية والبصرة والعمارة.

فكان السيد جمال الدين من أسرة ذي مكانة عالية في الوسط الديني والاجتماعي، إذ كان لآل جمال الدين مجلس عامر تُعقد فيه المناسبات والشعائر الدينية كافة، وتقام في مجلس القرية الجامع صلاة الجمعة والحمد لله بإمامة كبار أسرتهم.

وقد تكونت في القرية (حوزة صغيرة) لتدريس العلوم الدينية، قوامها دراسة (المقدمات) من النحو والصرف والبلاغة والنطق، وبعض كتب الحديث والفقه، ثم يوفد من قبل السيد عناية الله جد الأستاذ جمال الدين، من يُرى فيه الأهلية من طلاب هذه الحوزة، إلى النجف الأشرف التي هي جامعة العلوم الإسلامية للشيعة الإمامية، وقد يعود

بعض هؤلاء الموفدين للتدريس في هذه الحوزة، وقد يستقر البعض منهم فيتخذ النجف موطناً له، ومن أجل ذلك سميت هذه القرية بـ(قرية المؤمنين)[1].

(تربى أستاذنا الجليل في كنف جده وأبيه، ونشأ في بيت يقدس الكلمة الطيبة، ويعنى بالحرف الجميل، فكان من اهتمامات جده وأبيه به أن بعثا به إلى النجف الأشرف ليستقي العلم من منبعه والثقافة الإسلامية من مصدرها، ولما يزل طفلاً صغيراً، لتبدأ حياة السيد العلمية وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٣٨م وهو في الصف الرابع الابتدائي)[2].

والتحق صغيراً (بالجامع الهندي) يستظهر متن الاجرومية ويطوي تحت عباءته الصغيرة (قطر الندى) لابن هشام.

وكان من الظروف الصعبة التي ألمّت بجده (عناية الله) أن فقد على أثرها بصره فكان بحاجة لعودة ابنه الكبير لمساعدته في إدارة شؤون القرية، فرجع السيد جعفر مع أهل بيته إلى القرية إلا أن والدة السيد جمال الدين، إذ عزَّ عليها أن يترك الطالب الصغير درسه، وآثرت البقاء معه حتى صلب في الغربة عوده، ومرن على الدرس قلبُه، وهذا ما توضح من خلال الإهداء الذي توج به كتابه (البحث النحوي عند الأصوليين) الذي قدمه لأطروحته في الدكتوراه.

(...اللهم وكما كانت عيناها أنيس طفولتي وسراج ظلمتي، فاجعل ثواب ما بذلته من جهد أنيس وحشتها وسراج قبرها)[3].

سيرته الدراسية:

نمت الحياة العلمية والأدبية لأستاذنا مع أيام النجف وتعهدته نفوس كريمة وقلوب رحيمة فتحت أمامه آفاق فكرية جديدة فدرس اللغة وأدبها والفقه الإسلامي وأصوله والفلسفة ومدارسها، ونشأت بينه وبين أرض النجف علاقة متينة تجلّت بوضوح من خلال مسيرة حياته العلمية والأدبية والثقافية ومن نتاجه المعرفي[4].

وسرت في نفس أستاذنا الكريم رغبة جامعة وملحَّة للدراسة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وتبعاً للديدن الغالب لأبناء الأسر الدينية، فقد تحققت لأستاذنا هذه الرغبة الجليلة من خلال قوله: (كنت في العاشرة من عمري طالباً للعلوم الدينية في النجف الأشرف...)[5].

وعاش جمال الدين في فترة مهمة من تاريخ الدراسة الدينية في مدينة النجف الأشرف والتي تمثل المركز الأساس للعلم والمعرفة والتي حباها الله بأن جعلها الجامعة الأولى للدراسة الدينية وهذا ليس بجديد وإنما شأنها منذ عهد شيخ الطائفة الطوسي (قدس سره الشريف).

وقد تميزت دراسة الأستاذ جمال الدين بأنها واكبت المسيرة التطورية التي انتهجتها الدراسة الحوزوية في الانفتاح العلمي المحدد بالثوابت الأساسية والمقومات والمبادئ العلمية بإدخال المنهج الأكاديمي من خلال نهج جمعية منتدى النشر وما حَوَته من أهداف فكرية ورؤى فلسفية وعلمية ودينية ومستقبلية والتي كانت من ثمارها اليانعة كلية الفقه والتي كان من أساسيات خطتها وأهدافها هو التجديد في أساليب وطرق ومناهج التدريس في الحوزة العلمية، لخلق جيل جديد يواكب المسيرة الحضارية ويناظر

الأزهر الشريف[٦].

وعلى الرغم مما لحق هذه المسيرة من صعوبات وتردد من قبل البعض لتخوفهم من النتائج المقلقة، إلا أن ثلة من الأعلام المجاهدين والعلماء المجددين تحدوا أشد العوائق التي اعترضتهم وترجموا تلك الأفكار والرؤى الحداثية إلى واقع فعلي، كان من بينهم الشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد تقي الحكيم، والشيخ عبد المهدي مطر، والشيخ محمد مهدي شمس الدين وغيرهم، الأمر الذي أعطى لمدرسة النجف طابع الحداثة ومسايرة الجامعات الإسلامية في تطورها مثال الأزهر الشريف وغيره.

وقد حدا بمجموعة نوابغ الكلية والمتميزين فيها أن التحقوا بهذا الصرح العلمي العظيم، أمثال الشيخ الدكتور الوائلي، والسيد محمد الصدر، والسيد جمال الدين وغيرهم (قدس الله أسرارهم أجمعين).

والى جانب هذا كان لدراسة أستاذنا جمال الدين الحوزوية، أبعد الأثر علمياً وأدبياً وثقافياً، فقد تتلمذ على يد كبار العلماء الذين يمثلون الرعيل الأول والرواد في مدرسة النجف الدينية مثل الحجة الشيخ حسين الحلي، والعلامة الشيخ علي، الشيخ محمد أمين زين الدين والشيخ سلمان الخاقاني، وقد أورد أستاذنا بهذا الخصوص ما نصّه: (هذان العلمان الكبيران ـ زين الدين والخاقاني ـ هما اللذان وضعاني على الطريق الذي أنا على نهايته)[٧].

هذا فضلاً عن الأستاذة الأجلاء الذين تخرج على أيديهم جمع كبير من العلماء الأعلام.

وكان أستاذنا أحد الأعلام الذين أفرزتهم مدرسة النجف الحديثة والذي أغنى المكتبة العربية والإسلامية بفيض علومه وكتاباته، فضلاً عن بحوثه وتدريسه الذي عُرف بحداثة توجيهه وأسلوبه ومنهجه العلمي المتميز، وهكذا وبفضل الله وتسديده أن برز بين طبقات أهل العلم والمعرفة بمكانة مرموقة، فكان أستاذاً حوزوياً وأكاديمياً متميزاً وكاتباً بارعاً وأديباً مرموقاً.

ومن جملة العلوم التي برز بها علم أصول الفقه.

مصطفى جمال الدين أصولياً:

عُنيت مدرسة النجف الأشرف بعلم أصول الفقه منذ عهد شيخ الطائفة وعدته وإلى يومنا هذا وتميز الإمامية بهذا العلم وأبدعوا فيه وخاضوا فلسفته وسبروا أغواره، لما له من عظيم الأهمية في إقامة الدليل على مشروعية الموقف العملي لكل مكلف متعبد لله متمثلاً لشرائعه وأحكامه. وما له من غاية مهمة في معرفة أحكام الله تعالى، إذ يمكن به تعيين الوظيفة في مقام العمل والذي يوجب لحصول الأمن من العقاب وتيسير سُبل استنباط الأحكام الشرعية بهدف امتثالها وتطبيقها، والأهم من ذلك هو الخروج من عهدة تلك الأحكام وبراءة الذمة فيها، والأمان من العقاب المترتب على مخالفتها ونيل الثواب المؤمل بموافقتها.

وقد كان أستاذنا الفاضل رحلة طويلة مع هذا العلم دراسة وتدريساً. فدرس أصول الفقه بمراحله العليا على يد كبار

العلمـاء والأسـاتذة فواصـل الحضـور في درس المرجع الديني آية الله العظمى السيد أبي القاسـم الخوئي (قدس سـره) وكتب تقريرات أستاذه في هذا الخصوص[٨].

ودرس هذا العلم على يد العلامة الشيخ إبراهيم الكرباسـي[٩]. وعلـى يد العلامة الشـيخ محمد أمين زين الدين[١٠]. وأسـتاذه العلامة الكبير الشيخ محمد رضا المظفر فـي كتابه أصـول الفقه. والعلامة السـيد محمـد تقـي الحكيـم فـي المدخـل في الأصول العامة للفقه المقارن، وبالأسلوب الأكاديمي في كلية الفقه.

وعلـى صعيد التدريس فقـد كانت له جهـود متميزة فـي هذا العلم من تدريسـه وإلقائـه المحاضـرات سـواء حوزويـاً في جامعة النجف الدينية وغيرها أو أكاديمياً في كلية الفقه وغيرها.

وكان يوائـم بين المنهجين ـ الحوزوي والأكاديمي ـ علـى الرغم من عدم وجود أيـة فـروق أساسـية فيهمـا سـوى المنهج والأسلوب.

فـكان مـن أبـرز جهـوده وآثـاره الأصولية.

أبـرز جهوده وآثـاره:

إن السـيد جمـال الديـن أحـد الأعلام الذيـن أغنوا المكتبة العربية والإسـلامية بالآثار العلمية الثرّة، سـيما في المباحثات الأصولية التي اتسمت أبحاثه فيها بالحداثة والجدة موضوعاً وأسـلوبا ومعالجة، نتيجة طيبة لجهوده الحثيثة في هذا المجال والتي نحاول عرضها فيما يأتي:

أولاً: البحث النحوي عند الأصوليين.

كان هـذا الكتـاب القيـم دراسـة لأطروحتـه فـي الدكتـوراه، ونجـد فيـه أستاذنا الجليل قد أبدع نهجاً جديداً وابتكر موضوعـاً حديثـاً لم يتـرق إليـه الباحثون المحدثون ولم تعرفه الدراسـات من قبل، فبـدا غريبـاً لدى أقسـام اللغـة العربية في الجامعات، وأوضح بأن هناك علاقة وطيدة بيـن البحث النحوي وأصول الفقه أو بعبارة أخـرى ما لعلم أصول الفقه من مشـاركة في الدراسـات النحويـة فضلاً عن كونها مشـاركة لها أثر في صياغة نظرية نحوية عامة، هذا ما ذكره الدكتور جمال الدين في مقدمة الكتاب[١١].

وبهذا يُعد جمال الدين السـباق في هذا المجال والمؤسـس لنظرية العلاقة العلمية بيـن علم النحـو وعلم أصـول الفقه، وقد توضـح ذلك مـن خلال مفـردات كتابه، إذ تعـرّض فيه بـكل جزئية ومفـردة تهم الموضـوع، وأبـرز الدكتـور العلاقـة المتشـابكة بين العلمين، فعند استعراض موضوعـات الكتاب يترآى للمسـتعرض أنـه كتـاب نحـوي ولكـن المتعمـق فيه يجـد الغاية الفقهية والأصولية المرجوّة في الدراسة ويتضح له مكانة علم أصول الفقه ومـدى ارتباطه بالعلوم الأخـرى، فأوضح الدكتور طريقـاً صريحاً لكل من التبس عليه الأمر واختلطت عليه المفاهيم، فبرز جمال الدين في هذا الكتاب أصولياً بارعاً وباحثـاً مجدداً بأسـلوب علمي ذي منهجية منظمـة، تأسيسـاً لنظريـة أصوليـة تهتـم بالنحو العربي ومدى العلاقة بينهما.

ثانيـاً: رأى فـي أصـول النحـو وأثـره بأصول الفقه.

هـذا جهد في الحقيقة لم يكن أصولياً بقدر ماكان نحوياً، ولكنه اعتمد علم أصول

الفقه طريقاً ومساراً لتأسيس أصول نحوية.

ونشر هذا البحث القيم في مجلة كلية الفقه في العدد الأول في عام ١٩٧٩م، وكان أول بحث نُشر في هذه المجلة[١٢].

عَرْضهُ: كان لأستاذنا (رحمه الله) رأي في أصول النحو وتأثره بأصول الفقه، ويقول في هذا الرأي أن الذين وضعوا هذه الأصول لم يكونوا جادين فعلاً في وضع (أصول) يراد لها أن تكون منطقاً أو منهجاً للبحث والتفكير النحوي واستنباط الأحكام والقواعد النحوية، كما كانت (أصول الفقه) منطق الفقه ومنهج التفكير الفقهي، وكل ما في الأمر أنهم رأوا في أصول الفقه (أصولاً جاهزة) فحسبوها صالحة لاستنباط الأحكام النحوية، كما هي صالحة لاستنباط الأحكام الشرعية.

ويرى السيد جمال الدين أن الأصول أياً كانت تبحث في ناحيتين:

الناحية الأولى: تشخيص الأدلة.

الناحية الثانية: أوجه دلالتها.

ولم يوفق هؤلاء النحاة في عملية (التقليد) التي ساروا عليها، لا في تشخيص أدلة النحو ولا في طرق دلالتها.

فأما التشخيص فلم يثبت منها ما يصلح لأن يكون (دليلاً) لاستنباط الحكم النحوي غير (النص) و(القياس على النص) أما الإجماع والاستحسان والاستصحاب، فهي إلى الوهم أقرب منها إلى الظن، وقد أوحتها طبيعة هؤلاء النحاة لمذاهبهم الفقهية بحسب ما رأيت!!.

وأما أوجه دلالة الأدلة، فقد نُقشت بصورة ساذجة عن المذاهب الفقهية التي كان يتبعها هؤلاء النحاة، فالشرائط والأركان والأقسام، تختلف عند أبي جني والأنباري بحسب اختلافها في أصول الحنفية والشافعية.

ويغلب على الظن أنه إذا أريد وضع أصول يُستكشف منها طبيعة استنباط الحكم النحوي عند مؤسسيه فيجب أن تترك هذه الكتب جانبا ويعتمد الدارسون المحدثون إلى كتاب سيبويه، ومقتضب المبرد، ومعاني الفراء ومجالس ثعلب، وأمثالها من كتب تمثل الفروع النحوية في مرحلتين من ألمع مراحل الدرس النحوي في مدرستي البصرة والكوفة[١٣].

ثالثاً: القياس حقيقته وحجيته.

يمثل هذا البحث أطروحة الأستاذ جمال الدين في الماجستير لعام ١٩٧٣م مقدمة إلى جامعة بغداد بخصوص القياس الأصولي، وقد كان جهد أستاذنا واضحاً من خلال موضوعات هذا البحث وما حوى من دراسة مقارنة بين المذاهب الإسلامية في هذا الشأن مع عرض وبيان الأدلة ومناقشتها وترجيح الأقوى دليلا وحجة. وكان السيد ملماً وموفقاً فيها.

رابعاً: الاستحسان حجيته ومعناه.

وهو بحث قيم للأستاذ جمال الدين يعرض فيه حجية هذا المصدر الاستنباطي ومعناه، وما يتعلق به من حيث الدليل، وقد صدر هذا البحث عام ١٩٧٥م وهو من البحوث الرصينة المهمة في أصول الفقه.

خامساً: الترتب مكانه ووقوعه[١٤].

وهذا من الموضوعات الأصولية الفريدة، وهو أساساً محاضرة في أصول الفقه ألقاها جمال الدين على طلبة العلوم الدينية في الجامعة الدينية في النجف الأشرف، ومن ثم تمّ طبعها في النجف الأشرف في مطبعة الآداب عام ١٤١٣هـ.

عَرْضَهُ: يعرض أستاذنا في هذا البحث، فكرة الترتب وكيفية نشأتها بأسلوب علمي رصين.

وتعد فكرة الترتب من متعلقات مسألة الضد، إلا أن مسألة الضد بحثت في كتب الأصول منذ القدم، ولم تبحث مسألة الترتب إلا متأخراً وبعد التقدم المستمر في الدراسات الأصولية الحديثة، وهي اليوم من ألمع المسائل التي ابتكرتها مدرسة النجف الأصولية.

ومن المعلوم أن النزاع في مسألة الضد هو أن الأمر بالشيء أي كان ولنفرض الصلاة ـ مثلاً ـ هل يقتضي النهي ضده وهذا الضد سواء كان عاماً أي ترك الصلاة أم ضداً خاصاً، كأكثر الأفعال الوجودية الأخرى من أكل وشرب ونوم وغيرها، بمعنى أنه هل ينشأ من هذا الأمر المولوي بالصلاة نهي مولوي عن هذه الأضداد أم لا؟!.

وقد كثر الاختلاف حول هذه المسألة، وقد بحثها أستاذنا الكريم بحثاً مسهباً.

وله جهود أصولية أخرى كانت ضمن البحوث المنشورة في مجلة النجف في كلية الفقه ومجلة جامعة النجف الدينية والرابطة الأدبية والبلاغ وغيرها.

وفضلاً عن ذلك فإن له بحوث فقهية منها (الانتفاع بالعين المرهونة) وهذا بحث فقهي مقارن طبع سنة ١٩٧٦م.

وختاماً.. سلام عليك يا أبا إبراهيم يوم ولدت طاهراً من نسل آل البيت عليهم سلام الله تعالى، ويوم انتقلت إلى الخلد غريباً مهاجراً من الجور والظلم والطغيان من أرض حيدرة الكرار، إلى ثرى ابنته السيدة زينب بطلة كربلاء عليها السلام، ويوم تبعث حياً مكللاً برحمة أرحم الراحمين..

إنه نعم المولى ونعم النصير ■

---

(١) ملامح في السيرة والتجربة الشعرية: مصطفى جمال الدين، المكتبة الأدبية، ص١١.

(٢) مصطفى جمال الدين: د. عناد غزوان، بحث في مجلة البلاغ، الكاظمية، العراق، السنة الأولى، العدد الرابع ١٩٦٦م، ص٥٢.

(٣) البحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين، الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ ط١ ص٥.

(٤) مصطفى جمال الدين: د. عناد غزوان، مجلة البلاغ ١٩٦٦م السنة الأولى، العدد الرابع، ص٥٢.

(٥) البحث النحوي عند الأصوليين: مصطفى جمال الدين، ص٥.

(٦) ينظر النظام التأسيسي لكلية الفقه، ص٣.

(٧) ملامح في السير والتجربة الشعرية: مصطفى جمال الدين، ص٢٨.

(٨) شعراء الغري: علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، عام ١٩٥٦م، ٣٤٧/١١.

(٩) م.ن: ٣٤٧/١١.

(١٠) ملامح في السيرة والتجربة الشعرية: مصطفى جمال الدين ٢٨.

(١١) ينظر البحث النحوي عند الأصوليين: مصطفى جمال الدين ص٧.

(١٢) ينظر مجلة كلية الفقه، الجامعة المستنصرية، العدد الأول، ١٩٧٩م، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ص٩.

(١٣) مجلة كلية الفقه، العدد الأول، السنة الأولى ص٤١.

(١٤) إن هذا الكتاب لم يذكر ضمن المؤلفات السيد جمال الدين عند عرضها في الديوان، وانه توجد نسخة منه في مكتبة أمير المؤمنين(ع) العامة في النجف الأشرف تحت رقم (٥٢٧) في خزانة (٢٦).

أثر نهج البلاغة في أدب العرب

• د. هادي عبد علي هويدي
كلية الدراسات الإسلامية/ جامعة الكوفة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الجزع أتعب من الصبر».

ينابيع نهج البلاغة كتاب تضمن ما اختاره الشريف الرضي (رحمه الله) (٣٥٩هـ ـ ٤٠٤هـ)[١] من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليّ غني عن التعريف. قيل فيه[٢]:

(اجتمع للإمام علي بن أبي طالب من صفات الكمال، ومحمود الشمائل والخلال وسناء الحسب، وباذخ الشرف، مع الفطرة النقية، والنفس المرضية ما لم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال... تحدّر من أكرم المناسب، وانتمى إلى أطيب الأعراق، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش، وجده عبد المطلب أمير مكة وسيد البطحاء، ثم هو قبل ذلك كم هامات بني هاشم وأعيانهم، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ (ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحَلْي العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وسر كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق،و معدن الفهم، وينبوع العلم...).

أخلاقه وسيرته وشجاعته لا تتأتى لأحد سواه باستثناء الرسول الكريم صلوات الله عليه، ذلك ما جعل الناس يطلقون فيه أفضل الكلام، من ذلك ما قاله الحسن البصري[٣]: (...كان سمهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، وربّانّي هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها، وذا قرابتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن بالنؤومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة، وأعلام مشرقة...).

أما بلاغته وفصاحته فلسنا بقادرين أن نقول فيه أكثر مما قاله معاوية[٤]: (والله ما سن الفصاحة لقريش غيره).

فالذي يحفظ كلام علي (عليه السلام) فإنه يحتفظ بأثمن الكلام وأبلغه وأفصحه لهذا وجدنا الناس تحفظه وترويه منذ القدم قال المسعودي (ت ٣٤٦هـ).

(والذي حفظه الناس عنه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة وتداول الناس ذلك قولاً وعملاً)[٥].

وذكر الحصري ما قاله الجاحظ في الإمام علي (عليه السلام) في قوله: (قيمة كل امرئ ما يحسنه)[٦]: (ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال: فإذا لم نقف من هذا الباب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية، وأفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه ظاهراً في لفظه وكأن الله ألبسه من ثياب الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله...).

ولهذا صارت كلماته (عليه السلام) أمثلة ومعاني للشعراء والكتاب على مر الزمن يستلهمونها ويضمنونها أدبهم وشعرهم. روى ابن أبي الحديد قول الإمام[٧]:

(من وثق بماءٍ لم يَظْمَأْ) قال وهذا كقول المتنبي[٨]:

وما صبابة مشتاق على أملٍ
من اللقاءِ كمشتاقٍ بلا أمل

وكان الأجدر أن يقول: أخذ المتنبي هذا المعنى من علي (عليه السلام)...

وللسبب نفسه صار كلام الإمام موضع اهتما الناس والعلماء والأدباء جميعاً وصار مدرسة للأدباء والمتأدبين فقد روي عن عبد الحميد الكاتب قوله[٩]:

(حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت).

ويقول ابن نباتة[10]: (حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب).

وسار كلام الإمام في الناس فمن المحفوظ في الصدور إلى التدوين، فقد ورد أن المصادر التي وجدت فيها خطب الإمام عند قيام الشريف الرضي بجمعها فضلاً عن المحفوظ بلغت مائة واثني عشر كتاباً ينتمي زمن تأليفها إلى ما قبل عصر الشريف الرضي[11] مع الإشارة إلى ما ذكره الشريف من هذه المصادر وهي خمسة عشر مصدراً ورواية[12] وقد أثبت الباحث نفسه أن وفيات معظم مؤلفي هذه المصادر سابقة لعصر الشريف ويمكن أن نقرر سبقهم له من خلال ذكر أخذ أساتذته وقد عاش بعد وفاة الشريف وهو الشيخ المفيد (رحمه الله) قال[13]:

(والمفيد توفي بعد الشريف الرضي ولكننا جعلنا جملة من كتبه من مصادر نهج البلاغة لأمرين:

١ـ أن المفيد من أساتذة الرضي فقد جرت العادة أن يأخذ التلاميذ من مشايخهم ولا يأخذ المشايخ من تلامذتهم.

٢ـ أن المفيد لم ينقل في كتبه من (نهج البلاغة) ولا رواية واحدة، بل لم يشر إليه ولا مرة واحدة في كل هذه الكتب التي نقلنا منها وهي أكثرها ألف قبل صدور النهج).

كل هذه الأدلة تنفي الشبهات التي تدور حول هذا العمل وتجعل منه مصدراً مهماً من مصادر نقل أدب العرب إلى جانب القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين يعدين منارا للأدباء في المعاني والأفكار فضلاً عن اللغة الأدبية المشرقة ■

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣١، ١/ ٤٠.
(٢) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١/ ٢، وينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (مقدمة المحقق ١/ ٤ - ٤).
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٥.
(٤) نفسه: ٣/ ٢١٧.
وينظر: مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء الحسيني ١/ ٤٣ وقد ذكرها: (قال معاوية بن أبي سفيان: ما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً أحسن من علي، والله ما سن الفصاحة لقريش غيره).
(٥) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٤٣١.
(٦) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق الحصري القيرواني ت. د. زكي مبارك ١/ ٨٠، وينظر: البيان والتبيين ت. عبد السلام هارون ١/ ٨٣.
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٢١١.
(٨) ديوان المتنبي ٣/ ١٩٩.
(٩) نهج البلاغة ... لمن؟ للشيخ محمد حسن آل ياسين ص١٣.
(١٠) نفسه: ص١٣.
(١١) ينظر مصادر نهج البلاغة، عبد الزهراء الحسيني ١/ ٢٩ ـ ٤١، وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ محمد حسن آل ياسين ذكرها مائة وواحد وأشار إلى اعتماد المصدر نفسه ولعله وجده في طبعة أخرى من الكتاب، انظر: نهج البلاغة... لمن، ص١٢.
(١٢) مصادر نهج البلاغة، ١/ ٤١ ـ ٤٢.
(١٣) نفسه ١/ ٣٠، ووفاة الشيخ المفيد سنة ٤١٣هـ.

ابن معصوم
و منهجه في كتاب
أنوار الربيع وأنواع البديع

• الأستاذ عادل عباس النصراوي

ينابيع **السيد ابن معصوم هو: علي صدر الدين المدني بن الأمير نظام أحمد بن محمد معصوم، ويرجع نسبه الشريف إلى محمد بن زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السلام).**

ولد (رحمه الله تعالى) بالمدينة المنوّرة ليلة السبت ١٥ جمادي الأولى سنة ١٠٥٢هـ، وقبل أن يتخطى سن الصبا سافر أبوه إلى (حيدرآباد) بطلب من السلطان عبد الله قطب شاه، وقد ارتحل إلى الهند في ليلة السبت السادس من شهر شعبان سنة ١٠٦٦هـ. وقد ارتحل بأمر من أبيه حيث كان والده في تلك الديار، وقد أمضى في حيدرآباد ١٨ سنة تولى خلالها عدّة مناصب هامة في الدولة. ولكن حدثت هناك مكائد أدت به إلى أن يتوجه إلى السلطان محمد أورنك زيب شاه في (برهان بور)، فعند وصوله رحب به السلطان وقلده قيادة الجيش، ولقبه بالسيد (علي خان).

بعد أن قضى في ديار الهند (٤٦) سنة غادرها سنة (١١٤هـ) متوجهاً مع عائلته إلى مكة المكرمة لأداء الحج، ثم قصد المدينة المنورة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبور أئمة البقيع عليهم السلام. ثم توجه إلى خراسان لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام فوصل إيران في سنة (١١١٧هـ) في عهد السلطان حسين الصفوي. ثم اختار شيراز منها مقراً لسكناه، وانصرف بكليته إلى التدريس والتأليف[1].

إن تضلع السيد صدر الدين علي المدني في كثير من العلوم يوحي بكثرة أساتذته، وقد ذكر مترجموه منهم والده السيد نظام الدين أحمد والشيخ محمد بن علي الشامي والشيخ جعفر كمال الدين البحراني، أما تلامذته فهم كثر، حيث تخرجوا عليه عندما كان يقيم في المدرسة المنصورية التي أسسها جده العلامة غياث الدين منصور.

لقد ألف كثيراً من الكتب حتى بلغت العشرين كتاباً منها:

١ـ سلافة العصر.

٢ـ سلوة الغريب وأسوة الأديب.

٣ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة.

٤- أنوار الربيع وأنواع البديع حيث فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٣هـ.

٥- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين.

٦- الحدائق الندية في شرح الصمدية.

٧- رسالة في أغلاط الفيروزآبادي في القاموس. وغيرها من المؤلفات.

توفي السيد ابن معصوم في مدينة شيراز ودفن في حرم السيد أحمد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام الملقب بالشاه جراغ، وتأريخ وفاته سنة ١١٢٠هـ على الأرجح.

أما كتابه (أنوار الربيع وأنواع البديع)، فإن عنوانه يدل على مضمونه، فالأنوار جمع نَوْر، وهو أزهار الشجر، ويُقال نَوَّرت الشجرة تنويراً ونوّر الشجر، خرج نوّارُه ونَوْرُه[٢]. إذن ليس الأنوار بمعنى الأضواء - كما يُتَوَهّم - وعنوانه هذا متوافق مع مضمون كتابه، لما في من تنوّع مادته العلمية فكأنه أزهار الربيع في كثرة ألوانها وطيب شذاها.

لقد كان هدف المصنف في كتابه هذا، أن ينظم قصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله واظهار براعته في النظم مدمجةً بفنون البديع. حيث اشتغل معاصروه من العلماء والكتّاب في هذا النوع، فكان دأبهم نظم البديعيات وشرحها واستخراج بعض الفنون التي يطرقها مَنْ سبقهم من الأدباء.

إن بديعيته قد جمع فيها أشتات البديع وتطرّزت بمدح رسول الله صلى الله عليه وآله انتظم منها مائة وخمسة وأربعين بيتاً في بحر البسيط وتشمل على مائة وواحد وخمسين نوعاً من الحماسة[٣].

المحتوى المعرفي لأنوار الربيع وأنواع البديع

إن طبيعة محتوى كتاب تدل على مقدار ضبط صاحب الكتاب لآرائه وأقواله حيث يبيّن كيف يأخذ من غيره، وما الذي يأخذه منهم، وما هو مقدار استيعابه لما يأخذ، فكل هذه القضايا ستكون هي مدار التحث والتساؤل في هذا البحث.

لقد استقصيت كثيراً مما يرويه السيد ابن معصوم فما وجدته حاطب ليل أبداً، بل وجدته ضابطاً لما يروي ويأخذ[٤]، فقد استشهد في مواضع كثيرة فأخذ عن كثير من العلماء والأدباء كالزمخشري وابن أبي الاصبع والطيبي من كتابه التبيان، فقال في باب الكلام الجامع: (وقال الطيبي في التبيان: هو أن يُحْلي المتكلم كلامَهُ بشيء من الحكمة والموعظة وشكاية الزمان والإخوان وهذا أعم من الأول[٥].

وقال أيضاً في باب التوجيه: (وأما التوجيه في اصطلاح البديعين فهو عند جماعة كالسكاكي والخطيب والطيبي اسم لمسمى الابهام)[٦].

وهكذا نراه يستشهد بأقوال الطيبي في مواضع متعددة من كتابه التبيان ويشير إلى ذلك بقوله (وقال الطيبي) أو (وعَدَّ منه الطيبي في التبيان)[٧].

ويكون ابن معصوم قد نسب الأقوال إلى قائليها دون زيادة أو نقص، وهو يقول عند نهاية أي قول يأخذه بلفظة (انتهى) وهو يدل على نهاية قول القائل الذي يستشهد بقوله.

فضلاً عن ذلك كان السيد ابن معصوم مستوعباً لآراء مخالفيه وأدلتهم، فهو يستعرض أي مسألة قيد البحث ويستعرض آراء من سبقه وينقدها سلباً أو إيجاباً بعد فهم عميق وتدبّر لكل ما يقولونه أو يطرحونه، فهو تارةً يصحح ما قالوه أو ينفي أو ينقد أو يعلّل حسب ما تقتضيه طبيعة القضية أو المسألة قيد الدرس أو البحث، وقد نراه يُفاضل بين إثنين من العلماء في آرائهم، ومثال ذلك قول

الشاعر في الابهام:

يضيقُ على مَنْ رآه العذر أن يرى
ضعيف المساعي أو قليل التكرّم

وظاهره أن مَنْ رآه لم يكن له عذر أن يكون ضعيف المسعاة قليل التكرّم، يعني منه يتعلم هذه الأشياء... كما قال آخر:

لا تيأسَنَّ من الإعارة بعد ما
خفق اللواء على عمامة جرون

هذا كلام ابن جني، والحق ما قاله ابن أبي الحديد: إن المتنبي لم يكن يقصد شيئاً من ذلك قط ولا خطر له أصلاً[٨].

وقد اعترض على ابن حجة الحموي كثيراً في بديعيته، ومن ذلك البيت في باب التوشيح:

توشيحهم يملأ تلك الشعور إذا
لقوهُ طيناً تعرفنا بنشرهم

فقال ابن معصوم: (ابن حجة سوّد وجه نصف صفحة في إطراء هذا البيت وتعديد محاسنه، وهذا من التكلّف على جانب كما يشهد به الذوق السليم، وعلى أمرٍ خالٍ من مثال النوع، إذْ ليس في صدر البيت ما يدل على أنه ينبغي أن تكون القافية (نشرهم) إذ النشر إنما يُناسبه الطي أو الرائحة الطيبة، وذك الطي والعرف في العجز لا يجدي، فإنه خروج عن شرط التوشيح لما تقدّم من أنه ينبغي أن يكون في أول الكلام ما يدلُّ على القافية لا في آخر الكلام)[٩].

وكان ابن معصوم في هذا لم يُجانب الحقيقة والصواب، وإنما كان ناقداً يعرف أصول الفن، وكان واعياً لما يكتب ويقول أو يحلّل أو يعلّل، فهو في موضع آخر قد أيد ابن حجة في أقواله. وبيت بديعة ابن حجة قوله:

عفت القدود ولم أستثن بعدهم
إلا معاطف أغصان بذي سلَم

(ابن حجة تبجّح بهذا البيت، وحقٌ له ذلك، فإنه أجاد فيه ما شاء فإن زيادة معناه على الاستثناء وحسن انسجامه، وسهولة ألفاظه، ومراعاة نظيره لا ينكرها إلا متعنّت خارج عن أوصاف الاتصاف[١٠].

إذن كان ابن معصوم منصفاً ويعطي كل ذي حق حقه ولا يبخس الناس أشياءهم، ولكنه عندما يحكم وينتقد عملاً فإنه يعلّل ذلك، أي إن حكمه مبني على وعي ودراية، فهو عندما أنصف ابن حجة في قوله أعلاه، كان معلّلاً، وذلك بقوله: (ما أحسن ترشيحه تورية الاستثناء بذكر القدود والمعاطف والتكميل بذي سلم لكون القصيدة نبوية، في غاية الكمال)[١١].

ومن هذا نستنتج أنه كان مستوعياً لآراء مخالفيه وأدلتهم، كما لو أنّه يعرف ماذا يأخذ منهم، وأين يستعمل تلك الشواهد، سواء كانت شعرية أو قرآنية، أو غير ذلك.

سياق عرض المضمون

لم يخرج المصنّف في ترتيب أبواب كتابه عما سبقه من أصحاب البديعيات وذلك إن أهل البديع قد التزموا بسياق معيّن ابتدؤا بحسن الابتداء ثم الجناس وجعلوا لكل نوع من أنواعه باباً خاصاً به، وقد أكد التزامه بهذا المنهج الذي التزمه سابقوه، أمثال صفي الدين الحلي والعز الموصلي وغيرهما من أصحاب البديعيات[١٢]، فضلاً عما زاده هو من أنواع البديع التي كان يرى ضرورة لوجودها، وهذا ما كان يعمله من سبقه.

فإذن تسلسل عرض الموضوعات كان خاضعاً إلى ما تعارف عليه أهل البديع الذين سبقوه في هذا الفن فضلاً عن اجتهاده الشخصي في ذلك. أما أسلوب تعريفه لكل باب من أبواب البديع، فهو كان يعرف كل نوع منها تعريفاً لغوياً معتمداً فيها على

اللغويين، ويعرفه اصطلاحاً معتمداً على علماء البلاغة والفصاحة وممن لهم باع في فنون البديع وأنواعه.

أما لغة الحوار مع مخالفيه فكانت لغة عالية تعتمد المنطق السليم والتحليل الرائع لكل الشواهد والأدلة المطروحة لكل فن ونوع، دون تهجّم أو هجوم غير مبرر، ونجد التناغم في الحوار مع مخالفيه ومؤيديه حتى كأنك تدرك سموّ الخلق وعلوّ الشأن والهمة وترفّعه عن كل ما يشين، فهو ابن الدوحة المحمدية التي استظل بها المؤمنون منذ عهد الرسالة وحتى يومنا هذا.

كان ابن معصوم في بعض الموضوعات يُوجز حيث اقتضى الإيجاز وهو كذلك يُطنب في عرض المواضيع التي تحتاج إلى تفصيل وسعة في الدليل، وقد شاع عنده كذلك اسلوب الاستطراد وذكر الأحداث والنكت الجميلة، وأظن إنه يريد من ذلك دفع السأم والملل عن القاريء، فهو إذا أطنب في موضع ما سعى إلى طرفة جميلة تملأ الوجه نسمةً والنفس سروراً وعبطة، وكان هذا ديدنه.

أسلوب الاستدلال للمصنف

اختلف العلماء والأدباء في كيفية الاستدلال وأساليبه، حيث أن أسلوب كل أديب يختلف عن غيره تبعاً لثقافته وعمق تفكيره، فمنهم مَنْ يحلّل أو يستقرئ الأحداث والواقع، ومنهم مَنْ يستنتج اعتماداً على دلائل أولية خاضعة لطبيعة الموضوع، لكن العملية النقدية غالباً ما تعتمد الاستنتاج في الاستدلال على حالة معينة، فالأديب عندما يريد أن ينقد نصاً أدبياً يستقريء الأوليات ويضعها أمام ناظريه فيستنتج ما يدل على صحة العملية النقدية واصابة الهدف المطلوب.

لقد كان ابن معصوم (رحمه الله تعالى) يستقرئ ويحلّل ويُرجع كل حالة إلى مضانها ليستنتج الحكم النقدي، فقد تعرّض إلى نقد النابغة الذبياني لقول حسان بن ثابت:

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأجاب ابن معصوم على هذا: (بأن حسان لا يرى حسن المبالغة، كما صرح به في شعره السابق ومع تسليمه فالجواب، بأن جمع القلة قد يستعمل في الكثرة، ومن هنا كذلك قوله تعالى: (وهم في الغرفات آمنون)[١٣] مع إن في الجنة غرفاً كثيرة، والقرينة وصف الجفات بالغر وهي جمع كثرة. وإن الغر هنا ليس جمع غرة كما نقد، وإنما الغر: البيض المشرقات من كثرة الشحوم وبياض اللحوم وهي جمع غرار وهي البيضاء، كما أن اللمعان هو المستعمل في هذا النحو الذي يدل به على البياض كما نقول: لمع السراب، ولمع البرق)[١٤].

فهنا حلّل المفردات وأرجعها إلى أصولها واستخلص القرار الصحيح وردَّ على النابغة بما يجب أن يكون وليس كما قال وقرّر ذلك باسلوبه المعهود المبني على الحوار العلمي الجميل البعيد عن التكلف والزيغ.

وقد تكرر مثل هذا الاسلوب في الاستدلال عند مناقشته موضوعاً أو محاورته لأديب فيما يخص الموضوعات التي يطرقها، ويعزز إجاباته بشواهد قرآنية راقية تدل على حُسن الإختيار وسعة الأفق، حتى برز (رحمه الله تعالى) مفسراً يعتمد التحليل العلمي والاستقراء الشامل لكل ما يدور حول الآية القرآنية أو الشاهد الشعري الملائم للموضوع.

قال ابن معصوم في باب الاستثناء، حيث

يشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على معناه اللغوي، مستشهداً بقوله تعالى اخباراً عن نوح عليه السلام: (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً)[15]. فقال: (فإن في الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة من التهويل ما يمهد عند نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم، إذ لو قيل: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عامة لم يكن فيه من التهويل ما في الأول لأن لفظ الألف في الأول، أول مايطرق السمع ويشتغل به عن سماع بقية الكلام، وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعدما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف)[16].

فهنا نراه قد استنتج مرة أخرى على زيادة المعنى من خلال التركيب في الجملة القرآنية الجميلة، حيث استقرأ المعاني التي أوحت له بهذا.

إذن كان ابن معصوم (رحمه الله تعالى) منطقياً في استنتاجاته واستقراءاته في الاستدلال للوصول إلى الحقيقة، ونلاحظ هذا الأسلوب هو الشائع في محاوراته بصورة عامة ■

---

(١) وللمزيد يراجع مقدمة الممحقق في كتاب أنوار الربيع/ الجزء الأول ص٥ -٢٢.
(٢) أنظر مختار الصحاح ص٢٨٤ مادة نور، أساس البلاغة ص٦٥٧ مادة نور،
(٣) أنوار الربيع وأنواع البديع/ ١- ٣١.
(٤) انظر الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/٤.
(٥) أنوار الربيع/ ٢ - ٣١٨ وورد هذا في التبيان/٣٣٠.
(٦) م. ن/ ٣ - ١٤٤ وورد هذا في التبيان/٣٠٠.
(٧) ذكر ابن معصوم في كتابه أنوار الربيع الطيبي في المواضع الآتية: ٢ - ٢٠٠، ٣١٨/ ٣ - ٥٥، ١٤٤/ ٤ - ٢٠٢، ٢٦٦/ ٥ - ٣٤٢ / ٦ - ٣٠٣. وقد وردت هذه النصوص في التبيان على التوالي في الصفحات الآتية: ٣٩٣، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣١٨، ٣٠٠، ٣٥٧، ٤٣٥، ٣٩٤، ٤٢٠، ٤٢١.
(٨) أنوار الربيع/ ٢ - ٢٧.
(٩) م. ن/ ٣ -٣٧.
(١٠) م. ن/ ٣ - ١١٤و ١١٥.
(١١) م. ن/ ٣ - ١١٤و ١١٥.
(١٢) م. ن/ ١ - ٣١و ٣٢.
(١٣) سورة سبأ/ ٣٧.
(١٤) أنوار الربيع/ ٤- ٢٠٩.
(١٥) سورة العنكبوت/ ١٤.
(١٦) أنوار الربيع/ ٣- ١١٠.

المصادر:

١- أنوار الربيع وأنواع البديع/ السيد علي المدني - تحقيق شاكر هادي شكر - مطبعة النعمان - النجف ط١/ ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٢- البديع في تأصيل وتجديد/ الدكتور منصور سلطان - منشأة المعارف - الاسكندرية - ١٩٨٦م.
٣- البيان العربي/ الدكتور بدوي طبانة - مطبعة الرسالة - مصر - ط٣ - ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
٤- البيان والتبين/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط٤.
٥- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان/ شرف الدين حسين بن محمد الطيبي - تحقيق الدكتور هادي عطية مطر الهلالي - عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/ السيد علي المدني، قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم - المطبعة الحيدرية - النجف - ط١ - ١٩٦٢م - ١٣٨١هـ.
٧- سلوة الغريب وأسوة الأديب/ السيد على المدني - تحقيق شاكر هادي شكر - عالم الكتب - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٨- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده/ لأبي علي الحسن بن رشيق القيرياني الأزدي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت - لبنان - ط٤ - ١٩٧٢م.
٩- مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - دار الرسالة - الكويت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٠- مجلة المورد/ العدد الثاني - دار الجاحظ - وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الحلقة الأولى:

الدين..
وتنظيم الحياة الأسرية

• هاشم حسين ناصر المحنك
رئيس تحرير مجلة النجف

ينابيع لو استعرضنا الحضارات التي ازدهرت على أرض الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام... وغيرها من الحضارات، لرأينا إن هناك تنظيمات اجتماعية - أسرية، وفقاً لقوانين وضعتها الشرائع أو الدولة أو الأعراف، وأرقى ما يدلل على العمق الحضاري، وبالذات العلاقة بين أفراد الأسرة والمجتمع... ومنها (قانون أورنمو) والذي ينظم الزواج والطلاق والالتزامات الأخلاقية، (وقانون لبت عشتار) والذي ينظم الزواج وفترات الحمل والإجهاض، و(قانون ايشنونا)، و(قانون حمورابي) الذي جاء بأكثر دقة وعمق من القوانين السابقة له، وما اهتمت بأمور نظام الأسرة وتنظيمها، حتى يلاحق ما يصدر من الابن لوالديه من عقوق، أو من الوالدين لأبنائهما، والزوج والزوجة، وكان القسم الثامن من مسلة حمورابي أو شريعة حمورابي، يحتوي على المواد التي تتعلق بالشؤون العائلية، كالزواج والطلاق والإرث والتبني والتربية، وكل ما له علاقة بالروابط العائلية وإنجاب الأطفال، والتي تتحدد هذه المواد من ١٢٧-١٩٤[١].

ولحقت هذه الآثار أو البصمات الحضارية، حضارة أشرقت وكان لها العمق والدقة والتطور والأصالة الواضحة، ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية، بدستورها الإلهي (القرآن الكريم)، الذي أحيا الإنسان بعد موته، في الفكر والعقيدة، بما فيها الأخلاقية والإنسانية والسمات الحميدة، وما ترجمته السُنّة النبوية الشريفة والأقوال المأثورة للأئمة المعصومين عليهم السلام، وما أُنجز من أنظمة فرعية لمختلف الحياة، وبالذات الدقة في الاهتمام بنظام وتنظيم الأسرة، فنظام الأسرة (Family Institution)، وهو مجموع القواعد والأسس الاجتماعية التي لها الأهمية الجوهرية في تكوين المجتمع وتحقيق متطلباته ووجوده الاجتماعي وفقاً لخصائصه المتميزة ويشكل نسقاً من الأدوار الاجتماعية المترابطة والمعايير التي تتعلق بتنظيم العلاقات الجنسية وتربية الأبناء وبناء العلاقات القرابية[٢].

أما تنظيم الأسرة (Birth Control) الجزء المكمل لنظام الأسرة والذي يحدد بموجبه حجم الأسرة والتخطيط لها وفقاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والبيولوجية، وتشمل أيضاً علاج العقم أو ارتفاع أو انخفاض عدد المواليد وبمختلف الأساليب التي لا تتنافى مع الشرائع والقوانين[٣].

واهتم الدين الإسلامي وأدبياته، بأرقى وأقوم السبل منسجمة مع واقع وطبيعة الفكر السلوكيات الإنسانية والأخلاقية، وما نحى منحاه من المفكرين الإسلاميين من الصحابة والتابعين والأقربين، وما أغنى (الاجتهاد) في مستجدات الحياة العملية، وما حصلت من كتابات في القرون اللاحقة، ومنهم على سبيل المثال الفارابي في كتابه: (آراء أهل المدينة الفاضلة) والذي تناول فيه طبيعة المجتمع وأوجهه الإنسانية، واعتبرها على ثلاث مستويات هي العظمى والوسطى والدنيا، والبناء الاجتماعي للمدينة الفاضلة والذي شبه المجتمع بالكائن الحي فهو يتمثل

كما هو عليه في فاعلية الأعضاء المختلفة للإنسان وتفاضل بعضها على بعض وأهمية بعض على بعض، ودراسات ابن خلدون اليماني الحضرموتي الأصل والذي استقر في الأندلس ثم المغرب ومصر، هي الأخرى كان لها أثرها في أدبيات الفكر الإسلامي، وأهم مؤلفاته التي تخص علم الاجتماع مقدمته المعروفة والتي أخذت صدى واسع، على الرغم من بعض الهفوات في بعض الجوانب، وقد تناوله على أساس مفهوم (علم العمران)، والذي يحدد في كتابه بأن المجتمع وتطوره وإشكاله يتحدد في شكلين: البدو الحضر، واعتبر عمر الدولة يتحدد بثلاث أجيال والجيل بأربعين سنة ويمر بأربع مراحل وهي: البداوة، حالة الملك والتي يتحول بها الحضارة، مرحلة الترف التي ينسى الناس عهد البداوة والخشونة، وأخيراً مرحلة الاضمحلال[٤].

وجدير بنا أن نستقي مصادر الفكر الخاص بنظام الأسرة وتنظيمها من نبعها الأساسي النقي، ويمكن تحديدها بالنقاط التالية المقتضبة:

١ـ تحدد الرسالة السماوية والسنة النبوية الشريفة، من هم المحارم من غير المحارم، أي من يمكن الزواج منهم ومن لا يمكن الزواج منهم، كما ورد في الذكر الحكيم: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النساء/ ٢٢-٢٥).

٢ـ النية والاختيار: قال رسول الله ﷺ: (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني)[٥]، وحث ﷺ على الزواج بقوله: (من استطاع منكم

الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاءٌ)[٦]، وأضاف ﷺ للترغيب على الزواج بقوله: (تناكحوا تكثروا فإني أباهي الأمم يوم القيامة حتى بالسقط)[٧].

ويحذر من التشدد في التزويج، لأن ذلك يؤدي إلى عواقب وخيمة على المجتمع، لذا يقول ﷺ: (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه. إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير)[٨]، ولذا يتوجب أن لا يكون المهر عائق آخر وثقل على كاهل الذي يرغب في الزواج، وبهذا يقول ﷺ: (أبركهن أقلهن مهراً)[٩]، محفزاً به ما يجعل التآلف والمحبة، لاستيعاب هذه السنة النبيلة التي تديم الروح الإنسانية بتقويم السلوك والأخلاق بالجوانب المادية وغير المادية.

ولكن حينما لا يجد المسلم ما يعينه على الزواج فليستعفف أو يتعفف، فإن له أجراً عظيماً، حتى يجعل الله سبحانه وتعالى السبب لإيصال فضله، وهو ما جاء في قول الخالق عز وجل: (وَلْيَسْتَعْفِفْ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النور/ ٣٣).

وقد سبق سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بقوله: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (النور/ ٣٠-٣٢).

والرسول الكريم ﷺ يقول: (تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يداك)[١٠]، ويحذر ﷺ المسلم من منبت السوء، والاختيار العشوائي للزوجة دون النظر إلى صلاح أسرتها وصلاحها، حيث يقول: (إياكم وخضراء الدمن ـ فقيل ما خضراء الدمن ـ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء)[١١]، ويعلل ﷺ ذلك بأدق القول: (تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع)[١٢]، وفي رواية (دسّاس)، وكل ذلك مضامينه بيولوجية واجتماعية، وما يرثه الأبناء من الآباء من عاهات منظورة وغير منظورة، بمعنى آخر جسدية ونفسية وخلقية، ولا يقف التحذير من المرأة، بل حتى من الرجل، وأدق تفاصيل الأخلاق، حيث يقول ﷺ: (من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها)[١٣]، ويضيف ﷺ قائلاً: (النكاح رقٌّ فلينظر أحدكم أين يضع كريمته)[١٤]، لئلا تُظلم من مختلف الأبعاد الإنسانية ـ الأخلاقية ـ الاجتماعية.

٣ـ وبعد أن يتم الاستعداد والنية والاختيار، تتم مراسيم الزواج وما يتطلبها، وجلّ من قال في محكم كتابه العزيز: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ

أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم/٢١).

والتفكر قمة البناء الإنساني الذي فيه كل المودّة العقلانية الدائمة، الروحية والنفسية والجسدية، فلا يكون تماسك الفرد ذاته، وأسرته، ومن ثم المجتمع إلا من خلال البناء المعتمد على التفكر، وبهذا يتواصل استقراره ويكون امتداده الأخلاقي والحضاري، (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) (المؤمنون/ ٥-٦)، وما أروع وأدق كلمة وموقع (حافظون) في هذه الآية الكريمة، التي تنم عن مدى إنسانية وأخلاقية وقدسية الجنس في الإسلام، حينما يتم برمجته وفق أرقى ما يقوِّم سلوك الإنسان جنسياً واجتماعياً، جنسياً قوله تعالى: (لفروجهم حافظون)، واجتماعياً: (على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم)، وهذا هو المعجز في القرآن الكريم حقاً، المواكب لكل الأزمان والأمكنة والناس.

٤- ويتطلب التوازن بين زينة الحياة الدنيا الذي ورد في الآية الكريمة: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً) (الكهف/ ٤٦)، ولذا يحذر الخالق عز وجل الركون إلى جمع الأموال والسير الأعمى في استثمارها من غير هدى ومن غير ذكر الله، بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (سورة المنافقون/ ٩)، لأن الإنسان إن لم يذكر الله في شرائعه، سيتخبط بإرادته أو بغير إرادته بالحرام واغتصاب حقوق الآخرين، والإسهام في خلق الفوضى في المسيرة الاقتصادية، وتدمير المجتمع بما فيه الأسرة، وهو جانب من ذكر الله المتمثل بأصول الدين وفروعه، وهنا لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قولٌ بالغ الغاية، حيث يقول: (من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا)[١٤]، وهنا يبرز عامل التوازن من خلال التفقه في التعاليم الإسلامية المتمثلة بالفقه الاقتصادي، للاسترشاد بأقوم السبل لوضع الحقوق والواجبات في مواضعها، وآثار ذلك على استقرار الأسرة أولاً وأخيراً، ويمكن لهذا الموضوع أن تكون دراسة خاصة.

٥- وتفحص قوله صلى الله عليه وآله: (عليكم بالولود الودود)[١٥]، عامل تقويمي لعمودي بناء الأسرة المتمثل بالأب والأم، لذا من خلاله يكون استقرار الداخل الأسرية وبناؤها بأفضل السبل، وبالذات هذا القول الشامل، للقضية البيولوجية المتمثلة بالجنس والجنين والتربية الصالحة، المعبر عنها (بالولود)، (والودود) بناء الأسرة نفسياً واجتماعياً وأخلاقياً، وبناء الألفة المتناغمة القريبة من الخالق عز وجل، ومن ثم التواصل

المستقر للأسرة وتقدمها في منافذ أنشطتها الاجتماعية والاقتصادية، وبهذا يقول الرسول الأعظم ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله)[١٦]، وتفحّص (ألطفهم بأهله) وما تحمله من دقة استقرار الأسرة، في آلياته ونتائج اللطف، وأبسط تنفيذ ذلك مجازاً، من خلال الكلمة، التي هي بمثابة أواصر الرحمة الإنسانية، المتبادلة العطاء بين الزوج وزوجته وأطفالهما، وهنا جواب كيفية بناء الأسرة روحياً ونفسياً وجسدياً، بنتائج التماسك والسرور، أما إذا كان خلاف ذلك، فيكون في قوله ﷺ: و(من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون)[١٧]، وما أعظمه حينما يكون عامل أساسي في الحفاظ على الأسرة وبنائها لئلا تُهدم دواخل أفراد الأسرة الواحدة، وبه حماية الأسرة من التفكك والصراع المؤلم، وفيه أيضاً جانب إصلاحي لذات البين، وقد يكون جانب إصلاحي لتقويم سلوكيات الزوج أو الزوجة، بالانتباه إلى ما فعله ويفعله وخطأ ذلك، وإعادة النظر في تلك السلوكيات السلبية لتقويمها.

٦- ومنهاج آخر يرشدنا إليه الرسول الكريم ﷺ، لنفع الذات البشرية، وحافز لصلاح الزوجة، دنيوياً وأخروياً، يتجسد في قوله الشريف: (إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها)[١٨]، فالنفع هنا سبيله بسيط ونتائجه عظيمة على المرأة الصالحة، وعلى من يحيط بها، وتقوية أواصر الأسرة، وكم من امرأة سلكت أساليبها الرائعة، حتى غيّرت انحراف الزوج إلى قويم الرشاد، وهذا جانب رائع في طاعة الزوج، وليس الطاعة فقط على تنفيذ طلباته أو حتى أوامره، بل يتعداه إلى الإصلاح من خلال قوة الوعي والإصرار على ذلك بشتى سبل الود واللطف وما يناسب من أساليب إنسانية، وهذه تُظهر مدى قوة شخصية المرأة (الزوجة)، فكم من مقامر خمّار منحرف، أصبح من الأتقياء الصالحين بفضل الله والزوجة الصادقة مع ربها ومع ذاتها وأسرتها، وحماية البناء الأسري من الانهيار، بأسلم ما يمكن من الوصول إلى الاستقرار والتماسك بين أفراد الأسرة أو العائلة، وبهذا يقول الإمام علي عليه السلام: (أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدّكما ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام...)[١٩]، وقد تقدّم ذكر

هذا القول المبارك.

٧- ولدخول السرور في قلوب الأبناء أو الأسرة أمر ضروري، ويوضح ذلك رسولنا الكريم ﷺ بقوله: (من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم، وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرّح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار)[٢٠]، ولذا أبعاده الإنسانية المرهفة الإحساس، وماوضع الإسلام العظيم المكانة الجليلة للمرأة منذ نعومة أظفارها، وما يُليق به، لتسترد عافيتها نفسياً واجتماعياً، وشعورها بالاعتزاز والثقة بالنفس، وبناء الشخصية القوية، لمستقبل الأسرة التي تكون على رأسها مستقبلاً، ولا يخفي النبي ﷺ ما أجر الاهتمام بالبنات في الإنفاق والتربية الصالحة بقوله: (من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه، أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له)[٢١]، ومن كفارة الذنوب ما يذكره ﷺ: (إذا كثرت ذنوب العبد، ابتلاه الله بهمّ العيال ليُكفّرها عنه)[٢٢]، وكل ذلك يولد الشخصية للأب، والتماسك الأسري، وما ينعكس على التماسك الاجتماعي إيجاباً.

٨- والتفحص في دقة الإسلام من خلال قول النبي ﷺ: (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم)[٢٣].

لنرى ما هدف الإسلام من بناء الشخصية المسلمة ومكانتها حتى في أدق الأمور، هي تسمية المسلم بالأسماء الحسنة الجميلة، والحيلولة دون انكسار الشخص باسم يعيبه، ويُضعف قوة شخصيته، بهزوة الآخرين به من خلال اسمه، واستصغاره.

٩- وللحقوق والواجبات فعلهما في تكوين الأسرة، وتبادل الحقوق والواجبات بين الآباء والأبناء، وفي كل الاتجاهات وفي مختلف الأعمار، ومن ذلك برّ الوالدين، ويظهره قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (سورة الإسراء/ ٢٣-٢٤).

وتزخر الآيتين الكريمتين بفيض من نظام التنظيم الأسري وبالوجوب، ومن بين ما يتبين الأمور التالية:

أ - قَرَن الخالق عز وجل ذكر جلالته وجعل بر الوالدين والإحسان إليهما يعقب مباشرة عبادته وطاعته، بل هو جزء من عباداته وطاعاته، لما للبر من وحدة الروح الأسرية والاجتماعية وعمق الإنسانية فيها، وَرَدّ الجميل إلى من أعطى بلا حدود لأبنائه.

ب - يتوجب الرعاية الكاملة الصادقة لله دون التذمر، ودون السلوك حتى (بالأُف) الزفير المعبر عن ما يتحمل من ثقل، ويبدّله

بالود والطيب والاحترام والدفء الأسري، لأن الآباء الصالحين منهم بالخصوص، هم بركة العائلة أو الأسرة، وقد يكونون بركة وأوتاد الأرض والمجتمع.

ج - والألفة لها الوقع الحيوي من خلال الدعاء، دعاء الأبناء للآباء وطلب من الخالق عز وجل الرحمة لهما، وهذا بذاته يولّد الرقة واللطف من كلا الطرفين، الوالدين والأبناء، وتبادل الشروع الإنساني والألفة، والاندفاع نحو الخير والإنسانية للأسرة والمجتمع والدولة

■

القرآن الكريم.

(١) راجع على سبيل المثال: ويل ديورانت/ قصة الحضارة/ المجلد الأول/ ج٢/ ترجمة زكي نجيب محمود/ مطبعة لجنة التأليف/ القاهرة/ ط٣/ ١٩٦٥م. نخبة من أساتذة التاريخ/ العراق في موكب الحضارة/ ج١/ دار الحرية للطباعة/ بغداد/ ١٩٨٨م/ ص٢٠٥-٢٦٩. نخبة من الباحثين العراقيين/ حضارة العراق/ ج٢/ دار الحرية للطباعة/ بغداد/ ١٩٨٥م/ ص٦٣-١٠٧.

(٢) ورد هذا المفهوم في ضوء المفهوم الوارد في قاموس علم الاجتماع، وبصورة أدق، والمرجع: د. محمد عاطف غيث/ قاموس علم الاجتماع/ مطبعة الانتصار/ الإسكندرية/ ١٩٨٩م/ص١٨٠.

(٣) راجع: نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين/ معجم العلوم الاجتماعية/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٧٥م/ ص١٨٦-١٨٧. عماد الدين عيد/ الصحة العامة وبرامجها/ المطبعة العصرية/ الإسكندرية/ ١٩٨٣م/ص١٧٣.

(٤) ابن خلدون/ مقدمة ابن خلدون/ دار العودة/ بيروت/ ١٩٨١م/ وبالتحديد ص١٣٤-١٣٥. وراجع أيضاً: د. عبد الهادي الجوهري/ أصول علم الاجتماع/ المطبعة التجارية الحديثة/ ١٩٨٦م/ ص١٦٠. د. محمد سعيد فرج/ ما... علم الاجتماع/ رمضان وأولاده للطباعة والنشر/ ١٩٨٧م/ ص١٧٢-١٧٦. د. أحمد كمال أحمد/ قراءات في علم الاجتماع/ مطابع الدجوي/ القاهرة/ ١٩٧٧م/ ص٥-٦. هاشم حسين ناصر المحنك/ النظام الأسري بين التراث والمعاصرة (مع دراسة ميدانية لمحافظة النجف الأشرف/ بحث اشترك في مؤتمر الأمومة المأمونة/ أقامته جمعية تنظيم الأسرة العراقية بالتعاون مع الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسيف والمكتب الإقليمي لتنظيم الأسرة للوطن العربي... وجهات أخر/ بغداد/ ٦-٨/ كانون الأول/ ١٩٩٤م.

(٥) الغزالي/ إحياء علوم الدين/ ج٤/ دار الشعب/ القاهرة/ ص٦٨٣.

(٦) المصدر السابق/ص٦٨٤.

(٧) المصدر السابق/ص٦٨٤.

(٨) المصدر السابق/ص٦٨٤.

(٩) المصدر السابق/ص٧١٧.

(١٠) المصدر السابق/ص٧١٢.

(١١) المصدر السابق/ص٧١٨.

(١٢) المصدر السابق/ص٧١٨.

(١٣) المصدر السابق/ص٧١٩.

(١٤) المصدر السابق/ص٧١٩.

(١٤) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام/ نهج البلاغة/ ضبط النص والفهارس/ د. صبحي الصالح/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت/ ط١/ ١٩٦٧م/ ص٥٥٥.

(١٥) الغزالي/ المصدر السابق/ ص٧١٧.

(١٦) المصدر السابق/ص٧٢٣.

(١٧) المصدر السابق/ص٧٢١.

(١٨) المصدر السابق/ص٧٤٦.

(١٩) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام/ المصدر السابق/ ص٤٢١.

(٢٠) الغزالي/ المصدر السابق/ ص٧٤٠.

(٢١) المصدر السابق/ص٧٠٢.

(٢٢) المصدر السابق/ص٧٠١-٧٠٢.

(٢٣) المصدر السابق/ص٧٤١.

التتمة في العدد القادم

الكلم المحظور (المحرم)

Taboo Words

• د. علي كاطع خلف
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع كثيرة هي المفاهيم التي نتعامل معها في حياتنا اليومية ولا نقف عندها لنتأمل فيها ونستطلع حقيقة مصدرها وروافدها، وإنما نأخذها بوصفها مُسلَّمات لا تحتاج إلى نقاش أو تدبر، ولا نتساءل من أين جاءت هذه المفاهيم أهي إسلامية؟ أم أنها نتاج المجتمع المحلي بكل ما فيه من حسنات أو سيئات أو بعبارة أخرى نتاج العادات والأعراف؟ أم أنها غربية الوجه واليد واللسان على حد تعبير أبي الطيب المتنبي.

إنَّ الانفصال الذي نشهده اليوم بين القرآن والمجتمع أو بتعبير آخر بين (النظرية والتطبيق) ليس مرده إلى عدم الرغبة لدى الأفراد أو المجتمع في تطبيق تلك الأحكام المحددة من لدن الشارع المقدس أو عدم الاعتقاد أو ضعف في الإرادة لدى أولئك الأفراد فحسب، وإنما مرده أيضاً إلى ذوبان كثير من المفاهيم الإسلامية في مفاهيم غريبة عن المجتمع الإسلامي، ومن ثم اضمحلالها مع مرور الوقت، فلم يتبقى منها سوى التسمية العربية فتصبح كأنها خاصة بالمجتمع العربي الإسلامي ونابعة منه.

ومن هذه المفاهيم ما يمكن أنْ يدرج تحت عنوان واحد هو الكلام المحظور (المحرم)(Taboo words)، فما الكلام المحظور؟

يعرفه معجم أكسفورد بأنه (الكلمات التي يعدها كثير من الناس مؤذية أو مثيرة للاشمئزاز، على سبيل المثال لأنها تشير إلى الجنس أو الجسد أو عِرق الناس (People s race). ولكن ما سمات هذه الكلمات المؤذية أو المثيرة للاشمئزاز وكيف يمكن أن نميزها والناس تشبِّه وتستعير وتكنِّي، واللغات متعددة والثقافات متباينة والأذواق مختلفة والأخلاق شتى، وكل هذه العوامل تدخل بوصفها مؤثرات واضحة في الكلام والأساليب التي يتعامل بها الناس وإحساسهم بالألفاظ التي يستعملونها في المقامات والأحوال المختلفة.

لاشك أنَّ كل هذه العوامل يمكن أنْ تدرج تحت عنوان الثقافة وتأثيرها فيما يتعلق بموضوعنا هذا. ولكن ماذا يقصد بالثقافة؟ لكي نعرف هل أن الثقافة يمكن أن تكون جامعة لكل هذه العوامل ومؤثرة فيها بفعالية لكي نصل في خاتمة المطاف إلى معرفة الركائز التي يستند عليها الكلم المحظور ومن ثم بحث الطرائق والأساليب المؤدية إلى التحكم بتلك الركائز والسيطرة عليها.

تعرف المعاجم، عموماً، الثقافة بأنها (الأعراف أو التقاليد والمعتقدات والفن وطريقة الحياة والتنظيم الاجتماعي لبلد معين أو مجموعة ما. مثل الثقافة الأوربية أو الثقافة الإسلامية). ومادامت هذه المعاجم، وهي هنا غربية، تذكر مثلاً للثقافة بالثقافة الإسلامية فمعنى ذلك أنَّ واقع الحال فيما يخص (عناصر الثقافة)، الأعراف والتقاليد والمعتقدات والفن وطريقة الحياة والنظم الاجتماعية في البلاد الإسلامية. يجب أن تكون خاضعة للمفاهيم الإسلامية ومنظوراً إليها على وفق تلك المفاهيم وليس من خلال مفاهيم غربية ودخيلة أو مهجنة.

يصنف علماء اللغة عادة الكلمات المحظورة بحسب الموضوعات التي تقع فيها ومن أهم هذه الموضوعات:

١ـ النسل والتناسل.

٢- أجزاء الجسد.
٣- الخرافات والأساطير والجن والعفاريت والشياطين.
٤- موضوع الموت.

ولا يخفى أن من هذه الموضوعات ما تكاد تجمع عليه معظم المجتمعات المتحضرة في كراهة ذكر الألفاظ المتعلقة به والاستعاضة عنها بألفاظ غير مباشرة مثل أعضاء الجسد أو موضوع النسل والتناسل بما فيها المجتمع الإسلامي بطبيعة الحال على سبيل المثال ما نجده في القرآن الكريم حول قصة آدم وحواء عليهما السلام وخروجهما من الجنة (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) الأعراف:٢٧، وقوله سبحانه: (فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به) الأعراف:١٨٩، وقوله تقدست أسماؤه على لسان مريم عليها السلام: (قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) مريم:٢٠، وكذلك الأمر مع الثقافة الغربية فإنها تتفق في هذا الصدد (إلى حد ما) مع الثقافة الإسلامية في كراهة التصريح بمثل تلك الألفاظ، فعلى سبيل المثال يستعمل البريطانيون كلمات مثل (cock:ديك) و(ass:حمار) ولا يستعملها الأمريكان لإيحاءاتها الجنسية لديهم، بل يستعملون مكانها (rooster) و(donkey) وغير هذه الأمثلة كثير.

ولكن هناك موضوعات لا تتفق فيها الثقافة الإسلامية مع غيرها من الثقافات بل تتفرد بمفاهيمها الخاصة. وأهم هذه الموضوعات على الإطلاق هو موضوع (الموت)، والحقيقة إن الذي حملني على الكتابة في هذا الموضوع هو إني كنت ألقي محاضرة على طلبة الدراسات العليا وجاء ذكر الموت عرضاً فإذا بأحد الطلاب قد اضطرب وارتبك وتفوه بكلمات لم أسمعها، ولما سألته عن أمره قال بأن الموت يكدر أو يكره ذكره.

فسبحان الذي كل شيء هالك إلاّ وجهه!

أين الثقافة الإسلامية وهذا طالب دراسات عليا فأين الثقافة الإسلامية. أليس لها منظورها الخاص بالموت أم أن مفاهيم الجهل والجاهلية قد طغت عليها.

من المؤكد إن للإسلام منظوره الخاص الذي يختلف تمام الاختلاف عما سواه، فإذا كنا نجد في المعاجم الغربية ما نصه: Death is one of the great taboos of our culture (الموت هو واحد من أعظم المحظورات في ثقافتنا) وأشدد هنا على قوله ثقافتنا، أي الثقافة الغربية وليس الإسلامية.

فان الموت في الإسلام له شأن آخر سواء في القرآن الكريم أم في أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام.

إذ يرد ذكر الموت في القرآن الكريم في ما يقرب من مائة وتسع وخمسين آية منها بحدود مائة وثمان عشرة آية تتعلق بموت الإنسان فحسب وإذا علمنا أن آيات الصلاة والزكاة والحج أقل بكثير من هذا العدد جاز لنا أنْ نتساءل: ماذا يعني هذا الذكر للموت والتشديد عليه؟

إن أول ما يتبادر إلى الأذهان هو أننا يجب أن لا ننسى تلك الحقيقة (الموت)

لأن نسيانه يؤدي إلى الاغترار بالدنيا ونسيان الآخرة وعدم التزود لها (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) البقرة:١٩٧، (والله يدعو إلى دار السلام) يونس:٢٥، وليس إلى هذه الدنيا المليئة بالمنغصات والآلام التي يحذر الله سبحانه وتعالى من الركون إليها (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يونس:٧-٨.

(فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) لقمان:٣٣.

والآيات الكريمة كثيرة والمعاني عميقة ومتشعبة تفيض بها كتب التفاسير يقول سبحانه في شأن نعمه على أنبيائه وعباده المخلصين: (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) ص:٤٦، أي أن ذكرى الدار لم تكتب إلاّ لأولئك المصطفين الأخيار ليعملوا لها وليسعوا لها سعيها لأن الإنسان إذا نسي توقف ولم يعمل فهل يجوز بعد هذا للإنسان العاقل أن ينسى الموت؟

(قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون إنما يتذكر أولو الألباب) الزمر:٩.

أما الذين لا عقل لهم (فذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعملون) الحجر:٣.

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) هود:١٥-١٦.

أما الموت في أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فلم يكن بأقل من ذكر القرآن الكريم، كيف لا والقرآن يذكر سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر:٣٠، فكان صلى الله عليه وآله، يقول: (اذكروا هادم اللذات، قيل وما هو يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: الموت، ما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة، إلا اتسعت عليه)، وكذلك من كلماته القصار صلى الله عليه وآله: (عجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت) و(تحفة المؤمن الموت).

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (وأوصيكم بذكر الموت، وإقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم فيمن ليس يمهلكم؟! فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم وحُملوا إلى قبورهم غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين، كأنهم لم يكونوا للدنيا عمّاراً وكأن الآخرة لم تزل لهم داراً... أنسوا بالدنيا فغرتهم، ووثقوا بها فصرعتهم، فسابقوا - رحمكم الله - إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها والتي رُغِّبتم فيها وَدُعيتم إليها).

ويقول عليه السلام موصياً الحسن السبط عليه السلام: (يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك وشددت له أزرك ولا يأتيك بغتة فيبهرك).

وكما كان وليد الكعبة وربيب الرسالة ومولى المؤمنين علي عليه السلام خير تلميذ للمدرسة المحمدية آخذاً ما آتاه الرسول صلى الله عليه وآله ومنتهياً عما نهى عنه، كان سبط النبوة وسيد شباب أهل الجنة الحسن الزكي عليه السلام خير تلميذ لتلك المدرسة الإلهية، وكيف لا، وهو من تلك

الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) إبراهيم:٢٥.

يقول عليه السلام في خطبة له: (اتقوا الله، عباد الله، وجدّوا في الطلب وبادروا العمل قبل مقطعات النقمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجيعها، ولا تتوقى في مساويها).

أما سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فان كلمته في واقعة كربلاء مايزال يتردد صداها في سماء الأحرار وسيظل إلى يوم القيامة (لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما).

وهل كلمته هذه سوى من كلم جده صلى الله عليه وآله: (تحفة المؤمن الموت).

يقول زين العابدين عليه السلام محذراً ابن آدم من الغفلة والركون إلى الحياة الدنيا والاطمئنان لها: (ابن آدم! انك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك شعاراً والحذر لك دثاراً، ابن آدم! إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جل وعز، فأعدله جواباً).

وإذا كان السجاد عليه السلام يوجه خطابه السابق إلى بني آدم عامة فانه سلام الله عليه لم ينس نفسه فيسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل الموت نصب عينيه، يقول: (اللهم صل على محمد وآله... وانصب الموت بين أيدينا نصباً، ولا تجعل ذكرنا له غباً واجعل لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطئ معه المصير إليك، ونحرص على وشك اللحاق بك، حتى يكون الموت مأنسنا الذي نأنس به، ومألفنا الذي نشتاق إليه، وحامّتنا التي نحب الدنو منها، فإذا أوردته علينا وأنزلته بنا فأسعدنا به زائراً، وآنسنا به قادماً، ولا تشقنا بضيافته، ولا تحزنا بزيارته، واجعله من أبواب مغفرتك، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك، أمتنا مهتدين غير ضالين).

بل إنه عليه السلام يجعل مراقبة الموت عاملاً من عوامل معرفة الدنيا وسلوك سبيل الرشد فيها والنجاة من فتنتها، يقول عليه السلام: (فليس يعرف تصرف أيامها وتقلب حالاتها وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله ونهج سبيل الرشد وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر واتعظ بالعبر وازدجر، فزهد في عاجل بهجة الدنيا وتجافى عن لذّاتها ورغب في نعيم الآخرة وسعى لها سعيها وراقب الموت).

أما باقر العلم عليه السلام فانه يضع المؤمن في مواجهة مباشرة مع تلك الحقيقة ثم يوجهه إلى سبل التعامل معها، يقول عليه السلام: (أتاك يا ابن آدم ما لا تردّه، وذهب عنك ما لا يعود، فلا تعدن عيشاً منصرفا ما لك منه إلا لذة تزدلف بك إلى حمامك وتقربك من أجلك؟ فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والسواد المختترم فعليك بذات نفسك ودع ما سواها، واستعن بالله يعنك).

أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فيجعل من مراقبة الموت خطوة من خطوات الوصول إلى مجاورة الله سبحانه وتعالى، يقول موصياً أحداً أصحابه: (إنْ أحببت أنْ تجاور الجليل في داره وتسكن الفردوس في جواره فلتهن عليك الدنيا، واجعل الموت نصب عينيك ولا تدخر شيئاً لغد، واعلم أن لك ما تقدّمت وعليك ما أخرت).

وكذلك لك الأمر مع الإمام موسى الكاظم عليه السلام إذ يدعو بالرحمة لمن ذكر الموت فأحسن العمل، ويوصي عليه السلام أحد أصحابه فيقول: (رحم الله من استحيا من الله حق الحياء فحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أنّ الجنة محفوفة بالمكارة، والنار محفوفة بالشهوات).

ويجعل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من نفسه ومن تلك الكلمات النورانية مثالاً حياً إذ يقول عليه وقد سئل كيف أصبحت: (أصبحت بأجل منقوص وعمل محفوظ، والموت في رقابنا، والنار من ورائنا، ولا ندري ما يفعل بنا).

ويقول الإمام علي الهادي عليه السلام موصياً شيعته: (أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله... أكثروا ذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فان للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله عشر حسنات. احفظوا ما أوصيتكم به واستودعكم الله واقرأ عليكم السلام).

أما الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيقول: (إنكم في آجال منقوصة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة، من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة لكل زارع ما زرع).

لاشك أن كلمات أهل البيت عليهم السلام تلك في أمر الموت تبين فيما تبين أن أهل بيت العصمة والرسالة يغترفون من معين واحد ويقبسون نورهم من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، ذرية بعضها من بعض فهم مع الذين أخلصهم الله سبحانه وتعالى بخالصة ذكرى الدار مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً الأمر الذي نجدهم عليهم السلام لا يفترون عن تذكير المؤمنين بضرورة جعل الموت نصب العين وعدم الغفلة عنه.

لذا أصبح واضحاً ما يميز الثقافة الإسلامية من سواها من الثقافات في موضوع (الموت)، فإذا كانت الثقافة الغربية وغيرها تكره ذكر الموت وتعده واحداً من أكبر المحظورات فإن الثقافة الإسلامية تشدد على ذكره بل عدم نسيانه أبداً. ليس من أجل إفساد اللحظات (السعيدة) سعادة زائفة لا دوام لها، ولكن من أجل تذكيره، أن لا بقاء لشيء في هذه الحياة الدنيا فلا يغر أو يخدع ولكي لا ينسى الحياة الأبدية: (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) الأعراف:٥١.

بل عليه أن يتذكر أن فرحه يجب أن يكون في إنجازه العمل الصالح والسبق إليه (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) تبارك:٢، وان السعادة والفرح في رضوان الله سبحانه وتعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يونس:٥٨ ■

إشكالية
نظرية المعرفة في الإسلام

• د. عامر عبد زيد
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

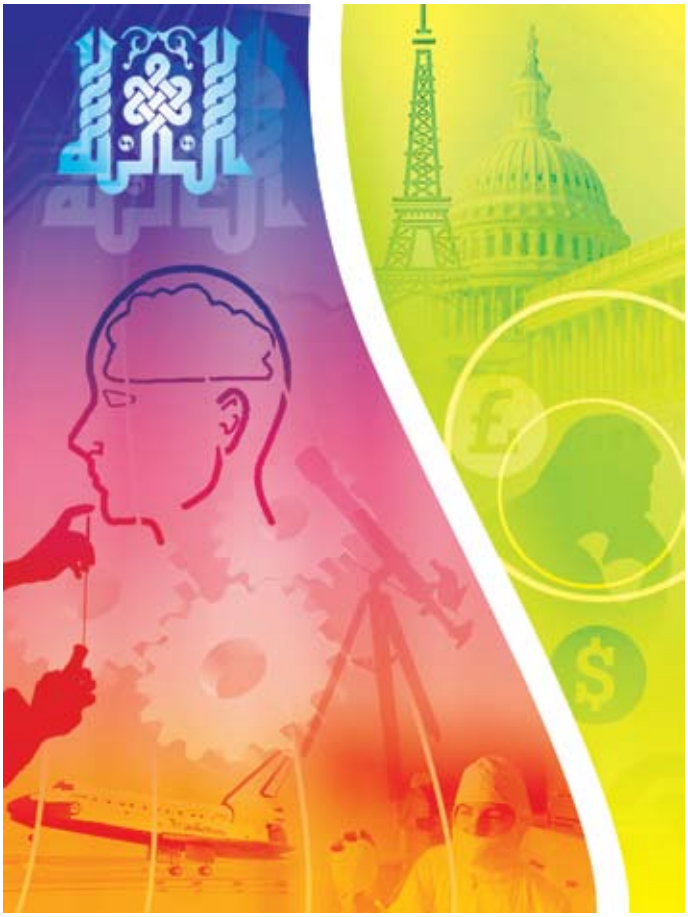

ينابيع إن احد التوصيفات التي قدمت لهذا المفهوم على أنها عملية اجتهادية فيما يتعلق بالتراث الإسلامي ومصادره وعملية إبداعية في تعاملها مع الاجتماعية والإنسانية، إذ أن الاجتهاد المعاصر لابد أن يؤسس على إدراك معرفي وتحليل منهجي ووعي تام بهذين المجالين: العلوم والمعارف الإسلامية المتوارثة- التي تولدت من رحم الفقه- والعلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة- التي ولدت من رحم الفلسفة- وبدون استيعاب هذين المجالين استيعابا تاما لن يمكن تحقيق اجتهاد إسلامي معاصر قادر على تحقيق الافلاح والسهود الحضاري لهذه الأمة.

إن المراد هنا هو عملية

جمع بين العلوم الفقهية بأطرها الابستمولوجية والتصورات المعاصرة للعلوم الإسلامية والطبيعية وفق تصورها المعاصر، وذلك لان الحكم الفقهي لا يمكن ربطه بالفقهية فحسب لان الحكم الفقهي يعني الوراثة في مجال الإنسان من الناحية النفسية والاجتماعية من جهة والى إدراك الطبيعة فلكا وفيزياء من ناحية أخرى وبهذا يمكن ان يكون الحكم أقرب إلى النص وأكثر حداثة في مراعاة الظرف المراد أن يعالجه وهذا يعني أمرين: خصوصية الموقف الإسلامي من جهة والحاجة إلى الأخذ بالتطورات المعاصرة لسد حاجة الإسلام، أي كيف يمكن بناء معرفة إسلامية تنتمي إلى ذات الأرضية الابستمولوجية من جهة ومن جهة أخرى تحيط بكل التقنيات المعاصرة دون ان تفيد نفسها بالأطر الإيديولوجية العلمانية التي تشكل الحاضنة المعاصرة للعلم، أي القول بين العلم والإيديولوجية ثم وصل هذا العلم بالإيديولوجية الإيمانية الإسلامية من جهة أخرى (احتياجات هذه القضية إلى بناء نظامها المعرفي بشكل كامل شامل للنموذج المعرفي والنظرية المعرفية، ورؤيتها في مصادر المعرفة وتاريخها وتصنيفها ومناهج النقد المعرفي، ثم كيفيات التولد المعرفي، وكذلك بناء المنهج العلمي للتعامل مع الظواهر الاجتماعية والظاهرة الفقهية، وسائر الظواهر الأخرى، وإخراج الفلسفة المعاصرة من مرحلة النهايات التي قادها إليها الفكر الغربي الحديث) إلى الخروج من ثنائية الإنسان. الطبيعة إلى تصور أشمل في بعد ثلاثي الله (الغيب) الطبيعة والإنسان المستخلف على هذه الأرض واخراج الأمر من طور الهيمنة إلى الأعمار. (فلابد من إعادة توظيف هذه العوم ضمن ناظم منهجي توحيدي، ونموذج بعيد عن الموضوعية، كاشف عن الغايات الإلهية في الوجود والحركة، لتأخذ هذه العلوم امتدادها الكوني. وهذا يعني الأمور التالية:

أولاً: الاسترجاع النقدي لذلك التراث وقرائته قراءة معرفية.

ثانياً: تمحيص نماذجه المعرفية على هدى الأصول- وهي الكتاب الكريم منشأ للتصور عقيدة، والأحكام وتطبيقاته النبوية (التي شكلت هدى ولحمة السنة). باعتبارها المصدر المبين على سبيل الإلزام.

ثالثاً: تحقيق التواصل والاتصال بذلك التراث وتجاوز فترات الانقطاع بعد استيعابها.

رابعاً: التمييز بين الثابت والمتحول فيه. ليتبين ما ينبغي استصحابه عبر الزمان والمكان مما هو ليس بخاص ولا موضعي من ذلك التراث وإخراج الخاص والموضعي منه وتجاوزه بعد استيعابه واستخلاص العبر واخذ الدروس منه.

إنه يعني إعادة بناء المعارف الإسلامية والعمل على تجاوز الرهان التراث عبر إعادة الفحص بالعودة إلى الثوابت في الأصول من جهة والحل من جهة أخرى على تجاوز التداخل بين الثابت والمتحول وصولاً إلى ربط هذا التراث بالحاجات حتى أفق الواقعة والاستعانة بالعلوم المعاصرة من جهة والثقافة لكن مع إدراك الارتهان الإيديولوجي الغربي لتلك العلوم.

هذا يعني تقريب العلوم من مركزية الشريعة التي

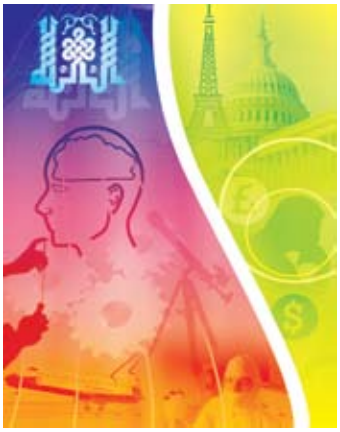

شكل المركز أي جعل العلوم في خدمة الثقافة الإسلامية، ولا يعني سحب الثقافة الإسلامية لتكون خاضع لمنطق علماني.

ذلك ان الإسلام لا يعني فقط الجانب التشريعي بل انه يقدم تصور شامل للكون (إذا أردنا أن نلفت الانتباه إلى ذلك تجد ان آيات القران التي تبلغ فوق الستة آلاف ومئتي آية لا يتجاوز عدد الآيات المتعلقة بالتشريع منها خمسمائة على أقصى تقدير وفي رأي البعض مائتا آية)، وعلى هذا يؤكد المضمون باسملة على الجمع بين الوحي كمصدر وبين المصادر العلمية البشرية الأخرى.

إلا ان مفهوم اسلمة المعرفة ليس مستقر بشكل واضح ولعل المدلولات تعود إلى لهذا الدال فهي (فالبعض عبّر بالأسلمة كترجمة للغة الإنكليزية lslamization والبعض عبر بالاسلمة المعرفة هي ترجمة lslamism وواضح من منحى الكلمتين ان الإسلامية lspitalis تعبر عن حالة ثابتة يصل إليها الموضوع بحيث يصبح مذهبا كما تقول apitalism أما التعبير بالاسلمة فهو تعبير يدل على الحركة على محاولة تغيير شيء من وضع إلى وضع آخر ومن هنا كان البعض يفضل اسلمة على الكلمة إسلامية والبعض رفض التعبيرين واتجه إلى استعمال كلمة التأصيل الإسلامي من العلوم والتوجيه الإسلامي للعلوم.

المهام التي تناولتها التجارب في اسلمة المعارفة هي الآتية:

المسألة الأولى: وضع الجهد العلمي العربي ضمن تاريخ العلوم حيث تم تغيب هذا الجهد من تاريخ العلم من قبل تاريخ الغربي الذي تهيمن عليه المركزية الغربية (لأننا نتبع أسلوب والمفهوم الغربيان في تطور هذه العلوم ستتجاهل تماماً المرحلة الإسلامية التي امتدت أربعة عشر قرناً حتى الآن والتي كانت تمثل فترة مضيئة من تاريخ الإنسانية). وهذا يعني إدخال تلك العلوم والتعامل معها كجزء من تاريخ المعرفة العلمية.

المسألة الثانية: محاولة إيجاد فصل بين التصور الإيديولوجي والعلوم حيث تهيمن على تاريخ العلوم المفاهيم الإيديولوجية الغربية من المذهب المادي والعلمانية وكلها تدخل في تاريخ العلوم تشيع العدمية والنتيجة (إن الطالب يتلقى معلومات ونظريات تتعارض مع ما وفر من قلبه من منطلق عقيدي، وهنا تحتاج المسألة إلى عناية الأستاذ بين يجمع بين معلومتين بشكل منسق حتى يخرج الطالب من هذا الازدواج أو هذا التناقض الذي يوجد فيه.

تجذير مفهوم نظرية المعرفة: ان الحديث عن نظرية المعرفة يعني الحديث عن مفهموم له انتماء تداولي وتاريخ معرفي؛ بمعنى ان نظرية المعرفة بوصفها مفهوم ينتمي إلى الحقل التداولي الغربي وعلى وجه الخصوص الفلسفة الحديثة ابتأ بالقطيعة الذي أحدثها الفكر الغربي مع أفكار العصور الوسطى

على الصعيد الإيديولوجي والابستمولوجي حيث بين الفلسفة المسيحية والوسيطة والفلسفة الحديثة قطيعة ابستولوجية ولكن لابد من وجود فاصل بين (هذا) و (لا) يعني غياب التواصل والتطور المتصل. فان القديم (الفكر الوسيط) لم يغيب تأثيره وهذا واضح في الخطاب العقلي والخطاب التجريبي معا ورغم ذلك فان القطيعة واضحة المعالم في بعدين الحقل المعرفي والمضمون الإيديولوجي، وهذا ما يدخل ضمن وحدة إشكالية تتمثل في مضمونة من العلاقات التي تنسجها داخل فكر معين مشاكل عديدة مترابطة فمن هنا إشكالية نظرية المعرفة في الفكر الغربي الحديث إلى الآتي:

الحقل المعرفي: أي الجهاز التفكيري من مفاهيم وتصورات ومنطلقات منضوية تحت منهج ورؤية حيث هيمن المنهج الذي يعتمد العقل والتجربة مقياس لليقين في ظل رؤية ذات بعد مادي تراجع في أكمل صورة مع (أوجست كونت، أما المضمون الإيديولوجي أي الوظيفة الإيديولوجية: السياسية والاجتماعية في ظل هيمنة سلطة الدولة وتوجهها العلمي الذي يحاول تأسيس إلى انفصال تام عن السلطة الكنيسة وافقها اللاهوتي في ظل تصور جديد كان للتوجه الليبرالي الذي يتخذ من الفرد مصدر اهتمام أول في ظل مجتمع يصنع تاريخه بعيدا عن التعالي الميتافيزيقي أسلمت نظرية المعرفة: إن النقل الميكانيكي للمفهوم من حقل معرفي (الثقافة الغربية الحديثة) إلى (الثقافة الإسلامية) عمل غير مشروع من ناحية المعرفية لأنه يطوع الموضوع (الثقافة الإسلامية) لصالح المفهوم نظرية المعرفة، وبالتالي يؤدي إلى تشويه الواقع، وهذا ما نجد في كثير من القراءات العربية المعاصرة التي لا نفصل بين الجذور فان النقل الذي يتعرض له المفهوم يجب أن يكون خاضعا إلى تبيئة المفهوم أي ربط المفهوم بحقل منقول إليه رابطة عضوية عبر جدلية إطلاع على مرجعيته الأصلية وهذا يعني أيضاً كشف الإطار الإيديولوجي وهو تصور وليد السلطة السياسية والثقافية وليست ملزمة بطبيعة الحال إلى ثقافة المنقول لها بل التبيئة تجعل قادرة على أن يعيش ضمن الفضاء الجديد. بحيث لا تبدو استعارة منحازة سلفا بل لا بد وان تتفق والموضوع المدروس.

نظرية المعرفة الغربية: تنطلق من اتساقها بواقعها الثقافي الغربي فهي حضارية ارتبطت بسياق حضاري وليد رؤية للكون ومنهج ينطلق من ثوابت تلك الرؤية فالفكر الغربي بإطاره المثالي العقلي والفرنسي وامتداده وليد واقع إقطاعي ونظام ملاكي بالمقابل فان المنهج التجريبي الإنكليزي امتداداته وليدة الواقع الليبرالي ونظامه الملكي المقيد بسلطة القانون واندماج الاثنان بالرؤية النقدية الطانطية وهي تعكس التداخل الواقعين وتحاول أن تجد خيار مشترك يشكل بشكل عام محاولة جديدة إلى تأسيس أفق جديد لتفكير داخل أفق الإنسان، فالمعارف القائمة على أساس التجربة مقيدة بقواعد العقل وكل ما هو خارج التجربة ميتافيزيقيا غير مجدية إلا في نطاق الأخلاق. بمعنى أن التجربة

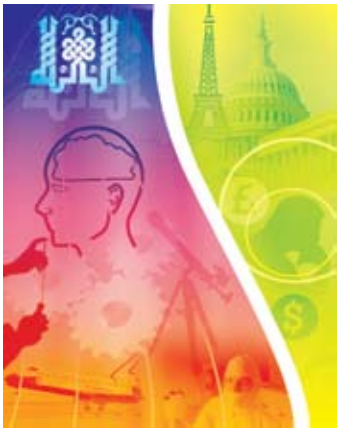

الليبرالية تتخذ من الإنسان العالم ومركز لهذا العالم بكل أبعاده فهذه الفكرة (نظرية المعرفة) جزء من تاريخ آخر الغربي وتشكل جزء من مستوى ما وصل إليه من معرفة علمية مرتبطة بالإطار الإيديولوجي الذي يوجه تلك المعرفة التي جعلت من الإنسان مركز جديد للاهتمام وأقصت الميتافيزيقا منه.

فالإنسان بما يملكه من معلومات تجريبية وعقلية منظمة للتجربة يشكل الكون على غرار ما يدرك من ذلك العالم أنها بهذه قطيعة ابستمولوجية وإيديولوجية مع العالم الوسيط.

بالمقابل فان نظرية المعرفة هي وليدة ذلك الفضاء الوسيط الذي يجعل من الكون مسير بغاية كونية هي الله وهي الإنسان مستخلف على هذا الكون فاعل حر مريد مقيد بدستور هو القران كلام الله داخل التاريخ الهادي. وهذا الأمر يجعلنا إزاء أمرين:

الأول: عقائدي إذ نحن إزاء ثنائية خالق/ مخلوق وهذه الثنائية مستبعدة في التصور الغربي لكونها ميتافيزيقية خارج نطاق التجربة، لكنها بهذا لا تخرج عن حيز الإلزام العقائدي لان التجربة أمام خيارين الأول كونها محدودة متطورة بنطاق إطلاع الإنسان وإمكانياته التي تنمو وتتطور مع مرور الزمن فما يبدو اليوم مجهول قد يبدو معلوم والمعرفة بهذا المقياس نسبية أما النطاق الآخر للتجربه كونها أيضا علما خادما يخدم العقيدة ولا يعني انه يشكل العقيدة فالعلم يقدم خدمات اجتماعية ولا يعني ارتباطه بالطرح المادي الذي ظهرت داخله التجربة وبالتالي العلاقة بيت الخالق والمخلوق تعني انتماء عقائدي إيديولوجي رؤية الكون، العلم ينمي ويخدم تلك الرؤية ولا يلزم إلغاءها، فالله الخالق لا متناهي أما الإنسان ومعرفته متناهية وهي نسبية.

الثاني: معرفية إذ نحن إزاء مصادر للمعرفة متباينة في الوقت الذي تمركزت نظرية حول التجربة والعقل متخذة من الإنسان المرجع الأول لها بالنسبة للفكر الغربي نحن نجدها مختلفة إسلاميا حيث هناك مصادر للمعرفة متباينة يشكل (الله) المركز الأول والإنسان امتداد فهو خليفة وليس مركز وعلى هذا كانت مصادر المعرفة متباينة منها:

الوحي: وهو الكلام الإلهي الذي يشكل الأساس الذي يكون للغيب دور في التاريخ فكلام الله يشكل حضور داخل التاريخ منفتح على إدراك الإنسان له بما يتعلق بالمعرفة إذ للإنسان دور كبير أن ينطلق من الثوابت إلى اكتشاف ما في الكون من أدلة في إثبات الله وافق الإنسان اللامتناهي داخل العقل والتجربة وهي مستويات المعرفة الإنسانية التي يعتمدها الإنسان في اكتشاف ما يحيط به من مخلوقات لهدفين،

الأول: ميتافيزيقي أدلة

في إثبات الله اعتمدها المتكلمين والفلاسفة في إثبات الله.

والثاني: علمي خدمي وهي العلوم التي اعتمدها علماء الكلام في الطب والفلك فهي علوم خدمية هدفها الاكتشاف والأعمار تؤطرها فكرة التوحيد.

الحدس والتجربة الصوفية: وهي التجربة يوجهها العرفان والتصوف فهي تعتمد الحدس كوسيلة أعلى للحصول على المعرفة وهذا لا يحصل دون مركزية الله باعتباره النور الذي يشرق على العباد.

من هذا لا فالمعرفة في الإسلام تعتمد هذه المصادر وبهذا نستطيع أن نحدد الآتي:

١- الحقل المعرفي: وهو حقل مختلف عن التصور الغربي الذي يعد الفرد المركز والعالم هو الموضوع الذي يتشكل ليست الإدراك لدى الإنسان. بل إن المركز الأول هو الله وهو نور الحقيقة ومركزها فيها الإنسان هو الخليفة وموضوعة كل شيء بحسب قدرته التي تنمو بسبب ما أعطاء الله من إمكانيات وأنار بها عقله وقلبه. فالحرية إلى جانب الفعل إلى جانب العقل إلى جانب الإلهام وسائط ومراكز اتصال بالله من جهة ولا عالم المادي من جهة ثانية، أي أنه لا يقصر علمه على العالم الدنيوي بل يشمل علمه الله والعالم الأخروي لما لهذا من ارتباط بالإيمان الذي ينتج عن العقيدة.

٢- الوظيفة الإيديولوجية إيمانية تقوم على توحيد والنبوة والآخرة حيث نلمس في هذا ترابط بين الدنيوي والمقدس ترابط لا فكاك بينهما فيما الثقافة الغربية ثقافة يهيمن عليها الأفق المادي وقد ظهر في أكمل حال مع (أوجست كونت) ونقده وتحويله الدين كمستوى أول للمعرفة. في الوقت الذي يبدو هذا الكلام في ذلك الوقت عقلاني علمي اليوم يغدو مجرد وهم في نقد ما بعد الحداثة الذي يوغل في العدمية ■

أربع خصال

قال ابن المبارك: قلت لمجوسي: ألا تؤمن؟ قال: لا. قلت : لم؟ قال: لأن في المؤمنين أربع خصال لا أحبها: يقولون بالقول ولا يأتون بالعمل. قلت: وما هو؟ قال: يقولون جميعاً: إن فقراء أمة محمد صلى الله عليه وآله يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام، وما أرى أحداً منهم يطلب الفقر، ولكن يفرّ منه. ويقولون: إن المريض يكفر عنه الخطايا، وما أرى أحداً منهم يطلب المرض، ولكن يشكو ويفر منه. ويزعمون أن الله رازق العباد ولا يستريحون بالليل والنهار من طلب الرزق، ويزعمون أن الموت حق وعدل، وإن مات أحد منهم يبلغ صياحهم إلى السماء.

وروي أن مناظرة هذا المجوسي كانت مع أبي عبد الله عليه السلام وأنه توفي على الإسلام على يديه.

كتاب الدعوات ص:١٦٥

البصمة..
بين الإعجاز والتحدي

• م. م. نبيل سليم تويج
كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع إن العلم يتقدم تقدماً مذهلاً في السنوات الحالية، حتى يمكن أن يُقال (إنه تقدم في ربع القرن الحالي بما يعادل تقدم البشرية في تاريخها الطويل كله). وفي مجال الوراثة... تقدم هذا العلم تقدماً يثير الإعجاب، وتبنى عليه الآمال الكثيرة في مستقبل الإنسان. إنها - الوراثة - عالم قريب من عالم الأسرار والألغاز.

ما هو الـ (DNA)؟

هي المادة الوراثية الموجودة في خلايا جميع الكائنات الحية، وهي التي تجعلك مختلفاً، إنها الشفرة التي تقول لك جسم من أجسامنا: ماذا يكون؟ وماذا ستفعل

عشرة ترليونات (مليون مليون) من الخلايا؟

وطبقاً لما ذكره العالمان (واطسون) و(جريح) في عام ١٩٥٣م فإن جزيء الحامض النووي (DNA) يتكون من شريطين يلتفان حول بعضهما على هيئة سلم حلزوني، ويحتوي الجزيء على متتابعات من الفوسفات والسكر، ودرجات هذا السلم تتكون من ارتباط أربع قواعد كيميائية تحت اسم أدينين (A)، ثايمين (T)، ستيوزين (C)، وجوانين (G)، ويتكون هذا الجزيء في الإنسان من نحو ثلاثة بلايين ونصف بليون قاعدة، كل مجموعة ما من هذه القواعد تمثل جيناً من المائة ألف جين الموجودة في الإنسان، إذاً فبعملية حسابية بسيطة نجد أن كل مجموعة مكونة من ٢٢٠٠٠ قاعدة تحمل جيناً معيناً يمثل سمة مميزة لهذا الشخص، هذه السمة قد تكون لون العين، أو لون الشعر، أو الذكاء أو الطول، وغيرها (قد تحتاج سمة واحدة إلى مجموعة من الجينات لتمثيلها).

المقصود ببصمة الجينات:

حديثاً تمكن (إليك جيفرس) في جامعة لستر بالمملكة المتحدة من اكتشاف اختلافات في تتابع الشفرة الوراثية في منطقة (الإنترون Intron) متمثلة في الطول والموقع، وقد وجد أن هذه الاختلافات ينفرد بها كل شخص تماماً مثل بصمة الإصبع، لذلك أطلق عليها بصمة الجينات، باستثناء نوع نادر من التوائم المتطابقة الناشئة عن انقسام بويضة مخصبة واحدة (MZT) وبحساب نسبة التميز بين الأشخاص باستخدام بصمة الجينات، وجد أن هذه النسبة تصل إلى حوالي ١: ٣٠٠مليون، أي أن من بين ٣٠٠مليون شخص يوجد شخص واحد فقط يحمل نفس بصمة الجينات.

وقد وجد أيضاً أن بصمة الجينات تورث طبقاً لقوانين مندل الوراثية، وينفرد بها كل شخص تماماً وتورث، أي إن الطفل يحصل على نصف هذه الاختلافات من الأم، وعلى النصف الآخر من الأب، ليكون مزيجاً وراثياً جديداً يجمع بين خصائص الوالدين.

تعيين بصمة الجينات:

كل ما هو مطلوب لتعيين بصمة الجينات هو عينة صغيرة من الأنسجة التي يمكن استخلاص الحامض النووي الريبوزي المختزل (DNA) منها، فعلى سبيل المثال نحتاج:

- عينة من الدم في حالة إثبات بنوة.
- عينة من الحيوان المنوي في حالة اغتصاب.
- قطعة جلد من تحت الأظافر أو شعيرات من الجسم بجذورها في حالة وفاة بعد مقاومة المعتدي.
- دم أو سائل منوي مجمد أو جاف موجود على مسرح الجريمة.
- عينة من اللعاب.

وحديثاً تمكن العالمان الاستراليان (رولند فان) و(ماكسويل جونز) ف عام ١٩٩٧م من عزل المادة الوراثية من الأشياء التي لمسها مثل المفاتيح والتلفون والأكواب بعد استخلاص المادة الوراثية، حيث يتم تقطيعها باستخدام إنزيمات التحديد (Enzymes Restriction)، ثم تفصل باستخدام جهاز الفصل الكهربائي (Electrophoresis) ثم تنتقل إلى غشاء نايلون، ثم باستخدام مسابر خاصة

(Probes) يتم تعيين بصمة الجينات على فيلم أشعة.

بصمة الجينات كدليل جنائي:

نسبة النجاح التي تقدمها الجينات تصل إلى حوالي ٩٦٪ مما شجع الدول المتقدمة مثل أمريكا وبريطانيا على استخدامها كدليلاً جنائياً، بل إن هناك اتجاهاً لحفظ بصمة الجينات للمواطنين مع بصمة الإصبع لدى الهيئات القانونية.

وقد تم الحسم في كثير من القضايا بناء على استخدام بصمة الجينات كدليل جنائي، وقد يختفي مرتكب إحدى الجرائم تاركاً بعض قطرات من دمه أو بعضاً من خلايا جلده أو أنسجته عالقة بأظافر المجني عليه أو مسرح الجريمة، أو يعتدي السفاح على إحدى ضحاياه تاركاً حيواناته المنوية فكلها خلايا تحمل هويته وصورته الشخصية التي لا يستطيع تزويرها وتوقيعه في آلاف البطاقات الدالة عليه، فكل خلية نسخة مستقلة وصورة مكررة من صورة الشخصية ولا مجال للإنكار... هنا تشهد الجلود والدماء والخلايا على المجرم، شهادة حق من شهود عدول...

بصمة الجينات لإثبات النسب:

وتعتبر قضايا إثبات البنوة مشكلة اجتماعية خطيرة تشغل اهتمام كثير من العلماء في جميع أنحاء العالم، فضلاً عن إنها مشكلة قضائية تستغرق سنوات طويلة أمام المحاكم، ويخطئ من يظن أن عملية الحسم ف هذه القضايا تتم بسهولة بمجرد عمل تحليل طبي، فهناك فحوص وكشوفات طويلة على ثلاثة أطراف، الأم والأب والطفل، للتأكد من قدرة كل من الزوج والزوجة على الإنجاب خلال فترة إنجاب الطفل، أو ادعاء الحمل فيه.

وكذلك شخصية وسن الطفل، بعد ذلك ... يأتي دور التحاليل الطبية، وتشمل فصائل الدم الرئيسية والفرعية، واختبارات مصلية تتعلق بمستحضرات (أنتيجينات) خلايا الدم البيضاء وهي ما يطلق عليه (HLAS)، ولكن هذه التحاليل لا تعطي أكثر من ٤٠٪ فقط، وهي نسبة تثير الشك أكثر من اليقين في مسائل إثبات البنوة.

على الرغم من مرور وقت قصير على اكتشاف بصمة الجينات... إلا أنها استطاعت عمل تحول سريع من البحث الأكاديمي إلى العلم التطبيقي الذي يستخدم حول العالم وخصوصاً في الحالات التي عجزت وسائل الطب الشرعي التقليدية التي لا نجد لها حلاً مثل قضايا إثبات البنوة، والاغتصاب، وجرائم السطو، والتعرف على ضحايا الكوارث.

تأتي المفاجأة من ترتيب مناطق الجينات داخل الحامض النووي، تلك الجينات القادمة من الأب ومن الأم معاً لتشترك في بناء نووي جديد ذي تركيب مختلف عن أحماض الأب

والأم في ظاهره ولكن تتابع جيناته يدل ويشير إلى أصلها من الأب ومن الأم معاً... بل يؤكد انتماءها إلى أب بعينه وإلى أم بعينها دون غيرها من البشر...فكان ذلك ما عرف باسم (البصمة الجينية) الذي اعتبره العلماء قفزة علمية كبيرة لما لها من أهمية في عالم الطب الشرعي وعالم الحياة بشكل عام...

تلك البصمة الجينة التي لا يمكن محوها ولا يمكن رؤيتها إلا بعد استخدام وسائل غاية في التعقيد، وهي بصمة تعكس بشكل ما شخصية صاحبها وتحدده، وتميزه عن سائر البشر إلى يوم القيامة.

وعند مقارنة ترتيب المناطق المذكورة بسلاسل الحامض النووي المأخوذ من الأب ومن الأم فإنه يمكن ببساطة تحديد المناطق القادمة من الأب والمناطق القادمة من الأم، وبالتالي يمكن الجزم بأن الحامض النووي للأب والحامض النووي للأم رغم الاختلاف البيّن بين تسلسل المناطق المصبوغة على سلاسل الأحماض الثلاثة (الأب والأم والابن).

إنها بصمة الأب وبصمة الأم بصمة الابن تختلف داخل الرحم بأمر الخالق عز وجل (ذرية بعضها من بعض) (آل عمران/ ٣٤).

بصمة تلازم الإنسان طوال حياته ولا يمكن محوها أو التخلص منها بحال من الأحوال... وبها يبعث من جديد بإذن الله، يوم ينفخ في الصور فيعود كل إنسان كما كان لم يتغير منه شيء بإذن الواحد القهار، وكلما بدأ البحث في مجال بدت للباحثين مجالات أخرى كثيرة وآيات من آيات الله لم تكن نخطر لهم على بال مصداقاً لقوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت/ ٥٣).

بصمة البنان:

البنان هو نهاية الإصبع، وقد قال الله تعالى: (أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه) (القيامة/ ٣، ٤).

وقد توصل العلم إلى سر البصمة في القرن التاسع عشر وبين أن البصمة تتكون من خطوط بارزة في بشرة الجلد تجاورها منخفضات، تعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية، تتمادى هذه الخطوط وتتلوى وتتفرع عنها فروع لتأخذ في النهاية - وفي كل شخص - شكلاً مميزاً.

وقد ثبت أنه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل في شخصين في العالم حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها بويضة واحدة، ويتم تكوين البنان في الجنين في الشهر الرابع، وتظل البصمة ثابتة ومميزة طوال حياته ويمكن أن تتقارب بصمتان في الشكل تقارباً ملحوظاً، ولكنهما لا تتطابقان أبداً.

ولذلك فإن البصمة تعد دليلاً قاطعاً ومميزاً لشخصية الإنسان ومعمولاً به في كل بلدان العالم، ويعتمد عليها القائمون على تحقيق القضايا الجنائية لكشف المجرمين واللصوص، وقد يكون هذا هو السر الذي خصص الله - تبارك وتعالى - من أجله البنان، وفي ذلك يقول العلماء (لقد ذكر الله البنان ليلفتنا إلى عظيم قدرته حيث أودع سراً عجيباً في أطراف الأصابع، وهو ما نسميه بالبصمة) ■

لقاء مع:

فضيلة الدكتور الخطيب الشيخ باقر المقدسي

• أجرى اللقاء:

أحمد الكعبي الطويرجاوي

ينابيع المنهج الدراسي الأكاديمي... هل يعتبر مسلكاً لارتقاء المنبر الحسيني؟

أم الدراسة الحوزوية النيرة التي تعتبر الصراط الحق في الارتقاء؟... أم الجمع بينهما.

الشيخ الدكتور باقر المقدسي... جمع بين دراسته الأكاديمية والحوزوية...ليتخرج من مدرسة سيد الشهداء (عليه السلام)... خطيباً بارعاً في تحرير المعلومة وإيصالها إلى مستمعيه.

سماحة الشيخ المقدسي نرحب بكم على صفحات مجلتنا (ينابيع) ونرجو منكم أن تجيبوا على أسئلتنا.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على رسوله محمد وآله الطاهرين وبعد...

في مطلع كلامي أقول أنا في خدمتكم وأشكركم على إتاحة هذه الفرصة الثمينة والمثمرة لأتحدث إلى قراء (ينابيع) الأعزاء.

حسب تجربتكم على مدى هذه السنوات كخطيب حسيني وأيضاً من خلال السفرات التبليغية والإرشادية ومن المؤلفات التي نتجت عن هذه التجربة المنبرية كيف تقيمون هذه التجربة وهل استطعتم أن تسيروا على الخط الذي ينبغي أن يخدم الثورة الحسينية؟

منذ البداية عندما دخلت الحوزة العلمية الشريفة والتحاقي بكلية الفقه عام ١٩٦٠م، أي بعد دراستي للمقدمات الدينية والفقهية ودروس عروض اللغة العربية وفن الخطابة بحيث أرشدني الأستاذ المرحوم الشيخ جواد القسام والمرحوم السيد إبراهيم الغريفي وبتأثير الصديق الحميم السيد نوري الموسوي إلى قراءة بعض الكتب التي تساعدني على أن أكون خطيباً بارعاً ومفهوماً.

فكان تفكيري بهذا الجانب وكذلك الجانب الأكاديمي في الدراسة ساعدني أيضاً ولذلك قمت بالجمع بينهما فبدأت على هذا الأساس أسير جنباً إلى جنب أوفق بين الحوزة العلمية بما استطعت والخطابة التي هي الهم الأساس في حياتي يعني أردت أن أكون خطيباً مفهوماً محترفاً وقد وفقت إلى شيء من ذلك ولا أدعي لنفسي الكمال في هذا الجانب لأن ابن آدم لا يتكامل في يوم أو شهر أو سنة بل يبقى في حياته يأخذ يتواصل يتعاطى يكتسب التجربة والمعرفة والثقافة التي تساعد طالب العلم على الرقي نحو الأعلى وعدم التراجع والتخاذل.

يقول البعض أن هناك بعض المبالغات في المسيرة الحسينية تطرح في بعض المناسبات مما تسبب الإشكاليات في المنبر الحسيني، ما هو رأيكم في هذه المبالغات وهل من الممكن تلافي الإشكاليات الواردة إن صحت؟

إن مثل هذه المسألة شائكة وفعلاً فيها التباس عميق وكبير لأن بعض العلماء لم يتصدوا لكشف الحقائق

في خصوص هذه الأحداث والوقائع، بينما اهتم آخرون بالبحث والدراسة والتحقيق والتمحيص في مجال الحديث والفقه والتفسير وفي ميدان العقائد وأرسوا قواعد وضوابط لأخذ الحديث واعتماد القول في التفسير والعقيدة الإسلامية، بينما في التراث الحسيني ترك هذا المجال إلى إنصاف أهل العلم وربما إلى بعض الجهلة المحسوبين على أهل العلم والمعرفة، فدخلت الأساطير الكثيرة والمنامات والمسموعات التي لا تحصى ودخل في ذلك الغث والسمين للأسف الشديد.

وأصبحت في نظر البعض جزء من التراث الحسيني فلذلك الآن عندما يريد شخص أن يحقق في هذه المسائل يواجه طعناً، ومعارضة شديدة بدعوى اتركوا هذه وذروه وكما يقول البعض أن الإمام الحسين (عليه السلام) يعاقب هذا الإنسان ولا يسمح له أن يتلاعب بتراثه.

ولكن باعتقادي أن الإمام الحسين (عليه السلام) يكون غاية الرضا والسماح عندما يقوم إنسان بكشف الحقائق للثورة الحسينية ومبادئها ونهجها القويم.

هناك ظاهرة في أكثر الحاضرين والمستمعين للمجالس الحسينية وهي قلة التأثر بالمنبر من خلال الوعظ والإرشاد الذي يبديه الخطيب الحسيني، ما هو السبب بنظركم لهذه الظاهرة وكيف يمكن علاجها؟

عدم التأثر والتأثير في المستمع تارة يكون سببه الخطيب الحسيني نفسه وهذا ما تكلمنا في رسالتنا الدكتوراه وأوضحنا تلك الأمور بإيجابياتها وسلبياتها حيث يكون عدم التأثير من وجود خلل في المستمع نفسه فهناك صنف من الناس لم يتأثر بالآيات القرآنية والسيرة النبوية والنهج للأئمة الإثنى عشر (عليهم السلام) بخطبهم وأحاديثهم وتضحياتهم، وعليه فالخطابة بمعناها العام والخاص (الخطابة الحسينية) وهي وسيلة تربوية للمجتمع بجانب ومعنى أدق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد يكون هناك وسائل أخرى مما تجعل التأثير السلبي في المستمع لأنها في الاتجاه المعاكس.

لذلك توحيد خطاب الجريدة والمجلة والإذاعة والسينما والمسرح والإنترنيت وما شابه ذلك الأمر وباعتقادي أن الإعلام الحسيني يعيش يتيم في عزلة عن الوسائل الأخرى بل هناك بعض المحاولات من قبل بعض مثقفينا لتهميش هذه الوسيلة الإعلامية المنبرية التي كانت تتصدر كل وسائل الإعلام في يوم من الأيام ومازالت كذلك لاسيما في بعض المجتمعات الشيعية التي تعاني من الاضطهاد والظلم والجور في بعض البلدان بحيث لا يسمح للسير على نهج آل محمد (عليهم السلام) بإصدار

صحيفة أو التزام إذاعة خاصة بهم فليس لهم إلا الخطاب الحسيني وسيلة يعبرون من خلالها عما يختلج في نفوسهم.

لذلك أدعو إلى تطوير في النهج المنبري والخطاب الحسيني بداعي أن هناك وسائل أخرى يمكن الانتفاع بها وتغني عنه أقول لا شيء يغني عن المنبر والخطاب الحسيني الهادف وإتباع النهج الحسيني الثوري.

نرى هناك أن أكثر الناس يرغبون الاستماع إلى صوت جميل رخيم فهل ترى أن الصوت الجميل مهم ومؤثر في الخطابة أم في المحاضرة أو الجمع؟

إن الصوت الجميل هبة من الله تعالى للإنسان وهو عامل مؤثر من العوامل المهمة في الخطابة الحسينية.

ولكن لا يعني أن من لا يملك صوت جميل يغلق بوجهه الباب الخطابي لأنه عالم واسع فبإمكان الإنسان أن يتقن فنون الخطابة ويستغني عن الصوت الجميل بنسبة عالية فهناك خطباء لهم أصوات جميلة بنسبة عالية وممتازة كصوت الشيخ عبد الزهرة الكعبي (قدس سره) والشيخ هادي النويني والشيخ هادي الخفاجي والشيخ عبد الوهاب الكاشي وغيرهم نجحوا بأصواتهم وكذلك هناك من الخطباء ليس لهم أصوات جميلة وكان السر في نجاحهم علمهم وفنهم وأسلوبهم وأعتبر الصوت الجميل من مقومات الخطيب الناجح، وأنا أقل خدمة آل محمد (عليهم السلام) وهبني الله تعالى صوتاً جيداً لن أختصره وأوقفه على الخطابة فحسب، وإنما وظفته لقراءة الأدعية والمناجاة والزيارات وهذا من فضل الله تعالى عليّ.

لذلك قد وضحت هذا الجانب وهذه الفقرة في كتابي ورسالتي المعنونة (دور المنبر الحسيني) أي يعتبر رسالة المنبر وما يتعلق به.

هذا يعني أن نتعرف على دراستكم الأكاديمية... متى ابتدأتم؟

بعد تخرجي من كلية الفقه في النجف الأشرف عام ١٩٦٤م وحصولي على شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية واللغة العربية هاجرت إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية قبل قيام الثورة، حيث أخذت أقرأ في المدن العربية منها وبعد أن قامت الثورة المباركة أكملت دراستي حتى حصلت على الماجستير بعلوم اللغة العربية والإسلامية.

ثم عزمت على شهادة الدكتوراه فأكملت بحثي ودراستي المعمقة ولأول مرة بحث علمي أكاديمي عن المنبر الحسيني بتقديمها إلى اللجنة العلمية في جامعة بريطانيا في لندن وبعد المناقشة منحت بشهادة الدكتوراه بالدراسات

الإسلامية بتاريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٠م.

في الاطروحات المنبرية شواهد شعرية... فهل للشيخ المقدسي محاولات شعرية وكتابة الشعر؟

نعم لي محاولات في كتابة الشعر ولدي بعض القصائد نظمتها باللغتين أو بالأحرى بالفصحى والدارجة فلي في الإمام الحسين سيد الشهداء (عليه السلام) قصيدة أقول فيها:

سيدي يا حسين يا منية النفس
ويا من سناك في القلب نوّر
يا دليلي إلى الهدى في حياتي
وملاذي وشافعي يوم أحشر
حزت فخراً بخدمة السبط من قد
كان نوراً بالعرش من عالم الذر
أنت أنشودتي وذكرك دوماً
في ضميري ومنطقي يتكرر

بماذا توصون الخطباء الناشئة في ارتقائهم المنبر؟

أوصيهم بعدة أمور مهمة من خلال تجربتي الخطابية، وأن يسيروا عليها بما يستطيعون:

١- تقوى الله تعالى فهو سبب الرقي

والنجاح.

٢ـ الضبط اللغوي الكامل وهو المهم.

٣ـ المطالعات التاريخية الواسعة والمعمقة.

٤ـ عدم التكلم على الخطباء الآخرين والتنكيل بهم... فهو سبب الانحطاط.

٥ـ الخلفية الثقافية المعاصرة الواسعة والشاملة.

٦ـ حفظ الكلام المثمر والمهم.

٧ـ وحدة الموضوع.

٨ـ تطبيق ما يقوله على نفسه أولاً ثم الانطلاق نحو المجتمع.

من خلال مسيرتكم المنبرية الواسعة وباعكم الطويل في الخطابة الحسينية هل قمتم برعاية وتوجه الخطباء الناشئة؟

نعم، وذلك من خلال معهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي أفتتح خصيصاً لتنشئة الخطباء في مدينة قم المقدسة، حيث فيه مدرسين من كبار ومشاهير الخطباء الذين يتولون الرعاية الخاصة والتوجيه العام لهم بالتدريس الواسع حول شؤون المنبر وما يتعلق به، وقد طبعت كراس للتدريس في المعهد كذلك يتعلق بالطلبة الناشئة للمراحل الأولى والثانية وقد طبع في عدة معاهد مهتمة في الخطابة والخطباء في دمشق دار السيدة زينب (عليها السلام) وفي لبنان وفي لندن نتمنى لطلبتنا الموفقية والتقدم والازدهار لخدمة النبي (صلى الله عليه وآله) والعترة الطاهرة (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

أي الدول التي سافرت إليها من أجل التبليغ والإرشاد الإسلامي؟

قبل خروجي من العراق كانت قراءاتي في مواسم التبليغ في جميع أنحاء العراق الوسطى والجنوبية ومن ثم هاجرت إلى إيران قرأت في بلدان وقرى إيرانية كثيرة وبعد ذلك وجهت لي دعوات للقراءة في الإمارات ومسقط والبحرين ودبي والشارقة والكويت وسوريا ولبنان ولندن والسويد.

شكراً لفضيلة الدكتور المقدسي على ما تفضل به علينا لإتمام اللقاء ■

أجوبة مسابقة العدد الخامس وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. الحسين بن روح.

السؤال الثاني: ج. سليم البشري.

السؤال الثالث: أ. مسجد الفضيخ.

السؤال الرابع: ب. جعفر التستري.

السؤال الخامس: ب. ٤٤٨هـ.

السؤال السادس: ب. أحمد بن حنبل.

السؤال السابع: ج. عدي بن حاتم الطائي.

السؤال الثامن: أ. ٢٣٢هـ.

السؤال التاسع: ب. الأبواء.

الفائز بالجائزة الأولى: طه ياسين لازم.

الفائز بالجائزة الثانية: الشيخ ليث عبد الحسين العتابي/ النجف الأشرف.

الفائز بالجائزة الثالثة: خالد ريسان كريم/ البصرة ـ ناحية سفوان.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد

١ من المساجد المباركة التي خصّها الله تعالى بشرف قبول الدعاء، والمشهور عنه أنه بيت إدريس. فما اسمه؟

أ. مسجد الكوفة

ب. مسجد السهلة

ج. مسجد قبا

٢ يحيى بن زيد بن علي السجاد عليه السلام ثائر علوي شارك مع أبيه في المعركة التي قتل فيها، يعتبر من رواة الصحيفة السجادية، قتل وله من العمر (١٨) سنة، فأين يقع قبره؟

أ. باخمرا

ب. بلخ

ج. الجوزجان

٣ **إن كان دين محمد لم يستقم**
إلا بقتلي فيا سيوف خذيني

طالما أنشد هذا البيت الخطباء وهو يفرغ عن لسان سيد الشهداء عليه السلام، وكثير من الناس ينسبونه له عليه السلام، ولكنه لشاعر من شعراء آل البيت عليهم السلام. فمن هو؟

أ. الشيخ محسن أبو الحب

ب. الشيخ صالح الكواز

ج. الشيخ محمدعلي اليعقوبي

٤ قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**كفارة العمل عند السلطان، الإحسان إلى الإخوان**» وقد وجّه هذه المقولة إلى أحد أصحابه العاملين في البلاط العباسي. فمن يكون؟

أ. علي بن سويد

ب. يونس بن ضبيان

ج. علي بن يقطين

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (٧) رجب ـ شعبان ١٤٢٦هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ شهر رجب من الأشهر المباركة المقدسة التي حرّم الله فيها القتال، عُرف عند العرب باسم معين. فما هو؟

أ. الظفر
ب. الأصم
ج. الخير

٦ سلمان المحمدي، الصحابي الجليل والموالي المتفاني في حب النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام، كان مجوسياً ثم أصبح نصرانياً إلى أن هداه الله للإسلام. فما اسمه الحقيقي؟

أ. بهرام بن روزبهان
ب. روزبه بن خشنودان
ج. جمشيد بن شيرويه

٧ عُرف بدعاء الشبور، إضافة لشهرته باسم آخر يُقرأ في الأسبوع مرة واحدة. له آثار عظيمة. ما هو الاسم الآخر؟

أ. دعاء كميل
ب. دعاء السمات
ج. دعاء المجير

٨ كاتب لبناني مسيحي اختار شخصية أمير المؤمنين عليه السلام لدراستها فكان نتاجه كتاب (**الإمام علي نبراس ومتراس**). فمن هو؟

أ. جورج جرداق
ب. سليمان كتاتي
ج. بولس سلامة

٩ كانت ولادة الإمام الجواد عليه السلام في شهر رجب سنة؟

أ. ١٩٥هـ
ب. ١٩٧هـ
ج. ١٩٩هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

*** الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
*** يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.**
*** آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ذو القعدة.**